مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

النظرية السادسة

سلّم الخلاص

نظرية قرآنية في درجات الخلاص
إلى الله تعالى

اقرأ

تُعرض لأول مرّة في العالم

المهندس عدنـــان الرفـــاعي

المهندس عدنان الرفاعي

النظرية السادسة (سلّم الخلاص)



.. عفواً أيّها السادة ..
.. هذه النظريّة
.. للباحثين عن الحقيقة ..
.. أولي الألباب في كلّ جيل ..

المهندس عدنان الرفاعي
كاتب ومفكّر إسلامي
مواليد : سورية - درعا - تلشهاب .. عام : ١٩٦١ م ..

من المؤلّفات:

"النظريّة الأولى (المعجزة)
"النظرية الثانية (القَدَر)
"النظريّة الثالثة (الحق المطلق)
"النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة)
"النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر)
"النظريّة السادسة (سلّم الخلاص)
"الحق الذي لا يريدون
"قصّة الوجود
"المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء)
"محطات في سبيل الحكمة
"نقد نقد النظريّة الإعجازيّة في القرآن الكريم

كلمة لا بدّ منها

أخي القارئ :

.. القراءة العميقة للنصوص القرآنيّة المعروضة في برهان أبعاد هذه النظريّة ، هي الحاملُ الفِكريُّ للبرهان الذي أُقدِّمُه .. فدون إدراك الدلالات التي يُضيئها البرهانُ المعروض ، لا يتمّ الوصول إلى العمق الذي أريدُكَ أن تُبحرَ إليه في بحر هذه النظريّة ..

لقد آثرتُ – في برهان هذه النظريّة – المرورَ من الدليل العددي ، وفق معيار معجزة العدد (١٩) في القرآن الكريم ، الذي بيّناه في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، حتى نبتعد عن التصوّرات المسبقة الصنع ، وعن الأهواء والعصبيّات ..

.. وعملية حساب القيم العدديّة للنصوص القرآنيّة ، تمّت حسب معيار حساب الحرف المرسوم حرفاً في القرآن الكريم ، كما بيّنتُ ذلك في النظريّة الأولى (المعجزة) وفي كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ، ووفق الأبجديّة القرآنيّة المكتشفة لأوّل مرّة في العالم في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ..

.. وما يجب أن نعلمَه أنّ اختيار الأمثلة في برهان أبعاد هذه النظريّة (سلّم الخلاص) ، لا يعني أنّها الوحيدة التي تُبرهن على ما نذهبُ إليه ، فلكلّ عبارة قرآنيّة من الارتباطات مع العبارات الأخرى وفق هذا المعيار ، ما لا يعلم حدوده إلاّ الله تعالى .. ولكن ما نعرضه في هذه النظريّة يكفي من يملك ذرّة من إيمان .. أو عقل .. أو منطق ..

.. وفيما يلي أعرضُ نصاً (من كتاب المعجزة الكُبرى) ، يُبيّنُ كيفيّة حساب الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى .. وذلك لتبيان الطريقة المتّبعة في حساب الحرف المرسوم كلبنة أولى في البناء الرقمي ، الذي سنراه إن شاء الله تعالى في برهان هذه النظريّة :

[[[[[[.. بالتأكيدِ هناك مَنهجٌ مُحَدَّدٌ في اعتبارِ الحرفِ المرسومِ حَرفاً في كِتابِ الله تعالى .. وهو أنْ يكونَ مَرسوماً في القرآنِ الكريمِ ، بِغضِ النظر عن كَونِهِ مقروءاً أو غَيْرَ

مقروء .. والقرآنُ الكريم يُثبتُ صِحّةَ هذا الاستدلال .. مثلاً .. لِننظر إلى الفارقِ بين رَسْمِ كلمة يستأخرون ما بين الآيتين الكريمتين التاليتين ..

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤]

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١]

.. فَفي سورةِ النحل نرى غِيابَ حرفِ الألِف ، ونرى أنّ الهمزةَ تُوضَعُ فوقَ التاءِ دونَ أنْ يُوضَعَ لها كرسيٌّ خاصٌّ بِها ، وبالتالي فهي لَيستْ حَرفاً ..

.. فكلمةُ ﴿ يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ في هذه الآيةِ من سورةِ النحل تَنْقُصُ – كما نــرى – حَرفاً عنها في الآيةِ التي من سورةِ الأعراف ﴿ يَسْتَأْخِرُون ﴾ ..

.. أليس هذا فارِقاً في الرَّسْمِ القُرآني ؟ ... وفي هذا المنهجِ لا تُعتبَرُ الشدَّةُ حَرفاً ، ولا تُعتبرُ الألِفُ الخِنجريّةُ حَرفاً ، لأنّهما – كحروفٍ مرسومة – لم ينزلا رسماً من السماء ..

.. لِنَنْظُرْ إلى النَّصِّ القُرآنيِّ التالي ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الرعد : ٣٨ – ٣٩] ..

.. إنّنا نرى أنّ كلمةَ ﴿ كِتَاب ﴾ في الآيةِ الأُولى من هذا النصِّ ، تُكتَبُ مِثلَ رَسمِنا الإملائي ، أي بوجودِ حرفِ ألِفٍ بين حرفي التاء والباء في هذه الكلمة ، وبالتالي فحرفُ الألِفِ هنا حرفٌ مرسومٌ ..

.. بينما نرى أنَّ كلمةَ ﴿ ٱلْكِتَـٰب ﴾ في الآيةِ الثانيةِ من هذا الــنصِّ تُرسَــمُ دونَ حرفِ ألِفٍ بين حرفيِّ التاءِ والباءِ فيها .. وبالتالي ففي هذه الكلمة لا يدخلُ حرفُ الألِفِ الملفوظُ هذا في تَعدادِ حُروفِ هذه الكلمةِ ، لأنَّهُ ليسَ مَرْسُوماً ..

.. وفي هذا النصِّ نرى أيضاً أنّ كَلِمَةَ ﴿ يَمْحُوا ﴾ رُسِمَتْ بِزِيادةِ حَرْفِ أَلِفٍ غَيْـــرِ مَلْفُوظٍ في نِهايتها ، وهذا الحرفُ هو حرفٌ مَرسومٌ كما نرى ..

.. ولننظر إلى هذه الصورةِ القرآنيّة ..

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ ﴾ [الأنفال : ٦٦]

.. إنّنا نرى أنّ كلمة ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ تُرسَم ثلاثةَ حُروفٍ فقط هي : الألِف ، والـــلام ، والنون .. فالهمزةُ تُوضَعُ فوق اللام دون كُرسِيٍّ خاصٍّ بِها ، وبالتالي ليست حرفاً مرسوماً ، وكذلك الألِف الخِنجريّة .. إذاً كلمةُ ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ هي ثلاثةُ حُروفٍ ، هي : ألف ، لام ، نون ..

.. بينما في الآية الكريمة ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٩] نرى أنَّ هذه الكلمة ترد بالصورة ﴿ ٱلْـَٔانَ ﴾ (أربعة حروف) ، هي : ألف ، لام ، ألف ، نون .. وقد بيّنت في النظريّة الثالثة (الحق المطلق) الحكمة في ذلك ..

ولننظر إلى كلمة ﴿ خِطْـًٔا ﴾ في قولِه تعالى ..

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١]

.. إنّنا نرى أنّ كلمةَ ﴿ خِطْـًٔا ﴾ تُرسَمُ ثلاثةَ حروفٍ فقط ، هي : الخاء ، والطـــاءِ ، والألِف .. فالهمزةُ – هنا – مُجَرَّدُ حركة ، ولم يُوضَع لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها ، ولذلك فهي ليست حرفاً ..

.. ولننظر إلى كلمةِ ﴿ لِيَسُـۥٓـُٔوا ﴾ في قولِه تعالى ..

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧]

.. إنّنا نرى أنَّ كلمة : **﴿ لِيَسُـࣳـُٔوا ﴾** ، خمسةَ حروفٍ فقط ، هي : اللام ، والياء ، والسين ، والواو ، والألف ..

ولننظر إلى كلمة **﴿ فَمَالِـُٔون ﴾** في الموضعين اللذين تردُ فيهما في كتاب الله تعالى ..

﴿ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴾ [الصافات : ٦٦]

﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٣]

.. إنّنا نرى أنَّ الهمزةَ – هنا – لم يُوضَعْ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها .. إذاً شأنُها كشأنِ الحركات .. لذلك تُعدُّ كلمةُ **﴿ فَمَالِـُٔون ﴾** ستةَ حروف هي : الفاء ، والميم ، والألف ، واللام ، والواو ، والنون ..

.. ولننظر إلى كلمةِ **﴿ ٱلۡمَشۡـَٔمَة ﴾** كيف تُرسَم في كتابِ الله تعالى ..

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩]

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ [البلد : ١٩]

.. إنّنا نرى أنَّ الهمزةَ فيها مُجرَّدُ حركةٍ ، فلم يُوضَعْ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها .. ولذلك فكلمةُ **﴿ ٱلۡمَشۡـَٔمَة ﴾** مُكوَّنةٌ من ستةِ حروفٍ ، هي : ألف ، لام ، ميم ، شين ، ميم ، تاء مربوطة ..

.. ولننظر إلى الهمزةِ في الكلمات : **[[﴿ يَتَّكِـُٔون ﴾ ،، ﴿ مُتَّكِـُٔون ﴾ ،، ﴿ مُتَّكِـِٔين ﴾]]** ، كيف تُرسَم كحركةٍ دون أن يُوضَعَ له كُرسيٌّ خاصٌّ بها .. وبالتالي ليست حرفاً مرسوماً ..

﴿ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾ [الزخرف : ٣٤]

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يــس : ٥٦]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣١]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴾ [ص : ٥١]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾ [الطور : ٢٠]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ [الرحمن : ٥٤]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ [الرحمن : ٧٦]

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الواقعة : ١٦]

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾ [الإنسان : ١٣]

.. ولننظر إلى الهمزةِ في كلمتي : ﴿ أَفۡـِٔدَة ﴾ ،، ﴿ أَفۡـِٔدَتَهُم ﴾ كيفَ أنّها مُجرَّدُ حركةٍ ، فلمْ يُوضَع لها كرسيٌّ خاصٌّ بها .. ولذلك لم تُحسَبْ حرفاً ..

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]

﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٣]

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾ [إبراهيم : ٤٣]

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣]

﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة : ٧]

.. ولننظر إلى الهمزةِ في الكلمات : ﴿ تَجْـَٔرُون ، يَجْـَٔرُون ، تَجْـَٔرُوا ﴾ ، كيف أنَّها مُجرَّدُ حركةٍ ، وليست حرفاً مرسوماً ..

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل : ٥٣]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٤ – ٦٥]

.. وكذلك الأمرُ بالنسبةِ للهمزةِ في كلمةِ : ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ وكلمةِ ﴿ مَّرِيٓـًٔا ﴾ ، في كتابِ اللهِ تعالى ، فلمْ يُوضَع لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها ، وبالتالي لا تُعَدُّ حرفاً ... فلننظر إلى رسمِ هاتين الكلمتين في الآيةِ الكريمة التالية ..

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ٤]

.. ولننظر إلى الهمزة في كلمة ﴿ سَيِّئَة ﴾ ، كيف تُحسَبُ حرفاً ، لأنَّهُ يُوضَعُ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها في كتاب الله تعالى ، فكلمةُ ﴿ سَيِّئَة ﴾ مكوّنة من أربعةِ حروفٍ هي :

سين ، ياء ، همزة على نبرة ، تاء مربوطة ..... ولننظر إلى الهمزةِ في كلمة ﴿ ٱلسَّيِّـَٔات ﴾ ، كيف أنّها لا تُحسبُ حرفاً ، لأنّه لم يُوضَعْ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها في كتاب الله تعالى ، فكلمة ﴿ ٱلسَّيِّـَٔات ﴾ مكوّنة من ستة حروف هي : ألف ، لام ، سين ، ياء ، ألف ، تاء مبسوطة ..

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ ﴾ [يونس : ٢٧]

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [القصص : ٨٤]

.. فمعيارُ حسابِ الحرفِ حرفاً ، هو رسْمُهُ في كتابِ اللهِ تعالى ، بغض النظر عن كونه مقروءاً أم لا ..

.. ولننظر إلى كلمة هُداهم في قولِهِ تعالى :

﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾ [البقرة : ٢٧٢]

.. إنّنا نرى أنّ حرفَ الألِف في هذه الكلمةِ بين حرفي الدال والهاء رُسِمَ نبرة ، وبالتالي فهو والنبرةُ حرفٌ واحِد .. فكلمةُ ﴿ هُدَىٰهُم ﴾ نراها مُكوَّنةً من خَمسةِ حُروفٍ هي : هاء ، دال ، نبرة ، هاء ، ميم ..... وكذلك فإنّ كلمةَ الملائكة في القرآن الكريم تُرسَم على الشكل ﴿ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .. ألِف ، لام ، ميم ، لام ، نبرة ، كاف ، تاء مربوطة ..

.. ولننظرْ إلى كلمةِ ﴿ بِأَيۡيْد ﴾ في قولِهِ تعالى ..

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذريات : ٤٧]

.. إنّنا نراها تُرسَمُ بحرفَي ياء ، وبالتالي فهي خمسةُ حروف هي : باء ، ألف ، يـــاء ، ياء ، دال ..

.. ولننظر إلى كلمةِ ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ ﴾ في قولِه تعالى ..

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : ٢١]

.. إنّنا نرى أنَّ كلمةَ ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ ﴾ تُرسَمُ بحرفِ ألفٍ زائدٍ حسبَ قواعدِنا الإملائيَّةِ الوضعيّةِ .. وهذا الحرفُ حرفٌ مرسومٌ لا يمكنُ تجاوزُهُ في حسابِ حروفِ هذه الكلمة ..

.. ولننظرْ إلى العبارتين القرآنيَّتين التاليتين ، كيفَ أنّ كلمةَ (سَعَوْا) ذاتَها ، تُرسَم مرّةً بِحَرْفِ أَلِفٍ في نهايتِها ، ومرّةً دون حرفِ الألفِ هذا ..

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحج : ٥١]

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٥]

.. فعددُ حروفِ كلمةِ ﴿ سَعَوْا ﴾ في سورةِ الحجِّ هو أربعة حروف ، بينما عددُ حروفِ كلمة ﴿ سَعَو ﴾ في سورةِ سبأ هو ثلاثةُ حروفٍ فقط ..

.. هذا كُلُّهُ لا خلافَ فيه .. ولكنَّ المُشكلَةَ التي واجهتني في بدايةِ بَحثي هي الهمزةُ في بداية الكلمة ، وفي نهايتها ، متى تَكونُ حرفاً ، ومتى لا تكون .....

.. وقد هداني اللّهُ تعالى إلى اعتبارِ معيارٍ قُرآنيٍّ في هذهِ المسألة ... هذا المعيارُ هو : إذا أُضيفَ حَرفٌ قبلَ الهمزةِ التي في بدايةِ الكلمة ، أو بعدَ الهمزةِ التي في نِهايةِ الكلمة ، وحافظتْ هذه الهمزةُ على مكانِها ، فهي حرفٌ ، وإلاّ فهي حركةٌ كباقي الحركات ، وبالتالي ليستْ حرفاً ..

.. الهمزةُ التي في بِدايةِ الكلمات مثلَ : ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، ليستْ حرفاً ، لأنّهُ عند إضافةِ حرفٍ إلى بدايةِ هذه الكلمات ، تذهبُ الهمزةُ من مكانِها .. والحرفُ الأوّلُ في بدايةِ هذه الكلمات هو حرفُ الألفِ ... فكلمةُ ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ ، حيثُ يُضافُ حرفُ

الياءِ إلى بدايةِ كلمةِ ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، وكلمةُ ﴿ لِأَدَم ﴾ ، حيثُ يُضافُ حرفُ اللامِ إلى بدايةِ كلمةِ ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، تُرسَمَا في القرآنِ الكريم دونَ أيِّ اعتبارٍ لهذهِ الهمزة .. يقولُ تعالى :

﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٣ – ٣٤] ..

.. فهاتان الكلمتان : ﴿ يَـٰٓـَٔادَم ﴾ ، ﴿ لِأَدَم ﴾ ، كلٌّ منهما أربعةُ حُروف ، هي : الحرفُ المضافُ ، مَعَ حروفِ كلمةِ ﴿ ءَادَمَ ﴾ الثلاثة ..

.. وهذا يُسْحَبُ على الحالاتِ المُشابِهةِ مثلَ كلمةِ ﴿ قُرۡءَانٌ ﴾ ، فهذه الكلمة مُكوَّنةٌ من : قاف ، وراء ، وألِف ، ونون ، أي من أربعةِ حُروف ..

.. وهنا علينا أنْ نميّزَ حرفَ العطف ﴿ و ﴾ عن باقي الحروف ، وذلك حين التصاقه ببداية الكلمة .. فحرف العطف هذا ، لا يُغيّرُ من رسمِ الكلمة حين التصاقه بها ... مثلاً .. كلمة ﴿ ءَامَنَ ﴾ مكوّنة من ثلاثة حروف هي : الألف ، والميم ، والنون ... والهمزة المرسومة في بدايتها ليست حرفاً مرسوماً في معيار حساب الحروف المرسومة ، شأنها بذلك شأن الهمزة في بداية كلمة ﴿ ءَادَمَ ﴾ ..... عند التصاق حرف العطف بهذه الكلمة لا يتغيّرُ رسمها .. فكلمة : ﴿ وَءَامَنَ ﴾ ، مُكوَّنة من حرف كلمة ﴿ ءَامَنَ ﴾ الثلاثة ، معَ حرف العطف هذا ، وبالتالي حروفها هي : الواو ، والألف ، والميم ، والنون ... وكذلك الأمر في كلمة : ﴿ ءَاخَرَ ﴾ ، فهي مكوّنة من ثلاثة حروف هي : الألف ، والخاء ،

والراء .. وعند التصاق حرف العطف في بدايتها ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ يُضاف إليها كحرف دون تغيير في تعداد هذه الحروف .. فكلمة ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ مُكوّنة من الحروف : الواو ، والألف ، والخاء ، والراء ..

.. والهمزةُ في نهايةِ الكلماتِ مِثلَ : [[﴿ شَيْءٍ ﴾ ، ﴿ بَرِىٓءٌ ﴾ ، ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ ، ﴿ دِفْءٌ ﴾]] .. ليستْ حرفاً ، فعندَ إضافةِ حَرفٍ إلى نهايةِ هذه الكلمات ، لا تُحافِظُ هذه الهمزةُ على مكانِها ... مَثلاً : كلمة ﴿ شَيْـًٔا ﴾ تُرسَمُ في القرآنِ الكريمِ ثلاثةَ حُروفٍ فقط ، هما حرفا كلمةِ شيء : الشين ، والياء ، والحرفُ المضاف ، وهو حرفُ الألِف .. هكذا تُرسَمُ في كِتابِ اللهِ تعالى ، فلو كانتْ حَرفاً لَوُضِعَ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بِها ، كما هو الحال في كتابتِنا الإملائيّة ..

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

.. وكذلك كلمةُ ﴿ بَرِيٓـًٔا ﴾ تُرسَمُ أربعةَ حروف ، هي حروف كلمــة ﴿ بَرِىٓءٌ ﴾ الثلاثةَ : باء ، راء ، ياء ، معَ حرفِ الألف المُضاف ..

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١١٢]

.. وفي رسمِ كلمةِ ﴿ بَرِيٓـُٔون ﴾ في الآيةِ التاليةِ ، دليلٌ آخر على ذلك :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ٤١]

.. فالهمزة في كلمة ﴿ بَرِئُّونَ ﴾ لا تُعَدُّ حرفاً ، لأنَّه لم يُرسَم لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها ، وحروف كلمة ﴿ بَرِئُّونَ ﴾ هي : باء ، راء ، ياء ، واو ، نون ..

.. بينما الهمزةُ في نِهايةِ الكلمات مثلَ : ﴿ مَآءً ﴾ ، ﴿ دُعَآءً ﴾ ، ﴿ نِسَآءٍ ﴾ ..... تُعَدُّ حَرفاً ، لأنّها تُحافِظُ على مكانِها حين إضافةِ حرفٍ بعدَهَا ، فتبقى على حالِهَا ، أو تُحافِظُ على مكانِهَا بانقلابِهَا حرفاً آخر .. فكلمةُ ﴿ مَآءَهَا ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ [النازعـات : ٣١] ، نرى فيها مُحافظةَ هذه الهمزةِ على مكانِها بعد إضافةِ حَرفي الهاءِ والألِف إلى نهايةِ الكلمة .. وكلمةُ ﴿ مَآؤُكُمْ ﴾ في قولِهِ تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] ، نرى فيها مُحافظةَ الهمزةِ على مكانِها بانقلابِها واواً مهموزةً بعدَ إضافةِ حرفي الكافِ والميمِ إلى نهايةِ الكلمة .....

.. وكلمةُ ﴿ بِدُعَآئِكَ ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] ، نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها بانقلابِها نَبرَةً بعدَ إضافةِ حرفِ الكافِ إلى نِهايةِ الكلمة .. وكلمةُ ﴿ دُعَآءِى ﴾ في قولِهِ تعالى ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح : ٦] ، نرى فيها مُحافظةَ الهمزةِ على مكانِها بعدَ إضافةِ حرفِ الياءِ إلى نهايةِ الكلمة ..

.. وكلمةُ ﴿ نِسَآؤُكُم ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها ، بانقلابِها واواً مهموزةً بعد إضافةِ حرفي الكافِ والميمِ إلى نهايةِ الكلمة ... وكلمةُ ﴿ نِسَآءَكُمْ ﴾ في قولِه تعالى ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي

ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩] ، نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها ، بعد إضافةِ حرفي الكاف والميم إلى نهايةِ الكلمة ..

.. وهكذا نرى أنَّ معيارَ اعتبارِ الحرفِ المرسومِ حرفاً هو معيارٌ قُرآنيٌّ مُجـــرَّدٌ عـــن الأهواء وعن القواعد الوضعيّة التي وضعها البشر ..]]]]]] ..

وفيما يلي أعرض نصّاً بحرفيّته ((سؤالاً وإجابته ، من الحوار المعروض في كتـــاب : المعجزة الكبرى)) ، يبيّن كيفيّة حساب القيمة العدديّة للكلمات والجمل ، بنـــاء علـــى الحروف المرسومة فيها كما بيّنا :

]]]]]]]

س ٣٩ : ما هو المِفتاحُ الذي تستعمِلُهُ للدخولِ إلى تعلُّق الحرفِ القرآنيِّ بمعجـــزةِ العدد (**١٩**) ؟ ..

.. لقد بَحَثْتُ عن مِفتاحٍ جَديدٍ ليس فقط للدخولِ إلى مُعجـــزةِ العـــدد (١٩) في القرآنِ الكريم ، وإنّما للدخولِ أيضاً إلى غَيْرِهَا من المُعجزاتِ .. بَحَثْتُ عن أبجديّةٍ تَكُـــونُ فيها القيمةُ العدديّةُ لِلْحَرْفِ مُتعلِّقةً بمجموعِ ورودِ هذا الحرفِ في القُـــرآنِ الكـــريم ..... فعلى ذاتِ المَنهجِ الذي تحدّثْتُ عنه في حِسابِ الحرفِ المرسوم ، وبعدَ حِسابِ عدد مرَّاتِ ورودِ كلِّ حرفٍ في كتاب الله تعالى .. وبعد الأخذِ بالاعتبارِ ترتيب هذه الحروفِ ترتيبـــاً تنازليّاً من الأكثرِ وروداً إلى الأقل ، كمُؤشِّرِ هِدايةٍ لِقيمةِ الحرفِ العدديّة .. تمّ الوصـــولُ إلى الأبجديّة التالية :

الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية
ا ، ى ، ء ، (أ ، أُ ، إ)	١	س	١٥
ل	٢	د	١٦
ن	٣	ذ	١٧
م	٤	ح	١٨

و ، ؤ	٥	ج	١٩
ي ، ئ ، ىٰ ، ءٍ	٦	خ	٢٠
ـــه ، ـــة	٧	ش	٢١
ر	٨	ص	٢٢
ب	٩	ض	٢٣
ك	١٠	ز	٢٤
ت	١١	ث	٢٥
ع	١٢	ط	٢٦
ف	١٣	غ	٢٧
ق	١٤	ظ	٢٨

.. ويكونُ حِسابُ القيمةِ العدديّةِ لِلكلمةِ بأنْ يُستبدَلَ كُلُّ حرفٍ مرسومٍ بقيمتِهِ ، ثمّ بعد ذلك تُجمَعُ هذهِ القِيَمُ العدديّة .. مثلاً كلمةُ : ﴿ **مُحَمَّدٌ** ﴾ مكوّنةٌ من : ميم ، وحاء ، وميم ، ودال ، وبالتالي قيمتُها العدديّة هي : ٤ + ١٨ + ٤ + ١٦ = **٤٢** .. والعبارة القرآنيّة : ﴿ **رَسُولُ ٱللَّهِ** ﴾ ، مُكوّنة من : راء ، وسين ، وواو ، ولام ، وألف ، ولام ، ولام ، وهاء ، وبالتالي قيمتها العدديّة هي : ٨ + ١٥ + ٥ + ٢ + ١ + ٢ + ٢ + ٧ = **٤٢** ..... فَمِنْ مجموعِ القِيَمِ العدديّةِ للنصِّ ، يتمُّ الدخولُ – حسبَ بحثي في مسألة الحروفِ هذه – إلى تعلُّقِ هذا النصِّ بمعجزةِ العدد (١٩) ، وبغيرِها من المعجزات ..

.. وهنا لا بُدَّ أنْ نُشيرَ إلى أنَّ القِيَمَ العدديّةَ للكلماتِ والجُمَلِ والآيـات ، تُحـسَب حسبَ الحروفِ المرسومة .. ويجب الانتباه إلى ذلك جيداً ، خصوصاً في رسمِ الهمزةِ ، هل لا تُحسَب حرفاً كما بيّنا .. وإنْ حُسِبَت .. هل تُحسَبُ في صَفِّ حرفِ الألِف بقيمـةٍ عدديّةٍ تساوي (١) ، أم تُحسَبُ نبرةً في صفِّ حرف الياء ، بقيمةٍ عدديّةٍ تساوي (٦) .. فالرسمُ القرآنيُّ هو المعيارُ الأوّلُ والأخيرُ في ذلك ..

.. لننظر إلى كلمة (أإذا) في الآيتين الكريمتين التاليتين ..

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٤٩]

﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴾ [الواقعة : ٤٧]

.. في الآية الأولى نرى أنَّ كلمةَ **﴿ أَءِذَا ﴾** مُكَوَّنةٌ من : همزة فوق ألـف وقيمتُهـا تساوي (١) ، ومن همزة على السطر وقيمتها تساوي (١) أيضاً ، لأنّهـا في صـفِّ حرفِ الألف ، ومن حرف الذال وقيمته تساوي (١٧) ، ومن حرف الألـف وقيمتـه تساوي (١) .. وهكذا فالقيمةُ العدديّةُ لهذه الكلمةِ **﴿ أَءِذَا ﴾** = ١ + ١ + ١٧ + ١ = **٢٠** ..

.. بينما نرى أنَّ كلمةَ **﴿ أَئِذَا ﴾** في الآيةِ الثانية مُكَوَّنةٌ من : همزة فوق ألف وقيمتُها تساوي (١) ، ومن همزة على نبرة وقيمتُها تساوي (٦) ، لأنّها في صفِّ حرفِ الياء ، ومن حرف الذال وقيمتُه تساوي (١٧) ، ومن حرف الألف وقيمتُهُ تـساوي (١) .. وهكذا فالقيمةُ العدديّةُ لهذه الكلمةِ **﴿ أَئِذَا ﴾** = ١ + ٦ + ١٧ + ١ = **٢٥** ..

.. ولننظر إلى كلمةِ **﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾** ، في الآيةِ الكريمة التالية ..

﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١]

.. هذه الكلمةُ ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ مُكوَّنةٌ من همزةٍ قيمتُها تساوي (١) ، ومــن حــرف الألف وقيمتُهُ تساوي (١) أيضاً ، ومن حرف اللام وقيمته تساوي (٢) ، ومن حرف النون وقيمته تساوي (٣) .. ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ = ١ + ١ + ٢ + ٣ = ٧

... فالهمزة في هذه الكلمة ، وفي غيرِها من الحالات المشابهة ، مثل الهمزة الاستفهاميّة في كلمة ﴿ ءَأَنت ﴾ في قولِه تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٢] ، والتي تُحسَبُ حرفاً .. هذه الهمزة .. علينا أنْ نُميِّزَها عن الهمزة في كلمة : ﴿ قُرۡءَانٌ ﴾ والتي تمَّ قياسُها على الهمزة في بداية الكلمات مثل : ﴿ ءَاخَرَ ﴾ ، ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، ﴿ ءَايَةٌ ﴾ ، والتي لا تُحسَبُ حرفاً كما بيّنا سابقاً ، فهي والألف حرفٌ واحد ، قيمتُهُ العدديّةُ تساوي (١) ..

.. وكنّا قد بيّنا أنَّ الهمزةَ التي لا تُعَدُّ حرفاً في بداية الكلمة ، مثل الهمزة في الكلمات : ﴿ ءَاخَرَ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، ﴿ ءَايَةٌ ﴾ .. بيّنا أنَّ بقاء هذه الهمزة في الكلمة حين إضافة حرف العطف (وَ) إلى بداية الكلمة ، لا يجعلُ منها حرفاً مرسوماً ، مثل الهمزة في الكلمات : ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ ، ﴿ وَءَامَنَ ﴾ ، ﴿ وَءَايَةٌ ﴾ .. فإضافةُ حرف العطف (وَ) إلى بداية الكلمات : ﴿ ءَاخَرَ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، ﴿ ءَايَةٌ ﴾ ، لا يجعلُ من هذه الهمزةِ حرفاً مرسوماً ، لأنَّ هذه الهمزةَ ليستْ حرفاً مرسوماً في أصلِ الكلمةِ ذاتِها ..

.. وواضحٌ أنَّ الهمزةَ في كلمةِ : ﴿ أَرَءَيۡتَكُم ﴾ ، وفي كلمــةِ : ﴿ أَرَءَيۡتُم ﴾ ، وفي كلمة : ﴿ ٱلرُّءۡيَآ ﴾ وفي غيرِها من الحالات المُشابهة ، تُعدَّ حرفاً مرسوماً قيمتُهُ العدديّــة تساوي (١) ..

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٠]

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٦]

﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٥]

.. فكما قُلنا .. معيارُ اعتبارِ الحرفِ حرفاً في كتابِ اللهِ تعالى ، ومعيارُ تحديدِ هُويَّتِهِ ، هو القرآنُ الكريم ذاتُه ..

المهندس عدنان الرفاعي

المقدّمة

.. خلاص الدين لله تعالى هو حال العبادة الصادقة ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢]

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ١١]

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ [الزمر : ١٤]

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾ [الزمر : ٦٥]

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥]

.. فالدين الخالص لا يكون إلاّ لله تعالى ..

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر : ٣]

.. من هنا .. فالخلاص إلى الله تعالى نصل إليه بالمرور من مرحلتين : معرفة الحقيقة ، والعمل بموجبها ، حيث تتحدّد درجة كمال الخلاص حسب درجة علمنا بالحقيقة ، ودرجة العمل بمقتضى هذا العلم .. فلا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلاّ من خلال معرفتها ، وكلُّ عملٍ لا يُزرَع في أرض الحقيقة ومناخها لا يُثمر إلاّ برزخاً يحجبنا عنها ..

إنّ تعيّن الفِكر السليم على أرض الواقع هو نتيجةٌ للنهوض الفكري .. ولا يمكن أن تكونَ النهضةُ الفِكريّةُ متأخّرةً عن التطبيق العمليِّ المتعلّق بها ، فالمقدّمة لا تتأخّر عن نتيجتها ، بل تسبقها ..

والخلاف بين الأديان المختلفة ، والمذاهب المختلفة داخل كلِّ دين ، يكمن في المرحلة الأُولى (معرفة الحقيقة) ... كلٌّ يدّعي أنّه يملك هذه الحقيقة ، وأنّ الآخرين يبتعدون

عنها بمقدار ابتعادهم عنه .. أمّا العمل بمقتضى هذه الحقيقة (النسبيّة) — بعد معرفتها — فهو سلوكٌ يتعلّق بحقيقة إيمان الإنسان وكفره بالحقيقة التي علمها ..

.. كلُّ الأديان ، وكلُّ المذاهب داخل كلِّ دين ، تختلف مع بعضها بسبب احتكــار الخلاص ، كلُّ دينٍ يزعم أتباعُهُ أنّ الخلاص لهم وحدهم ، وكلُّ مذهبٍ داخل كلِّ ديــن يزعم أتباعُهُ أنّهم الأقرب إلى الخلاص من غيرهم ، وبناء على ذلك يتمّ الخلاف والتفــرّق والاقتتال ..

كلُّ ذلك يحدث في الوقت الذي يريد الله تعالى منّا — جميعاً — أن نعيش ثقافة الاتّفاق ، لا ثقافة الاختلاف ، وأن ننظر بعمق إلى الحقيقة الهندسيّة التي تُبيِّنُ لنا أنّ المسافة الكبيرة (نسبيّاً) بين نقطتين على محيط الدائرة ، تتقلّص كلّما اتّجهت النقطتان نحــو المركــز ، لتنتهي إلى الصفر في المركز .. فمناهج الله تعالى أنزلها إلهٌ واحدٌ ، هو ربُّ العــالمين دون استثناء ، وما الاختلاف بين البشر في مسألة الدين إلاّ نتيجة ابتعادهم عن الأصل (المركز) ، ودورانهم على محيط دائرة نصف قطرها يساوي تماماً ابتعادهم عن هذا المركز ..

.. هذا الكلام ليس وليد أحلامنا ، وليس مجاملةً نريد منها التحايل على الآخر ، إنّما هو من لبِّ ما جاء به القرآن الكريم ، ومن جوهر أحكامه ..

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٣ — ١٢٥]

صحيحٌ أنّ درجة الخلاص تختلف من منهجٍ لآخر — كما سنرى إن شاء الله تعالى في هذه النظريّة — ولكنْ .. لا يحقّ لأحدٍ احتكار الخلاص لنفسه دون الآخــرين .. فعمليّــة

إلغاء الآخر والقول بأنّه ليس على شيءٍ ، هي اتّباعٌ حرفيٌّ لما قاله اليهود والنصارى حينما اتّهم كلٌّ منهما الآخر أنّه ليس على شيء ..

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣]

فقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾ يبيّن لنا أنّ احتكار الخلاص ، وإلغاءَ الآخر ، والقولَ بأنّه ليس على شيء ، يعني الخروج من ساحة العلم ، ودفعاً للذات إلى ساحة احتكار الخلاص ، التي أغرق اليهودُ والنصارى أنفسَهم في مستنقعها ..

الإيمانُ بالله تعالى ضرورةٌ لا بدّ منها كونها أُولى درجات الخلاص ، والصدقُ ضرورةٌ أيضاً كونها درجةً أُخرى ، ولكن – من زاوية الفكر – لا يكفي أن نكون مؤمنين وصادقين ، فلا بدّ أن نكون متفكّرين متعقّلين لما نعتقد ونقول ونعمل ، وأن نعايرَ هذا الفكر – بشكلٍ مستمرٍّ – على الثوابت الإيمانيّة والعقليّة المجرّدة عن الأهواء والعصبيّات الدينيّة والمذهبيّة .. وإلاّ سيتحوّل – مع الزمن – إيمانُنا إلى كفر ، وصدقُنا إلى كذب ، وعملُنا إلى رياء ، دون أن نحسّ بذلك ، وستنطبق علينا دلالاتُ الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ – ١٠٦]

إن لم ندرك أنّ ما نعيشه الآن بسلبيّاته وإيجابيّاته ، هو نتيجة فكر الماضي ، وأنّ المستقبلَ متوقّفٌ على حقيقة فكرنا الحالي ، فهذا يعني أنّنا لا نفكّر ، ففكرنا الحالي نتيجةُ

فكرِ الماضي ، ومقدّمةُ فكرِ المستقبل .. علينا أن ندرك بأنّ الفارق بين من ينتج الفكرَ ويصنع التاريخَ من جهة ، وبين من لا ينتج الفكر ولا يصنع التاريخ من جهةٍ أُخرى ، هو ذاته الفارق بين الإنسان والحيوان .. فهناك فارقٌ كبيرٌ بين من يقود التاريخ ويصنعه بفكره ، وبين من يكون مجرّد أداة يستعملها الآخرون لصناعة هذا التاريخ ..

.. الفارق كبيرٌ بين أن يكون فكرُنا كعصا موسى عليه السلام نصنع به المعجزات ، وبين أن يكون كعصا فرعون نُضرَب به لنرى فرعون فوق كلِّ المعجزات ..

.. الفارق كبيرٌ بين الاختباء في ظلال أصنام آزر ، وبين رؤية النور في فطرة إبراهيم عليه السلام .. الفارق كبيرٌ بين إلقاء قميص يوسف عليه السلام على وجوهنا بهدف رؤية الحقيقة ، وبين المتاجرة بقميص عثمان لإخفاء هذه الحقيقة ..

..صحيح أنّ الدعوةَ إلى تفعيل العقل في إدراك دلالات النصّ القرآنيّ يستخدمها بعضُهم للذهاب بعيداً في أودية التيه ، وللخروج على بعض الثوابت (القرآنيّة) من خلال عرض الأهواء بدلاً عن العقل المجرّد .. ولكنَّ منهجَ التفعيل العقلي لإدراك دلالات كتاب الله تعالى ، يحمل بماهيّته آليّاتِ تقويم التيه ، وسبلَ العودة إلى الحقّ ..

.. بينما الاعتماد على مجرّد الموروث التفسيري ، وما نُسب إلى الرسول ﷺ من أقوال ، وذلك لتأطير دلالات النصّ القرآنيّ بأغلال التاريخ والأهواء ، لا يؤدّي إلاّ إلى اجترار ما لُبّس تاريخيّاً على كتاب الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، وإلى وأد أيِّ سبيلٍ لإنتاج الفكر من كتاب الله تعالى ، وإلى إغراق أيّ مركبٍ يُبحر تجاه تقويم الأخطاء التاريخيّة التي يحسبها الكثيرون من المنهج ..

.. متى نفهم أنّ حبَّنا ووفاءَنا للسلف الصالح الذين حملوا راية الإسلام إلينا ، لا يكون بتحويلهم إلى أصنام ، ولا بتحنيط مستقبل فكر الأمّة بمادّة خصوصيّاتهم التاريخيّة ، بل يكون بتحقيق ما أرادوا من خلال الفكر الذي يحمله القرآن الكريم لعصرنا ، لا لعصرهم .. متى نفهم أنّه لو قُدّر لهم النهوض من قبورهم والعيش في عصرنا ، لأنتجوا — من كتاب الله تعالى — فكراً آخر غير الذي أنتجوه في عصرهم ..

.. إنّ الفارق كبيرٌ بين جعل التاريخ منجماً لصناعة الأقنعة المذهبيّة والطائفيّة ، ولوأد الفكر الجديد المستنبط من كتاب الله تعالى ، وبين جعله منجماً لصناعة معايير تقويم رُؤى الأُمّة الفكريّة والحضاريّة ، وذلك بالنظر إليه من منظار دلالات كتاب الله تعالى ..

متى نُدرك أنّ الله تعالى يُريدنا في كلّ عصر أن نُساق من عقولنا إلى الدلالات الحقّ في كتابه الكريم ، لا أن نُساق من عواطفنا الهوجاء إلى مستنقعات التاريخ ..

متى نُدرك أنّ دلالات القرآن المكتوب أكبر بكثير من القرآن المقروء ، فالنصّ القرآني المصاغ من الله تعالى (القرآن المكتوب) يحمل لكلِّ عصرٍ من الدلالات والمعاني ما يكفي لرفع فكر ذلك العصر إلى المستوى الذي يريده الله تعالى ، إنْ تمّ تدبّر كتاب الله تعالى تدبّراً سليماً .. بينما ما نُدرك من الدلالات أثناء قراءتنا لكتاب الله تعالى ، لا يتجاوز سقف إدراكنا الفلسفي والعلمي في عصرنا الذي نعيش ..

.. من هنا فإنّ الزعم بأنّ إدراك جيلٍ محدّدٍ لدلالات النصّ القرآنيّ هو عين ما يحمله القرآن (المكتوب) من الدلالات لكلِّ العصور ، هو في الحقيقة جحودٌ بحقيقة القرآن الكريم ، وتقديمٌ للإنتاج الفِكريّ في عصرٍ من العصور على أنّه نهاية الفكر ، وبالتالي دفعٌ للأمّة بعيداً عن كتاب الله تعالى ، وإخراجٌ لها من التاريخ ، وتأسيسٌ لفكرها وثقافتها على أساسٍ تاريخيٍّ ، لا على أساسٍ فكري ..

.. كلُّ النصوص البشريّة هي نتاجُ حضارةٍ محدّدة ، في عصرٍ محدّد ، وكذلك فإنّ إدراك دلالات النصّ القرآني في عصرٍ محدّد لا يخرج عن إطار البعد الحضاري والعلمي والفلسفي في ذلك العصر .. وبالتالي فإنّ عرض القراءة التاريخيّة لعصرٍ من العصور على أنّها نصٌّ مقدّس لا يجوز تجاوزه ، هو – في النهاية – جعلُ الوضعيِّ مقدّساً ، والمقدّسِ وضعيّاً ..

.. الفارق كبيرٌ بين الإبحار في دلالات كتاب الله تعالى لاكتشاف درره ، وما يحمله لنا في عصرنا الذي نعيش ، وبين محاولة إغراق دلالات النصوص القرآنيّة في مستنقع التاريخ لإرضاء عصبيّاتنا المذهبيّة والطائفيّة ..

.. فالعصبيّة التي ننسجها من أوهامنا لنبخس الآخرين ما عندهم ، هي ذاتها العصبيّة التي تجعلنا نبخس بعضنا بعضاً ، وفي الوقت ذاته تدفع هذه العصبيّة الكثير من الآخرين إلى عصبيّة معاكسة تحجب عنهم نور الحقّ في منهج الله تعالى (القرآن الكريم) ، وفي المحصلة إساءة لمنهج الله تعالى ودعوة لأن يعاديه الآخرون ، فنقدّم منهج الله تعالى على أنّه الذئب الذي أُتّهم بأكل يوسف عليه السلام ، ونغرس بأيدينا الشجرة التي نهى الله تعالى أبانا آدم عليه السلام عن الأكل منها ، ونقدّمها الحلَّ الأمثلَ لحاجاتنا .. كلُّ ذلك في الوقت الذي يريدنا الله تعالى فيه أن ندعو الآخرين إلى منهجه ، وكلَّفَنا مسؤوليّة إيصاله إليهم ..

.. إنّ ثقافة الأُمّة هي خلاصة عملها وتفاعلها – في الماضي والحاضر – مع الحقائق والأحداث ، وفكرها هو خلاصة هذه الثقافة وموجّهها ، ومنظار الأمّة إلى المستقبل .. وإنّ إنتاج الفكر يعني نقل ثقافة الأمّة وفكرها إلى نقطة مستقبليّة على محور الزمن ، فهو محاولةٌ لسحب فكر الأمّة إلى هذه النقطة .. ولكنْ .. حينما يكون فكر العامّة ناظماً لإنتاج الفكر ، ومعياراً له ، فهذا يعني موت الإنتاج الفكري عند الأمّة ..

لقد أَمَرَنا الله تعالى بالتخطيط للغد ، فكراً وثقافةً وحياة ، وجعل هذا التخطيط من مقتضيات التقوى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨]

.. فالمرحلة الأُولى من هذه التقوى تكون في التخطيط للمستقبل ، حيث نرى هذه الحقيقة من خلال اقتران عبارة التقوى بنظر الإنسان للمستقبل .. **﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾** ، فمن لا ينظر إلى الغد من منظارٍ منهجيٍّ مدروسٍ ، ومن خلال فكرٍ سليم ، يكون قد ابتعد عن تقوى الله تعالى .. والمرحلة الثانية من التقوى تكون بالعمل الصادق الموافق لمنهج الله تعالى ، ولما خُطِّط له ، حيث

نرى هذه الحقيقة من خلال تكرار عبارة التقوى في الآية ذاتها ، ومن خلال اقتران ذلك بالعمل حيث يعلم الله تعالى حقيقته .. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ..

.. ويُعَدّ النقدُ الذاتيُّ والموضوعيُّ من أهمّ متطلّبات التخطيط للغد ، فمحاولة تصوّر الغد المشرق لا يكون إلاّ بعد معرفة ظلمات الحاضر والماضي لتجاوزها والعمل بنقيضها .. ومن متطلّبات الحوار مع الآخر رؤيةُ الذات من منظاره ، وجعله يرى ذاته من منظارنا ، وبالتالي الوصول إلى درجة يرى فيها كلُّ طرفٍ أخطاءَه من منظاره ..

فنحن مُطالبون بالتخطيط للغد والحوار مع الآخر ، لأنّنا مُطالبون بإيصال منهج الله تعالى إلى البشريّة جمعاء ، وهذا لا يكون إلاّ من خلال صناعة الفكر ، والحوار البنّاء مع الآخرين ..

.. الرسول ﷺ والرسل جميعاً أُسوةٌ حسنة لباقي البشر ، في الدعوة إلى الله تعالى ، وفي تمثّل المنهج الذي يدعون إليه ..

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

والدعاة الصادقون يتوجّب عليهم أن يكونوا أُسوةً حسنة لباقي البشر .. من هنا .. فنحن كوننا أمّةً مكلّفةً بإيصال رسالة الله تعالى إلى البشريّة جمعاء ، مُطالبون بأن نكون أُسوةً للآخرين ، سواءٌ كان ذلك على الصعيد الفردي ، أم على صعيد الأمّة ، سواءٌ كان ذلك على الصعيد الحضاري ، أم على الصعيد الفكري ..

لقد حدث في فكرنا الإسلاميّ الموروث خلطٌ في الكثير من المصطلحات ، وفي الدلالات التي تحملها بعض الكلمات القرآنيّة .. وجنح الكثيرون إلى رسم دلالات بعض الكلمات القرآنيّة بألوان تاريخيّة تتعلّق بالاستعمال التاريخي لهذه الكلمات ، دون اعتبار الجذور اللغويّة التي تفرّعت عنها هذه الكلمات في كتاب الله تعالى .. هذا الخلط أدّى إلى تصوّرات مشوّهة لبعض المصطلحات ، وإلى اختلاف بينها وبين دلالات الكلمات القرآنيّة المصوّرة لهذه المصطلحات ..

هناك الكثير من الأسئلة التي تُطرَح وتحتاج إلى أجوبة واضحة مبرهنة من كتـــاب الله تعالى :

.. ما هو سرّ تدرّج الرسالات السماويّة والكتب السماويّة للوصـــول إلى الرســـالة الخاتمة وكتابِها (القرآن الكريم) ؟ ..

.. ما هو الفارق بين إنزال القرآن الكريم وبين تنزيله ؟ .. ولماذا اُختصّ القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماويّة بالتنزيل من عند الله تعالى ؟ .. وما هو الفارق بين ما تعنيه كلمة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ وبين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ ؟ .. وما هو الفارق بين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ وبين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ ؟ ..

.. هل يُوجد في متّبعي الرسالات الأُخرى — الآن — من يخلص إلى الله تعـــالى مـــن خلال تلك الرسالات ؟ ..

.. ما هو الفارق بين تفاعل متّبعي الرسالات الأُخرى مع مناهج هـــذه الرســـالات ، وبين تفاعل متّبعي الرسالة الخاتمة مع القرآن الكريم ؟ .. وهل نتيجة العمل ذاته واحدة بين هذه الرسالات ؟ ..

ما هي العلاقة التي تربط بين الإيمان والإسلام والكفر ؟ .. وما هي العلاقة التي تربط بين العلم والعمل والكفر ؟ .. وما علاقة كلّ ذلك بتحديد درجة الخلاص في كلّ رســـالة سماويّة ؟ ..

.. هل كلُّ ما بين أيدينا من موروثات فقهيّة وتفسيريّة وفكريّة يتطابق مع حقيقة مـــا يحمله القرآن الكريم من أدلّة ومعانٍ لهذه الموروثات ؟ ..

.. سأحاول — إن شاء الله تعالى — في هذه النظريّة (سلّم الخلاص) الإجابة علـــى هذه الأسئلة وغيرها ، من خلال برهانٍ معياره القرآن الكريم .. وسأحاول — إن شاء الله تعالى — أن يكون هذا البرهان (في معظم مراحله) معتمداً على معيارٍ عدديٍّ لا يعـــرف

الكذب والخداع ، وهو معيار معجزة إحدى الكُبَر الذي رأيناه في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، لنرى بأمٍّ أعيننا منهجيّةً مجرّدةً عن أيِّ تصوّرٍ مسبق الصنع ، ولنرى في الوقت ذاته عظمة الصياغة القرآنيّة ، وحملَها التبيان لكلِّ شيءٍ كما يؤكّد الله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]

لقد رأينا في النظرية الخامسة (إحدى الكُبَر) أنّ المفردة القرآنيّة فطريّة موحاة من الله تعالى ، علّمها الله تعالى لآدم (آدم النفس قبل حلول نفسه في جسده) في السماء ثمّ هبط بها إلى الأرض ، وبرهنا على ذلك من خلال معيار رياضيٍّ مجرّد .. لذلك فكلّ المصطلحات التي نُعرِّفها في هذه النظريّة نصل إليها من خلال عمقين :

(**أ**) – من خلال دلالات الكلمة القرآنيّة (أو الجملة القرآنيّة) التي تصف المصطلح ، وذلك من خلال جميع المشتقّات المتفرّعة عن الجذر اللغوي الذي تعود إليه هذه الكلمة في القرآن الكريم ، أي من خلال قراءة الكلمة القرآنيّة ، وقراءة الجملة القرآنيّة المحيطة بها ، والنصّ القرآني بشكلٍ عام ..

(**ب**) – من خلال معيار رياضي يتعلّق بمجموع القيم العدديّة لحروف الكلمة (أو الجملة) التي تصف المصطلح المدروس ، وفق الأبجديّة القرآنيّة المكتشفة لأوّل مرّة في العالم في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، أي من خلال قراءة الحرف القرآني ، حيث برهنا (في النظرية الخامسة) أنهّ اللبنة الأولى للمعنى ..

لقد آثرت في برهان هذه النظريّة المرور من البرهان الرياضي المجرّد ، حتى لا يبقى للتصوّرات المسبقة الصنع ، وللعصبيّة الفكريّة ، أيُّ تأثيرٍ على حرف البرهان الحقّ عن مساره السليم ، وبالتالي حتى نصل إلى الحقيقة بأمان ..

نصّ النظريّة :

- **تدرّجت – بحكمة الله تعالى – الرسالات السماويّة والكتب السماويّة ، إلى الرسالة الخاتمة وكتابِها (القرآن الكريم) ، تدرّجاً**

يُوازي تدرّج الحضارة البشريّة والفِكر الإنساني إلى مرحلةٍ يستطيع فيها التفاعل مع نصٍّ يحمل دلالاتٍ متجدّدة لكلِّ جيلٍ في كلِّ مكانٍ وزمان ..

- **درجة ثواب متّبعي الرسالة الخاتمة في الآخرة ، ودرجة عقابهم ، أكبر منهما بالنسبة لمتّبعي الرسالات الأُخرى ، وذلك للأعمال ذاتِها .. والجنّةُ والنارُ ليستا لأُمّةٍ دون غيرها ، ولكنَّ الأُمم تتفاضل عن بعضها (للأعمال ذاتِها) حسب درجة مصداقيّة المنهج وسلامته من التحريف ..**
- **هناك فارقٌ كبيرٌ بين من يُعرض عن الرسالة الخاتمة عن علمٍ بحقيقتها ، وبين من يُعرض عنها عن غير علم ويتّبع رسالة أُخرى بصدقٍ وإيمان وعملٍ صالح ..**
- **كلّ نصٍّ قرآنيٍّ يحمل دلالاتٍ متجدّدة (دون أن تعارض الدلالات التي حملها للأجيال السابقة) ، حتى النصوص القرآنيّة التي تحمل أحكام الحدود ، لا يمكن حصر دلالاتها فقط بالتصوّرات التاريخيّة ..**
- **إدراك دلالات النصوص القرآنيّة في تصاعدٍ مستمرٍّ إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ، ويحكم بالقرآن الكريم ، حيث يصل تفسيره آنذاك إلى ذروته ، ويكون ذلك بأن يلتقي الروح الذي وضعه الله تعالى في بشر (عيسى عليه السلام) ، مع الروح الذي نزّله الله تعالى في كتاب (القرآن الكريم) وذلك كعلامة لقيام الساعة ..**

وتفضّلوا الآن إلى برهان هذه النظريّة ..

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

سلّم الرسالات السماويّة

إنّ تدرّج الرسالات السماويّة للوصول إلى الرسالة الخاتمة ، ليس عبثاً ، وليس بعيداً عن حكمة الله تعالى وتقديره ، فكون الرسالة الخاتمة خاتمةً للرسالات السماويّة ، له تعلُّقُه الذي يجمع بين حكمة الله تعالى في جعل هذه الرسالة صالحةً لكلّ زمانٍ ومكانٍ من جهة ، وبين علْمِ الله تعالى بدرجة التطوُّر الحضاري الذي ستصل إليه البشريّة حين نزول الرسالة الخاتمة ، وبعد نزولها ، من أُخرى من جهةٍ ..

ولإدراك مفهومِ سلّمِ الرسالاتِ السماويّةِ ، لا بدّ لنا من الوقوفِ عندَ كلِّ الصُّوَرِ القرآنيّةِ التي تبيّنُ لنا الرسالاتِ السماويّةَ من آدمَ عليه السلام إلى محمّد ﷺ ، ولا بدّ من إدراكِ معاني الآياتِ الكريمةِ المصوِّرةِ للرسالاتِ ومرسليها إدراكاً تُربَطُ فيه دلالاتُ الكلمةِ القرآنيّةِ بجذرها اللغويِّ الذي تفرَّعت عنه ..

.. لنبدأ بإدراكِ دلالاتِ الصورةِ القرآنيّةِ .. ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣]

إنّنا نرى في هذه الصورة القرآنيّة الحقائق التالية :

١ – لماذا الوصيّة في العبارة القرآنيّة ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ تأتي بصيغةِ الغائبِ والمفردِ ﴿ وَصَّىٰ ﴾ ؟ .. بينما الوحي والوصيّة في العبارة القرآنيّة التالية لها مباشرةً ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ ﴾ تأتي بصيغةِ المتكلّم ، وبصيغةِ الجمعِ ، ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾ ، ﴿ وَصَّيْنَا ﴾ ؟ ..

٢ – لماذا في وصفِ ما شرعهُ اللهُ تعالى بالنسبة لهذه المسألةِ ، نرى في رسالاتِ نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام الوصفَ بصيغةِ الوصيّةِ **﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾** ، **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾** ؟ ، بينما في الذي شرعهُ اللهُ تعالى بالنسبة لرسالةِ محمّدٍ ﷺ نرى أنَّ الوصفَ يأتي بصيغةِ الوحي **﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾** ؟ ..

٣ – لماذا في الرسالات الأخرى تمَّ الوصفُ بكلمةِ [**﴿ مَا ﴾** ، **﴿ وَمَا ﴾**] : **﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾** ، **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾** ؟ .. بينما في رسالةِ محمّدٍ ﷺ تمّ الوصفُ بكلمة **﴿ وَٱلَّذِىٓ ﴾** : **﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾** ؟ ..

٤ – لماذا تمّ انفرادُ نوحٍ عليه السلام في وصيّةٍ لوحدهِ **﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾** ، وتمّ جمعُ إبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام في وصيّةٍ واحدةٍ **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾** .. ولماذا تمّ انفرادُ الرسولِ ﷺ لوحدهِ في الوحي المتعلّق بهذه المسألة **﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾** ، مع العلمِ أنّ الله تعالى أوحى لغيره من البشر ؟ ..

٥ – لماذا تمّ ذكرُ الرسلِ نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليه السلام ، ولم يُذكر اسمُ الرسولِ محمّدٍ ﷺ بشكلٍ صريحٍ **﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾** ؟ ..

٦ – لماذا تمّ وضْعُ العبارة التي تصفُ ما أُوحي إلى الرسولِ ﷺ **﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾** بين ما وصّاهُ اللهُ تعالى لنوحٍ عليه السلام من جهةٍ **﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾** ، وبين ما وصّاه الله تعالى لإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام من جهةٍ أُخرى **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾** .. : **﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾** .. مع العلم أنّ الرسالة التي أُنزلت على الرسول محمّدٍ ﷺ هي آخر الرسالات السماويّة ؟ ..

٧ – لماذا تمَّ في هذه المسألة اختيارُ الرسلِ نوحٍ ومحمّدٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم صلوات الله تعالى ، دون غيرِهم من بين باقي الرسل عليهم السلام ؟ ..

.. للإجابة على هذه الأسئلة وغيرِها ، لا بدَّ من تدبّرِ كلماتِ هذه الصورةِ القرآنيّةِ ضمن سياقِ النصِّ القرآنيِّ المحيطِ بها ، ومن منظار الدلالات والمعاني التي يحملُها كتابُ الله تعالى بالنسبة لكلِّ المسائلِ التي تحملُها هذه العبارة القرآنيّة ..

إنّ سياقَ النصِّ المحيطِ بهذه الصورة القرآنيّة هو النصُّ التالي :

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى : ١١ – ١٦]

فقبلَ هذه الصورةِ القرآنيّة نرى خطاباً للبشريّة جمعاء ، وليس خاصّاً بأُمّة محمّد ﷺ لوحدِهم **﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ ﴾** ، **﴿ يَبۡسُطُ**

﴿ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، والآيةُ التاليةُ مباشرةً للآيةِ الحاويةِ على هذه الصورةِ القرآنيّةِ ، تحملُ خطاباً ليس خاصّاً بمتّبعي المنهج الذي نُزِّل على الرسولِ محمّدٍ ﷺ ، بل هو خطابٌ يصوِّر متّبعي الرسالات السابقة .. ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ..

وفي العبارةُ القرآنيّةُ ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ نرى أنَّ ما شرَعَهُ اللهُ تعالى بالنسبةِ لهذهِ المسألةِ هو من الدين ﴿ مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ وليس كلَّ الدين ، وما يؤكّد ذلك هو العبارةُ القرآنيّةُ التاليةُ مباشرةً للصورةِ القرآنيّةِ موضوع بحثنا ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ ... ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ .. فالذي شرَعَهُ اللهُ تعالى من الدين ووصى به نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام وأوحاهُ إلى محمّدٍ ﷺ هو : ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ ..

.. والشِّرْعَةُ التي يشرعُها الله تعالى ليست عينَ المنهجِ ، فالشِّرْعَةُ هي تبيان السلوك والآليّة السليمة في التعامل مع المنهج .. ففي الآيةِ الكريمةِ التاليةِ نرى أنَّ اللهَ تعالى يُفرِّقُ بين الشِّرْعَةِ والمنهاج ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨]

إذاً في الصورةِ القرآنيّة ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ نرى أنَّ الخطابَ موجّهٌ للبشريّةِ جمعاء ، وأنَّ ما شرَعَهُ اللهُ تعالى من الدينِ للبشريّةِ جمعاء من خلال ما أوصاهُ لنوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام وما أوحاهُ إلى محمّدٍ ﷺ ، تبياناً للسلوكِ والآليّةِ التي يتعاملُ بها البشرُ مع منهجِ اللهِ تعالى ، هو : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ ..

.. والعبارات التالية للآيةِ الحاملةِ لهذه الصورةِ القرآنيّةِ تؤكِّدُ هذه الحقيقةِ ..

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾

﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

فالبشرُ بسلوكهم يتفرّقون في الدين من بعد ما يأتيهم العلمُ بغياً بينهم ، كلٌّ يريدُ تفسيرَ الدينِ حسبَ أهوائهِ وعصبيّاتهِ .. واللهُ تعالى يريدُ من البشرِ ألاّ يفعلوا ذلك .. هذا ما تحملهُ العبارةُ القرآنيّةُ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ ، من الصورةِ القرآنيّةِ موضوع بحثنا ..

أمّا بالنسبةِ للوصيّةِ في كتابِ اللهِ تعالى ، فهي أمرٌ بتنفيذِ مضمونها ، في أمرٍ محدّدٍ معلومٍ مسبقاً ، يعلمُهُ من تقعُ عليهم مسؤوليّةُ تنفيذ هذه الوصيّة ..

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ

بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢ – ١٣٣]

فالوصيةُ التي وصّى بها إبراهيمُ ويعقوبُ عليهما السلام بنيهما ، هي في سلوكيّةِ تعاملِهم مع منهجِ اللهِ تعالى ، وفي الانقياد التامّ لمنهجِ الله تعالى بعيداً عن الأهواء ، ذلك المنهج الذي يعلمُهُ أبناؤهما .. ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ..

والوصيّةُ من اللهِ تعالى للبشرِ تكونُ في التزامِ سلوكِهم وعملِهم وفق منهجِ اللهِ تعالى ، الذي بيّنهُ لهم ..

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٨٠]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء : ١١]

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾[النساء : ١٣١]

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ

وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ – ١٥٣]

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾ [العنكبوت : ٨]

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ [لقمان : ١٤]

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [الأحقاف : ١٥]

.. أمّا الوصيّةُ من الله تعالى لرسلِه عليهم السلام (في ما عدا الصورة القرآنيّة موضوع بحثنا) ، فلم تردْ في كتابِ الله تعالى إلاّ لعيسى عليه السلام ، مباشرةً بعد أن آتاهُ اللهُ الكتابَ وجعله نبيّاً وجعله مباركاً أين ما كان ..

﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾ [مريم : ٣٠ – ٣١] ..

وهكذا .. فالوصيّةُ من اللهِ تعالى للبشرِ لا تكون إلاّ لمن تلقّى منهجاً سماويّاً من الله تعالى ، وتكونُ أمراً من الله تعالى من أجل تنفيذ المسألة (موضوع الوصيّة) الوارد ذكرها في تلك الرسالة السماويّة ، لأهميّتها ولكبرِ ثوابِ من يلتزم بتنفيذها ، ولكبرِ عقاب من يُعرضُ عن تنفيذها ..

لقد رأينا – في النظريّاتِ السابقة – أنّه في الرسالاتِ السابقة كان المنهجُ مستقلاً عن المعجزةِ المؤيِّدةِ لهذا المنهج ، فالمعجزةُ شيءٌ والمنهجُ شيءٌ آخر ، وأنَّ المنهجَ لأقوامٍ محدَّدين في فترات زمنيّةٍ محدَّدة .. ولذلك كان التفاعلُ بين وحي السماءِ وبين الرسلِ السابقين من أجلِ تنفيذِ أحكامِ هذا المنهجِ ، تفاعلاً في إطارِ ساحةِ الزمانِ والمكان التي تفاعلَ فيها البشرُ مع منهجِ اللهِ تعالى المُنْزَل على الرسلِ السابقين ..

فمثلاً كان نوحٌ عليه السلام في تفاعلٍ مستمرٍّ بين وحي السماء وبين تفاعل قومِه مع المنهجِ الذي يحمله ، فحتى السفينة التي صنعها وحملتهُ مع المؤمنين أثناء الطوفان ، كان تفاعلُهُ مع أحداثِها من خلال وحيٍ مباشرٍ من السماء ..

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٧]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠]

وإبراهيمُ عليه السلام كان كذلك في تفاعلٍ مستمرٍ بين وحي السماء وبين تفاعلِ قومِهِ مع المنهج الذي يحملُهُ ، فعلى سبيلِ المثال بعدَ أنْ حاجّهُ أحدُ الكافرين في ربّهِ ، حيث زعمَ الكافرُ أنّه يحيي ويميت ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

بعد ذلك طلب من اللهِ تعالى أن يُريه كيف يُحي الموتى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠]

وفي هذا دليلُ التفاعلِ المستمرِّ بينه وبين وحي السماءِ من جهةٍ ، وبينه وبين تفاعل قومه مع منهجِ السماء من جهةٍ أُخرى ..

وممّا يؤكّد أنّ طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يُريه كيف يحيي الموتى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ كان نتيجة قول الذي حاجّه ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ ، هو التكامل بين هاتين العبارتين القرآنيّتين في معيار معجزة إحدى الكُبَر ، وفق طريقة عدّ الحرف المرسوم حرفاً ، ووفق الأبجديّة القرآنيّة التي بيّناها في فقرة : (

كلمة لا بدّ منها) ... فقد تبيّن معنا في النظريّة الخامسة : (إحدى الكُبَر) ، وفي كتاب : المعجزة الكبرى ، أنَّ العبارات القرآنيّة المتكاملة في المعنى والدلالات ضمن إطار مسألة واحدة يكون مجموع القيم العدديّة لحروفها من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) ، وتبيّن أيضاً أنَّ العبارات القرآنيّة المتوازنة في المعنى والدلالات يكون مجموع القيم العدديّة متساوياً فيما بينها ..

﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ = ٧٤

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ = ١٩٢

٧٤ + ١٩٢ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

والأمثلة التي تدلُّ على تفاعلِ موسى عليه السلام ما بين وحي السماء من جهةٍ ، وبين تفاعل قومه مع منهجِ السماءِ من جهةٍ أخرى ، كثيرة ، وفي قصّة البقرة التي طلب منهم أن يذبحوها أكبرُ دليلٍ على هذا التفاعل ..

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [البقرة : ٦٧ – ٧١]

وعيسى عليه السلام كان في تفاعلٍ مستمرٍّ ما بين السماء وبين تفاعل قومه مع المنهجِ الذي يحمله ، وفي قصّة المائدة أكبرُ دليلٍ على ذلك ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢ — ١١٥]

.. ولذلك في الرسالاتِ السابقة إذا أراد اللهُ تعالى أن يشرعَ سلوكيّةً محدَّدةً في التعاملِ مع منهجه ، كعدمِ التفرّقِ فيه على سبيلِ المثال ، فإنّ ذلك لا يكونُ من خـلال ماهيّـةِ المنهج الذي يُنْزِلُهُ على أيٍّ من رسله السابقين عليهم السلام ، إنّما يكون من خلالِ الإلهام المباشرِ لأحدِ رسله لحلِّ المسألةِ الطارئةِ في القومِ المتفاعلين مع هذا المنهج ، وبالتالي يكـون من خلالِ توصيةِ الرسولِ المتفاعلِ مع هؤلاءِ القومِ ، بأن يُبلغَ قومَه الحلَّ الإلهيَّ للمـسألةِ الطارئة ..

هذا ما نراهُ في ورودِ شرعِ اللهِ تعالى للبشريّة بعدم التفرقّ في الدين ، للرسـل نـوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، بصيغة التوصية ..

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾

.. فمسألةُ إقامةِ الدين وعدمِ التفرّقِ فيه التي شرعها الله تعالى للأقـوامِ الـسابقين ، كانت من خلال توصيةِ اللهِ تعالى لرسله السابقين بأن يُبلغوا ذلك لأقوامِهِم ، حيث المناهج السابقة خاصّة بأقوامٍ محدَّدين ، وتكون تفاعلاً مباشراً بين وحي السماء وبين هذه الأقوام ، من خلال الرسل السابقين عليهم السلام ..

.. وفي ورود الوصية التي وصّاها الله تعالى لنوحٍ عليه السلام بصيغة المفرد والغائب ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ ، نستشفّ أنّ هذه الوصية كانت ممّا أُوحي إليه من الله تعالى مباشرةً دون رسولٍ وسيط ، وأنّ هذه الوصية والمنهج المُنْزَل على نوحٍ عليه السلام أصبحا غائبين بالنسبة لنا ، فلا تُوجدُ الآن رسالةٌ خاصّةٌ لها متّبعوها كما هو الحال في الرسالة التي تكاملت ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام ..

والوصية الخاصّة بالرسالة المتكاملة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام تأتي بصيغةِ الجمعِ والمتكلّم ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ .. فالوصيةُ الخاصّةُ بهذه الرسالة كانت ممّا أوحى اللهُ تعالى للرسل الثلاثة عليهم السلام من خلال وحيِ اللهِ تعالى ، من خلال رسله إليهم ، لذلك أتت الوصيّةُ بصيغة الجمع .. ولما كانت هذه الرسالة موجودة من خلال أتباعِها أتت الوصيّةُ بصيغةِ المتكلّم وليس الغائب ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ ..

ولما كانت الوصيّةُ التي شرعها الله تعالى في هذه المسألة ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ للرسلِ السابقين مباشرةً لينقلوها إلى أقوامهم ، ولمّا كان الرسلُ السابقون غيرَ موجودين ، ورسالاتُهم طالها شيءٌ من التحريف ، نرى أنّ الوصيّة الخاصّة بهم بالنسبة لهذه المسألة تأتي بصيغةٍ أقرب إلى العموميّة والإبهام ، وهي كلمة ﴿ وَمَا ﴾ ... ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ ..

.. وقد تمّ اختيارُ الرسلِ أولي العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم صلوات الله تعالى أجمعين ، دون غيرهم ، لأنّ الله تعالى أخذَ من كلٍّ منهم ميثاقاً خاصّاً ، إضافةً للميثاق الذي أخذه من النبيين كافّةً .. ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] .. وفي تكامل هاتين

الصورتين القرآنيّتين في معيار معجزة إحدى الكُبَر ، دليلٌ على أنّ هؤلاء الرسل يكوّنون مسألةً كاملة ، وذلك بين ما شرعه الله تعالى لهم وما أخذه من ميثاقٍ عليهم ..

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ = ٣٦٠

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ = ٤١٩

٣٦٠ + ٤١٩ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

.. وذريّةُ النبوّةِ وما أُنزل من كتاب ، جعلها الله تعالى في ذريّة نوحٍ وإبراهيمَ عليهما السلام ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [الحديد : ٢٦] .. وبالتالي علينا أنْ نميّزَ في رحلةِ البشريّةِ مع منهجِ اللهِ تعالى بين المرحلتين التاليتين :

١ — المرحلةُ الأولى : تمتدُّ من بدايةِ البشريّة (آدم عليه السلام) ، مروراً بعصرِ نوحٍ — قبل الطوفان وبعده حيث يُعتبرُ نوحٌ الأب الثاني للبشريّة — إلى إبراهيمَ عليه السلام .. وقد وصل الطغيانُ أوجهَه عند قومِ نوحٍ ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠ — ٥٢] .. ولا يُوجد الآن متّبعون للمنهجِ الإلهيِّ الذي أُنزل في تلك المرحلة ، ولم يخبرنا الله تعالى عن رسالةٍ هامّةٍ في تلك المرحلة ، سوى رسالة نوحٍ عليه السلام ، ولذلك نرى أنّ اللهَ تعالى قد خصَّ نوحاً عليه السلام بوصيّةٍ خاصّةٍ به في المسألة التي شرعها للبشريّة في تلك المرحلة ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ ..

وهذه المرحلة (التي مركزها نوحٌ عليه السلام) ، أوّلُ رسولٍ فيها هو آدمُ عليه السلام ، وما يفصلُها عن المرحلةِ الثانيةِ هو إبراهيمُ عليه السلام .. ففي هذه المرحلةِ علينا

أن نقفَ عند الأسماءِ الثلاثةِ : ﴿ ءَادَمُ ﴾ ، ﴿ نُوحٌ ﴾ ، ﴿ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ ، التي تتميّزُ عن غيرها من أسماءِ مُرسلي هذه المرحلة ..

ولمّا كانت ذريّة النبوّة من نوحٍ وإبراهيم عليهما السلام ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ولمّا كان إبراهيم — هو ذاته — من ذريّة نوح ، فعلينا أن نميّز بين إبراهيم قبل إنجابه (إبراهيم التابع لذريّة نوحٍ عليه السلام) ، وذلك في المرحلة الأولى ، وبين إبراهيم الذي أنجب ، حيث ذريّة أنبياء المرحلة الثانية منه ..

.. ومن المعلوم أنَّ نوحاً عليه السلام هو الأب الثاني للبشريّة بعد آدم عليه السلام ، فذريّته فقط هم الباقون ، يقولُ تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧]

.. فإبراهيمُ — هو ذاتُه — من ذُريَّةِ نوح ... وما نراه أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ولم يقل : (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِيهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) .. فنوحٌ وإبراهيمُ عليهما السلام هما ضمنَ إطارِ ذريّةٍ واحدةٍ متّصلة ..

ولو عُدنا إلى رسم كلمةِ إبراهيمَ عليه السلام في القرآن الكريم ، لوجدناها تُرسم بشكلين متمايزين : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ (ألف ، باء ، راء ، هاء ، ميم) ، ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (ألف ، باء ، راء ، هاء ، ياء ، ميم) ، ففي بدايةِ القرآن الكريم — في سورة البقرة — تُرسم ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ومن ثمّ — بعد سورة البقرة — تُرسم ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .. وقد بيّنا في النظريّةِ الأُولى (المعجزة) أنَّ هذا التمايز في الرسم يعود لمرورِ اسمه عليه السلام في مرحلتين ، مرحلة ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ومرحلة ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ..

.. فهذا الرسم إشارةٌ من الله تعالى إلى أنَّ كلمة ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ تتبع للمرحلة الأُولى التي نحن بصددِ الحديثِ عنها [حيث إبراهيم (قبل إنجابه) آخر رسول من رسل المرحلة

الأولى] ، وإلى أنّ كلمةَ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ تتبع للمرحلةِ الثانيةِ (حيث إبراهيم عليه السلام أبو أنبياء المرحلة الثانية) التي سنتحدّثُ عنها في الفقرةِ التالية ..

.. وتكامل المعنى والدلالات بين العبارتين القرآنيّتين : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ ﴾ [الحديد : ٢٦] .. والذي استنبطنا منه الخطّ الفاصل بين مرحلتي الرسالات السماويّة .. هذا التكامل نراه تكاملاً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] = ٥٧٩

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ ﴾ [الحديد : ٢٦] = ٣١٤

٥٧٩ + ٣١٤ = **٨٩٣ = ١٩ × ٤٧**

.. وممّا يؤكّدُ أنَّ المرحلةَ الأولى كاملةٌ مستقلّةٌ ، أنَّ مجموعَ القيمِ العدديّةِ للأسماءِ المكوِّنةِ لبدايتها ﴿ ءَادَم ﴾ ومركزها ﴿ نُوحٌ ﴾ ونهايتها ﴿ إِبْرَٰهِيم ﴾ ، من المضاعفات التامّةِ للعدد (١٩) دون زيادةٍ أو نقصان :

﴿ ءَادَم ﴾ = ٢١ ،، ﴿ نُوحٌ ﴾ = ٢٦ ،، ﴿ إِبْرَٰهِيم ﴾ = ٢٩

٢١ + ٢٦ + ٢٩ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. وقد خاطب الله تعالى رسل هذه المرحلة بأسماء ذاتها ، خطاباً مسبوقاً بأداة النداء .. ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦] .. فما يميّز هذه المرحلة هو

كونُ رسلِها محورَ منهجِ الله تعالى للبشر ، دون الكتاب السماوي ، فالبـشريّة في تلـك المرحلة لم تصل إلى درجة التفاعل المطلوب مع الكتاب السماوي ، ولذلك نـرى عـدم وجود متّبعين – الآن – لرسالات هذه المرحلة ..

٢ – المرحلةُ الثانية : بدأت بإبراهيمَ عليه السلام [يُشيرُ القرآنُ الكـريمُ إلى ذلـك بالرسم ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾] حيثُ الأنبياء المرسلون في هذه المرحلة من ذريّةِ إبراهيم عليه السلام ، وهذه المرحلة بدأت بعد إنجاب إبراهيم عليه السلام ، أي بعد كونه أباً لأنبياء المرحلـة الثانية .. وفي هذه المرحلة يجب أنّ نميّزَ بين حلقتين متمايزتين :

(أ) – الحلقة الأولى امتدّت من إبراهيمَ عليه السلام إلى عيسى عليه الـسلام ، وفي هذه الحلقة محطّتان هامّتان هما رسالتا موسى وعيسى عليهما السلام ، وفي هذه الحلقـة تمّ التبشيرُ بالرسولِ أحمد ﷺ ..

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦]

وهذه الحلقة من المرحلةِ الثانية على الرغمِ من وجودِ أتباعٍ لها (الآن) لرسالتي موسى وعيسى عليهما السلام ، إلاّ أنَّ رسالات إبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام ، يجمعها أنّها كانت لأزمنةٍ محدّدةٍ ، حيثُ التفاعل ما بين المنهج السماويِّ والبشر ، يكـون مـن خلال هؤلاءِ الرسل كما رأينا ، ومن خلال كُتب سماويّة ليست للبشريّة جمعـاء وإنّمـا لأقوامٍ محدّدين ، وهذه الرسالات كانت في إطارٍ واحدٍ ، فعيسى عليه السلام كان نفخـةً روحيّةً في الماديّة التي آل إليها متّبعو رسالة موسى عليه السلام .. ولذلك نرى أنّ الله تعالى جمع الرسل الثلاث إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في وصيّةٍ واحدةٍ ، في المـسألة التي شرعها للبشريّة جمعاء .. **﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ ﴾** ..

.. فهذه المرحلةُ تمهيدٌ للرسولِ **﴿ أَحْمَدُ ﴾** الذي بشّرَ به **﴿ عِيسَى ﴾** عليه السلام ، وفي هذه المرحلة رفعَ إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام القواعدَ من البيت كتمهيدٍ لمجيءِ الرسول المبشَّر به (الذي اسمه — أحمد — في تلك الحلقة) ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ — ١٢٩]

.. وهكذا نرى أنَّ العناصرَ الأساسيّةَ في هذه المرحلةِ هي : **﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾** ،، **﴿ مُوسَىٰ ﴾** ،، **﴿ أَحْمَدُ ﴾** ،، **﴿ عِيسَى ﴾** .. ولو قمنا بجمع القيم العدديّة لحروف هذه الأسماء (حسب الأبجديّة القرآنيّة) ، لوجدناها من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادةٍ أو نقصان ، وفي هذا دليلُ اكتمال هذه الحلقة ..

﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ = ٣٥ ،، **﴿ مُوسَىٰ ﴾** = ٢٥ ،، **﴿ أَحْمَدُ ﴾** = ٣٩ ،، **﴿ عِيسَى ﴾** = ٣٤

٣٥ + ٢٥ + ٣٩ + ٣٤ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

وخاطب الله تعالى — أيضاً — رسل هذه الحلقة من المرحلة الثانية بأسماء ذاتِها ، خطاباً مسبوقاً بأداة النداء ..

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤]

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٤ – ١٠٥]

.. ففي هذه الحلقة من المرحلة الثانية ، ارتقت الحضارة البشريّة إلى درجة التفاعل مع كتابٍ سماويٍّ خاصٍّ بأقوامٍ محدّدين ، ولذلك نرى الآن متّبعين لرسالات هذه الحلقـــة .. ولكنّها لم ترتقِ إلى درجة التفاعل مع نصٍّ يحمل من الدلالات والمعاني لكلِّ جيلٍ في كـــلِّ مكانٍ وزمان ، ما يتناسب مع البعد الحضاري الذي يعيشه هذا الجيل ..

(**ب**) – الحلقة الثانية بدأت برسالة محمّدٍ ﷺ ولن تنتهي حتى قيام الساعة ..وتتميّـــز عن الحلقةِ السابقةِ من هذه المرحلةِ ، بأنَّ المنهجَ أصبحَ للبشريّةِ جمعاء ، ولذلك نرى أنّ الله تعالى أفرد الرسولَ ﷺ بخصوصيّة لوحده في المسألة التي شرعها للبشريّة جمعـــاء ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ..

ولّما اُختصَّ المنهج الذي أُنزل على الرسول ﷺ بأنّهُ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان ، وملتحمٌ بالمعجزةِ التي لا يُحيطُ بها إلاّ اللهُ تعالى ، وقولُ الله تعالى الذي صاغه وتحدّى البشر من الإتيان بمثله .. ولّما كان الرسول ﷺ لا يملك أيَّ صلاحيّةٍ في تبديل أيِّ حكمٍ فيه ، ووظيفته ﷺ لا تتعدّى تفصيل كليّاتِ أحكامه ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥] .. ولّما كان القرآنُ الكريمُ خِطاباً مباشراً لكلِّ جيلٍ ، بل لكلِّ إنسانٍ حتى قيام الساعة ، فإنّ ما شرعه الله تعالى للبشريّة جمعاء ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ ، متضَمَّنٌ في هذا المنهج (القرآنِ الكريم) ، ولذلك نرى أنّ العبارةَ القرآنيّةَ المصوّرة لما

شرعه الله تعالى في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية يأتي بصيغة الوحي الذي يعني القرآن الكريم ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ ..

ولمّا كان القرآنُ الكريمُ موجوداً بين أيدي البشر ومحفوظاً من اللهِ تعالى دون أن تطاله يد التحريف ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وبالتالي ما شرعه اللهُ تعالى فيه واضحٌ وبيّنٌ ومحفوظٌ حتى قيامِ الساعة ، لذلك نرى أنّ الله تعالى يقول ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ ، ولم يقل (وما أوحينا إليك) .. ففي حين وردت كلمة [﴿ مَا ﴾ ، ﴿ وَمَا ﴾] للرسالات السابقة : ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ ، ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ ، ترد كلمة ﴿ وَٱلَّذِىٓ ﴾ في رسالة الرسول ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ ..

.. ولمّا كان منهجُ الرسولِ ﷺ (القرآن الكريم) صالحاً لكلِّ زمانٍ ومكان ، وكلُّ إنسانٍ مكلّفاً – حسب علمهِ بالقرآن الكريم – بإيصال رسالته إلى البشريّة حسب استطاعته ، ويخاطبُ كلَّ إنسان مباشرةً ، وليس خاصّاً لعصرِ النبيِّ ﷺ ، وهو وحي الله تعالى المباشر لكلِّ متدبّرٍ للقرآن الكريم في كلِّ زمانٍ ومكان ، لذلك نرى غياب ذكر اسم الرسول محمّد ﷺ صراحةً ، في حين ترد أسماء المرسلين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ .. ونرى انفراد منهج القرآن الكريم بالوحي دون الوصيّة في هذه العبارة القرآنيّة ، فالقرآنُ الكريم أُنزل للبشريّةِ جمعاء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] ، وكلُّ داعية إلى الله تعالى من خلال القرآن الكريم ، هو حامل رسالةَ المنهج ووحيَ الله تعالى الذي أُنزل على محمّد ﷺ ..

وقد رأينا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) أنّ الله تعالى لم يخاطب اسم الذات للرسول ﷺ في القرآن الكريم بأداة النداء ولا مرّة ، فلم يقل تعالى (يا محمد) أو (يا أحمد) ، إنّما خاطبه بالصيغ : [﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾] ، ومن خلالِ الإشارةِ إليه ﷺ دونَ ذكرِ اسمه ، وذلك لتحملَ العباراتُ القرآنيّةُ إطلاقاً يتعلّق به كلُّ داعيةٍ ومخلصٍ لله تعالى ، تعلّقاً يتناسب مع درجة دعوته لله تعالى وخلاصه ونبله ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة : ٤١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٣]

.. ولمّا كانت الحلقةُ الثانيةُ من المرحلةِ الثانيةِ ، للبشريّةِ جمعاء ، ومنهجُها ومعجزتُها مستمرّةً ومحفوظةً حتى قيامِ الساعةِ ، فقد قدّمها اللهُ تعالى على الحلقةِ الأولى داخل هذه المرحلةِ (المرحلةِ الثانية) : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ ، فالعبارة القرآنيّةُ ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ تسبقُ العبارةَ القرآنيّةَ ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ ..

ففي هذه الحلقة من المرحلة الثانية ارتقت الحضارة البشريّة إلى درجة التفاعل مع كتابٍ سماويٍّ (القرآن الكريم) صالحٍ لكلِّ زمانٍ ومكان ، وللبشريّة جمعاء ، بحيث يكون المنهجُ محورَ رسالة الله تعالى للبشرِ حتى قيام الساعة ..

وكما أنَّ المرحلةَ الأولى التي بدأت بنوحٍ عليه السلام كانت تمهيداً للحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية (من إبراهيمَ إلى عيسى عليهما السلام) ، فإنَّ الحلقةَ الأولى من المرحلةِ

الثانيةِ كانت تمهيداً للحلقةِ الثانيةِ من هذه المرحلة ، فقد سما المنهج والمعجزةُ إلى مستوى البشريّةِ جمعاء ، ليحتوي تطوّرَها الحضاري والفكري حتى قيام الساعة ، حيثُ خُتمتْ الرسالاتُ السماويّة ..

.. وكما أنّ إبراهيمَ عليه السلام كان الحدَّ الفاصلَ بين المرحلة الأولى والثانية ، حيث دخل اسمه ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ في حساب المرحلة الأولى ، ودخل اسمه ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ في حساب الحلقة الأولى من المرحلة الثانية .. كذلك نجد أنَّ عيسى عليه السلام يشكّل الحدَّ الفاصلَ بين الحلقتين الأولى والثانية من المرحلةِ الثانية ، ويتداخل ما بين الحلقتين ، فهو الذي بشّر بالرسول ﷺ ، وهو الذي سيعود ويترل مرّةً أُخرى خلال فترةِ الحلقة الثانية والأخيرة (التي مركزها محمّد ﷺ) ..

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٧ – ١٥٩]

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٥٧ – ٦١]

.. وهكذا نرى أنَّ في الحلقةِ الأخيرةِ اسمين ، هما ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ عِيسَى ﴾ ، ولو قمنا بجمع القيم العدديّة لحروف هذين الاسمين (حسب الأبجديّة القرآنيّة) لرأينا المجموعَ من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادةٍ أو نقصان ، وفي هذا دليلٌ لاكتمال هذه الحلقة ..

﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ ،، ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤

٤٢ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. وقد رأينا في النظريّةِ الرابعةِ (الحكمة المطلقة) ، كيفَ أنَّ مجمــوعَ ورودِ أسمــاءِ الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم يساوي تماماً مجموعَ ورود مشتقّات الجــذر (ر ، س ، ل) .. وكلٌّ منهما يكوِّنُ مسألةً كاملة ، فكلمة أرسل ومشتقّاها ترد في كتابِ الله تعالى (**٥١٣ = ١٩ × ٢٧**) مرّة ، وكذلك فإنّ مجموع ورود أسماء الأنبياء والمرسلين يــرد أيضاً بعدد ورود هو : (**٥١٣ = ١٩ × ٢٧**) ..

﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ (١) مرّة واحدة ،، **﴿ أَحْمَدُ ﴾** (١) مرّة واحدة ،، **﴿ إِدْرِيسَ ﴾** (٢) مرّتين ،، **﴿ ذَا ٱلْكِفْلِ ﴾** (٢) مرّتين ،، **﴿ إِلْيَاسَ ﴾** (٢) مــرّتين ،، **﴿ ٱلْيَسَعَ ﴾** (٢) مرّتين ،، **﴿ لُقْمَـٰنَ ﴾** (٢) مرّتين ،، **﴿ أَيُّوبَ ﴾** (٤) مرّات ،، **﴿ يُونُسَ ﴾** (٤) مرّات ،، **﴿ مُحَمَّدٌ ﴾** (٤) مرّات ،، **﴿ يَحْيَىٰ ﴾** (٥) مرّات ،، **﴿ هُودًا ﴾** (٧) مرّات ،، **﴿ زَكَرِيَّآ ﴾** (٧) مرات ،، **﴿ صَـٰلِحٌ ﴾** (٩) مرّات ،، **﴿ شُعَيْبٌ ﴾** (١١) مرّة ،، **﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾** (١٢) مرّة ،، **﴿ يَعْقُوبَ ﴾** (١٦) مرّة ،، **﴿ دَاوُۥدُ ﴾** (١٦) مرّة ،، **﴿ إِسْحَـٰقَ ﴾** (١٧) مرّة ،، **﴿ سُلَيْمَـٰنَ ﴾** (١٧) مرّة ،، **﴿ هَـٰرُونَ ﴾** (٢٠) مرّة ،، **﴿ ءَادَمَ ﴾** (٢٥) مرّة ،، **﴿ عِيسَى ﴾** (٢٥) مرّة ،، **﴿ لُوطٍ ﴾** (٢٧) مرّة ،، **﴿ يُوسُفُ ﴾** (٢٧) مرّة ،، **﴿ نُوحٌ ﴾** (٤٣) مرّة ،، [**﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾** + **﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾**] (٦٩) مرّة ،، **﴿ مُوسَىٰٓ ﴾** (١٣٦) مرّة ..

.. وهكذا يكون المجموع (**٥١٣**) مرّة ..

٥١٣ = ١٩ × ٢٧

.. إذاً نحن أمامَ مرحلةٍ أولى بدأت بآدم عليه السلام ، وانتهت عند إبـــراهيم عليـــه السلام قبل إنجابه [حيث يدخل هذه المرحلة من خلال اسم : ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾] ، ومرحلةٍ ثانية مُكوَّنةٍ من حلقتين ، بدأت الحلقةُ الأولى من إبراهيم عليه السلام بعد إنجابه [حيـــث يدخل فيها من خلال اسم ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ كما رأينا] ، وانتهت عند عيسى عليه الـــسلام ، وبدأت الحلقةُ الثانيةُ بمحمّدٍ ﷺ ولن تنتهي حتى قيام الساعة ، وبعد نزول عيـــسى عليـــه السلام مرّةً ثانية ..

وهكذا نرى أنَّ إبراهيمَ عليه السلام الذي كان الخطَّ الفاصلَ بـــين المرحلـــةِ الأولى والثانية ، شارك في المرحلتين باسمين هما : [﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾] ، حسب الرسم القرآني .. وعيسى عليه السلام الذي كان الخطَّ الفاصلَ بين الحلقتين الأولى والثانية مـــن المرحلة الثانية ، يشاركُ في المعادلة الكليّة الكاملة المصوِّرة لمشاركة أسماءِ الأنبياء والمرســـلين في مراحل الرسالات السماويّة ، باسمين .. أحدهما هو : ﴿ عِيسَىٰ ﴾ ، كما نعلم ، والثاني تبيّنه لنا الآية الكريمة التالية ..

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥]

.. إذاً الاسم الآخر الذي يدخل به عيسى عليه السلام هـــو : ﴿ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ ، وهذا هو اسمه المبشَّر به (قبل ولادته) .. فقولـــه تعـــالى ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ ، يبيّنُ لنا بـــشكلٍ صريحٍ الاسم الآخر الذي يشاركُ به عيسى عليه السلام كونه رسولاً له وجودُهُ في مراحلِ الرسالات السماويّة ، كما بيّن لنا اسمي إبراهيم عليه السلام [﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾] من خلال تمايز الرسم القرآني لهذين الاسمين .. وسنرى كيـــف أنّ الاســـم ﴿ ٱلۡمَسِيحُ

﴿ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ يدخلُ في محورٍ ينتهي عند هذا الاسم ، قبل ولادة عيسى عليه الســلام ..

.. وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مشاركةَ الاسم ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، في رسمِ مراحلِ الرسالات السماويّة هو اشتراكُهُ مع الاسمين : ﴿ يَحْيَىٰ ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ﴾ ، في مسألةٍ كاملةٍ مُكوَّنةٍ من هذه الأسماءِ وهي مسبوقة بكلمة : ﴿ ٱسْمُه ﴾ ، التي يصفُ اللهُ تعالى في سياقِها كلَّ اسمٍ من هذه الأسماء ..

﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] = ١٤٢

﴿ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [مريم : ٧] = ٥٨

﴿ ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] = ٦٦

١٤٢ + ٥٨ + ٦٦ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

فالاسم ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ خاصٌّ بالمرحلة الأولى من الحلقة الثانية ، حيث هو الاسم المبشَّر به كما رأينا ، والاسم : ﴿ عِيسَى ﴾ ، هو الاسم الذي خُتمت به الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، وذلك حين رُفع عيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .. لذلك رأينا كيف أنّ هذا الاسم ﴿ عِيسَى ﴾ يدخل في العناصر الأساسيّة للحلقة الأولى من المرحلة الثانية ..

والرسول محمّد ﷺ شارك أيضاً باسمين هما : [﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ﴾] .. ﴿ أَحْمَدُ ﴾ هو الاسم المُبشَّر به في الحلقة الأولى من المرحلةِ الثانية ، وَ ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ (على وزن مُفَعَّل) هو الاسم في الحلقةِ الثانية ..

وكما رأينا أنّ مجموعَ ورود أسماءِ الأنبياءِ والمرسلين في القرآنِ الكريم يكوِّن مــسألةً كاملةً (من المضاعفات التامّة للعدد — ١٩ — دون زيادة أو نقصان) ، نرى أنّ مجمــوعَ

القيمِ العدديّةِ لأسماءِ الأنبياءِ والمرسلين المصوِّرة لمشاركتهم في رسم مـــرحلتي الرســالات السماويّة ، هو من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان ، فهذه الأسمـــاءُ تكوِّن مسألةً كاملة ..

﴿ ءَادَمَ ﴾ = ٢١ ،، **﴿ مُوسَىٰٓ ﴾** = ٢٥ ،، **﴿ عِيسَى ﴾** = ٣٤ ،، **﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾** = ١١٥ ،، **﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾** = ٣٠ ،، **﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾** = ٢٩ ،، **﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾** = ٣٥ ،، **﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾** = ٤٠ ،، **﴿ يَعْقُوبَ ﴾** = ٤٦ ،، **﴿ إِسْحَٰقَ ﴾** = ٤٨ ،، **﴿ هَٰرُونَ ﴾** = ٢٣ ،، **﴿ دَاوُۥدُ ﴾** = ٣٨ ،، **﴿ نُوحٌ ﴾** = ٢٦ ،، **﴿ زَكَرِيَّآ ﴾** = ٤٩ ،، **﴿ يَحْيَىٰ ﴾** = ٣١ ،، **﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾** = ٤٢ ،، **﴿ أَيُّوبَ ﴾** = ٢١ ،، **﴿ يُونُسَ ﴾** = ٢٩ ،، **﴿ يُوسُفُ ﴾** = ٣٩ ،، **﴿ إِلْيَاسَ ﴾** = ٢٥ ،، **﴿ ٱلْيَسَعَ ﴾** = ٣٦ ،، **﴿ لُوطٍ ﴾** = ٣٣ ،، **﴿ هُودٌ ﴾** = ٢٨ ،، **﴿ صَٰلِحٌ ﴾** = ٤٢ ،، **﴿ شُعَيْبٌ ﴾** = ٤٨ ،، **﴿ إِدْرِيسَ ﴾** = ٤٦ ،، **﴿ ذَا ٱلْكِفْلِ ﴾** = ٤٦ ،، **﴿ لُقْمَٰنَ ﴾** = ٢٣ ،، **﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾** = ٣٤ ،، **﴿ أَحْمَدُ ﴾** = ٣٩ ..

المجموع هو : **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

.. ومراحل الرسالات السماويّة (المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية بحلقتيها الأولى والثانية) ، كانت تدرّجاً برعايةِ اللهِ تعالى للوصولِ إلى الرسالة الخاتمة التي أُنزلت على الرسول محمّد ﷺ ، بحيث تكون هذه الرسالة وريثةَ الرسالاتِ السابقة ، ورسالةً مستمرّة حتى قيامِ الساعة دون الحاجة لإنزال مناهج أُخرى .. هذه الرعاية الإلهيّة في تدرّج الرسالات السماويّة للوصولِ إلى الرسالةِ الخاتمة ، نراها جليّةً بعد الاطّلاع على النقاطِ التالية ..

[١] – نحن نعلم أنَّ أنبياء المرحلةِ الثانية (بحلقتيها الأولى والثانية) من ذريّةِ إبراهيم عليه السلام .. وقد بيّن لنا القرآنُ الكريمُ أنَّ أَوْلى الناسِ بإبراهيمَ عليه السلام ، هم الذين اتّبعوه ، والنبيّ ﷺ ..

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨]

لذلك هدى الله تعالى نبيَّه ﷺ ملّةَ إبراهيمَ عليه السلام ، وأوحى إليه بأن يتّبع هذه الملّة

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام : ١٦١]

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣]

.. هذا الرابط ما بين إرسالِ إبراهيمَ عليه السلام ومحمّدٍ ﷺ ، نراه جليّاً في الصورةِ القرآنيّةِ التالية ..

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الحج : ٧٨]

.. هذه المسألة الكاملة التي تصوّرها الصوَر القرآنيّة السابقة ، تصدّقُ تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨] = <u>٢٠٥</u>

﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ ﴾ [الأنعام ١٦١:] = ٣٤٤

﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ [النحل : ١٢٣] = ٢٠٨

﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ [الحج : ٧٨] = ٣٢٦

٢٠٥ + ٣٤٤ + ٢٠٨ + ٣٢٦ = **١٠٨٣ = ١٩ × ١٩ × ٣**

.. وهكذا نرى أنّ الرسولَ المُبشَّر به ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ في الحلقةِ الأُولى من المرحلة الثانية ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ [الصف : ٦] ، هو الاسم الذي تُمثِّلُ رسالتُهُ التي يحملها خلاصةَ الرسالات السماويّة ، والرسالةَ المنتظرة للبشريّةِ جمعاء ، من آدم عليه السلام (أوّل الرسل) مروراً بإبراهيمَ عليه السلام الذي نزل من ذريّته وأَوْلى الأنبياءِ به ، والذي طلب من اللهِ تعالى مجيئه ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، ومروراً بالرسولِ المُبَشِّر عيسى عليه السلام والذي سيترل مرّةً ثانية في الحلقةِ الثانية كما رأينا ، وصولاً إلى رسولِ الحلقةِ الثانيةِ محمّدٍ ﷺ خاتم الأنبياءِ والمرسلين ..

هذه المسألة الكاملة التي تُبيّن النقاط الأساسيّة التي تمرُّ منها أسماء المرسلين وصولاً إلى رسالةِ البشريّة جمعاء ، نراها تكاملاً في مجموعِ القيمِ العدديّةِ للأسماء التي مرّت في نقاطِها الأساسية ، وذلك بمعيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ءَادَمَ ﴾ = ٢١ + ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ + ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

وحتى لو أخذنا الحلقة الأولى فقط من المرحلةِ الثانية والتي فيها الاسم ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ يسمّي الرسول المبشَّر به ، لرأينا أنَّ الذريّةَ التي سيأتي منها ﷺ تبدأ بإبراهيم عليه السلام ،

مروراً بفرعِ إسماعيل عليه السلام .. هذه المسألة الكاملة نراها تكاملاً في مجمـــوعِ القـــيمِ العدديّةِ للأسماءِ المكوّنةِ لعناصرها ..

﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ + ﴿ أَحۡمَدُ ﷺ ﴾ = ٣٩ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. وقد رأينا في النظريّةِ الخامسة (إحدى الكُبَر) أنّ تكاملَ المعنى والـــدلالات بـــين طلبِ إبراهيمَ عليه السلام ببعثِ الرسولِ ﷺ من جهةٍ وبين إجابةِ هذا الطلبِ مـــن جهـــةٍ أُخرى ، ينعكس تكاملاً في مجاميعِ القيم العدديّة للحروفِ المـــصوِّرة للعبـــارات القرآنيّـــة الخاصّةِ بهذه المسألة ، ورأينا أيضاً أنَّ هذا التكاملَ ينسحبُ على كلِّ صورةٍ لوحدها ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٢٩] = **٤١٨ = ١٩ × ٢٢**

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [البقرة : ١٥١] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. ودعاء إبراهيم عليه السلام نراه مكوّناً من قسمين ، كلٌّ قسم هو مسألة كاملة :

أ – قسم يتعلّق بالرسالة التي يحملها الرسولُ الذي يطلبُ من الله تعالى أن يبعثـــه في هذه الأمّة ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

ب – قسمٌ يتعلّق بماهيّة هذا الرسول وعمله ..

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. ولو نظرنا في جواب الله تعالى على كلّ قسمٍ من هذين القسمين ، لرأيناه مسألةً كاملة ..

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ ﴾ = ١٣٠

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ = ٢٦٩

١٣٠ + ٢٦٩ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ = ٢٦٩

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ = ٢٦٣

٢٦٩ + ٢٦٣ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. ولو قمنا بجمع القيم العدديّة لحروف العبارات القرآنيّة المصوِّرة للقسم الأوّل من الدعاء ، وإجابته ، لرأينا عظمة الإعجاز القرآني تتجلّى بأن يكون هذا المجموع تسعة عشر ضعفاً القيمة العدديّة لكلمة ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ الذي يتعلّق به هذا القسم من الدعاء ومن إجابته ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ = **١٥٢**

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ ﴾ = ١٣٠

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ = ٢٦٩

١٥٢ + ١٣٠ + ٢٦٩ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ = **٢٩**

.. ولو قمنا بجمع القيم العدديّة لحروف العبارات القرآنيّة المصوّرة للقسم الثاني من الدعاء ، وإجابته ، لرأينا أنّ عظمة الإعجاز القرآني تتجلّى بأن يكون هذا المجموع تسعة

عشر ضعفاً القيمة العدديّة لكلمة ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ الذي يتعلّق به هذا القسم من الدعاء ومـــن إجابته ..

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ = **٢٦٦**

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٩

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٣

٢٦٦ + ٢٦٩ + ٢٦٣ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = **٤٢**

[٢] – الرعاية الإلهيّة في تدرّجِ الرسالاتِ السماويّة وصولاً إلى الرسالة الأخـــيرة للبشريّةِ جمعاء ، نراها في نزولِ القرآنِ الكريم بلغةِ السماءِ ، التي تكلّمَ بها أبو البشريّةِ جمعاء (آدم عليه السلام) ، والتي تعلّمها في السماءِ قبل هبوطِه إلى الأرض .. هذه الحقيقة برهنّا عليها في النظريّةِ الخامسة (إحدى الكُبَر) بدليلٍ رياضي لا يعرف الكذب والخداع ..

.. لقد علّمَ اللهُ تعالى آدمَ **[** آدمَ النفس قبلَ خَلْقِ جسدِهِ وحلولِ نفسهِ فيه ، كما رأينا في النظريّةِ الثانية (القدر) **]** الأسماءَ كلّها ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] ، وحينما يقولُ اللهُ تعالى ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ فهذا يعني أسماءَ كلِّ شيءٍ في هذا الكون .. واللهُ تعالى نزّل كتابَه (القرآن الكريم) تبياناً لكلِّ شيءٍ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وهذا يقتضي أن يكون تبياناً للأسماء التي علّمها لآدمَ عليه السلام ، وبالتالي فالأسماءُ التي علّمها لآدمَ عليه السلام (أسماء كلِّ شيءٍ) هي المفرداتُ القرآنيّة (تبيان كلِّ شيءٍ) ..

ولو أخذنا الآيات الكريمة المتعلّقة بتعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلّها ، مع الآية الكريمة التي تبيّن لنا أنّ الله تعالى نزَّل القرآن الكريم تبياناً لكلِّ شيء ، لرأينا مسألةً كاملة تـــصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣١ – ٣٣] = ١٢٣٤

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] = ٧٠٤

١٢٣٤ + ٧٠٤ = **١٩٣٨ = ١٩ × ١٠٢**

.. وقد برهنّا – في النظريّةِ الخامسةِ (إحدى الكُبَر) – أنَّ الحرفَ القرآنيَّ – وليس الكلمة كما هو حال اللغات الوضعيّة – هو اللبنة الأولى للمعنى ، فقد بيّنا أنَّ تكاملَ المعنى والدلالات بين العبارات القرآنيّة ، وتوازنها ، ينعكس تكاملاً وتوازناً في مجاميع القيمِ العدديّةِ للحروفِ المكوِّنة لهذه العبارات .. فلمّا كان الحرفُ القرآنيُّ اللبنةَ الأولى في البناءِ الرقميِّ (من خلال إعطاءِ كلِّ حرفٍ قيمة عدديّة تميّزه كما رأينا) ، ولمّا كان البناءُ الرقميُّ انعكاساً لتكامل بناءِ المعنى والدلالات ، وتوازنِه ، فهذا يقتضي أنّ الحرفَ القرآنيَّ هو اللبنةُ الأُولى في بناء المعنى والدلالات ، وهذا لا يكونُ إلاّ إذا كانت المفرداتُ القرآنيّةُ فطريّةً موحاةً من الله تعالى ..

.. فالكلمة القرآنيّة تحمل معنىً هو مجموع معاني الحروف المكوِّنة لها ، مع الأخذ بعين الاعتبار ترتيب الحروف في الكلمة ، والجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه هذه الكلمة .. وما الأمثلة الرقميّة التي رأيناها في النظريّةِ الخامسة (إحدى الكُبَر) ، والتي نراها في هذه النظريّة ، والتي تعكس تكامل المعنى والدلالات تكاملاً رقميّاً ، إلاّ أكبرُ دليلٍ على ذلك ..

.. فلغةُ السماء (المفردات القرآنيّة) تعلّمها أبو البشريّةِ الذي هو أوّلُ رسولٍ لها (آدم عليه السلام) ، وحافظت على هذه اللغة أمّةٌ أميّةٌ حتى بُعث الرسول ﷺ بكتابٍ

مصاغٍ من هذه المفردات .. ونحن نعلم أنَّ إسماعيل عليه السلام بُعث في المنطقةِ ذاتِها التي بُعث بها الرسول ﷺ .. ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

ولو قمنا بجمع القيمة العدديّة للعبارة القرآنيّة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ = ٥٥ ، في هذه الآيـة الكريمة مع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ ، لرأينا مسألةً كاملة ، تـشير إلى أنّ المعنيَّ هو إسماعيل عليه السلام ..

٥ × ١٩ = ٩٥ = ٤٠ + ٥٥

.. وهكذا فإسماعيلُ عليه السلام يدخلُ اسمُهُ في المسألةِ المتعلّقةِ باستمرارِ اللغةِ الفطريّةِ الموحاةِ من اللهِ تعالى ، من آدم عليه السلام ، إلى إسماعيل عليه السلام ، إلى الاسم المبـشّر به (أحمد) ، إلى محمّدٍ ﷺ ، حيث محورُ هذه المسألة هو القرآن الكريم ..

ولو قمنا بجمع القيم العدديّة للحروف المكوِّنة لأسماء هذه المسألة ، لوجدناها مـسألةً كاملة ..

﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ = ٢٩ + ﴿ ءَادَمَ ﴾ = ٢١ + ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ + ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

[٣] – نحن نعلم أنّه يُوجد في كتابِ الله تعالى مسجدان يُذكران بشكلٍ صريحٍ ، هما : [﴿ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ ، ﴿ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾] .. ونعلم أيضاً أنَّ المسجدَ الحرام تمَّ الأمرُ الإلهيُّ بالتوجّه إليه في الحلقة الأخيرة ، وهي المرحلة التي يمثّلها الاسم ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ للرسول ﷺ ، كما رأينا ..

.. وقبل وراثةِ الرسالةِ الخاتمةِ لهذا المكان المقدّس ، كان يُعرفُ المسجدُ الحرام (كما يُعرف الآن) بالأسماء : [﴿ ٱلْبَيْتَ ﴾ ،، ﴿ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ ،، ﴿ ٱلْكَعْبَةَ ﴾ ،، ﴿ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾] ..

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧]

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦]

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩]

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٣٣]

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ [الطور : ٤]

ولمّا كان البيتُ الحرامُ أوّلَ بيتٍ وضع للناس ، وبالتالي موجوداً منذ آدم عليه السلام ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ..

فإنّ الأسماء : ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، إبراهيم [بمرحلتيه : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾] ، كوننا

نتحدّث عن المرحلة الأولى والحلقة الأُولى من المرحلة الثانية ، ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ ، ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ (الرسول المبشّر به في الحلقة الأولى من المرحلة الثانية) .. تدخل مع أسماءِ البيت في معادلةٍ واحدةٍ تصوِّرُ مسألة البيت الحرام في المرحلة الأولى والحلقة الأولى من المرحلة الثانية ..

.. وبجمع القيم العدديّة للحروف المصوِّرة لعناصر هذه المسألة الكاملة (قبل الحلقة الأخيرة) نجد انعكاس تكامل هذه المسألة في مجموع القيم العدديّة لعناصرها ..

﴿ ٱلۡبَيۡتَ ﴾ = ٢٩ ،، ﴿ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ = ٦٣ ،، ﴿ ٱلۡكَعۡبَةَ ﴾ = ٤١ ،، ﴿ ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ = ٧٥ ،، ﴿ ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ = ٦٥ ،، ﴿ ءَادَمَ ﴾ = ٢١ ،، ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ = ٢٩ ،، ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ ،، ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ ،، ﴿ أَحۡمَدُ ﴾ = ٣٩

المجموع = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

والرسالة الخاتمة (في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية) ورثت هذا المكان المقدّس ، الذي أصبح مسجداً يتمُّ التوجّه إليه في الصلاة ، ويتمّ الذهاب إليه لأداءِ ركنٍ من أركانِ الإسلام هو الحجّ ... وهكذا ورثت الرسالة الخاتمة هذا المكان المقدّس باسم المسجد الحرام ..

﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة : ١٤٤]

﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ [البقرة : ١٤٩]

﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٥٠]

﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩١]

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٧]

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة : ٢]

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٤]

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ [التوبة : ٧]

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [التوبة : ١٩]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ ﴾ [التوبة : ٢٨]

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ ﴾ [الفتح : ٢٥]

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ ﴾ [الفتح : ٢٧]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ تأتي في كتابِ اللهِ تعالى لِتصفَ بيتَ اللهِ تعالى في مرحلةِ الرسالة الخاتمة التي نزلت على الرسول محمّد ﷺ ، حيث الاسم ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ هو المختصُّ بهذه الحلقةِ من مرحلتِي الرسالات السماويّةِ كما رأينا ..

هذه المسألة الكاملة المكوَّنة من الاسمين : ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ ، نراها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر (معجزة العدد ١٩) ..

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ = ٩١ ،، ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢

٩١ + ٤٢ = ١٣٣ = ١٩ × ٧

ولو نظرنا في القيمة العدديّة لهذه المسألة : ١٣٣ = ١٩ × ٧ .. لرأينا أنَّ العدد (٧) في هذه المعادلة يشير إلى ما يتعلّق به من شعائر يقوم بها أتباعُ الرسالةِ الخاتمة في المسجد الحرام من مناسك الحج والطواف ..

.. وحتى لو أخذنا المسجدَ الحرامَ في المرحلةِ الثانيةِ (بحلقتيها الأُولى والثانية) ، لوجدنا أنَّ المسجدَ الحرامَ يكوِّن مع الأسماء : ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ، ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ۖ ﴾ ، مسألةً كاملةً في المرحلة الثانية ..

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ = ٩١ + ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠

+ ﴿ أَحْمَدُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ = **٢٤٧ = ١٩ × ١٣**

.. وهكذا فالرسالة الخاتمة كانت وريثة المكان المقدّس ، الذي هو بيتُ الله تعالى الحرام ..

.. أمّا بالنسبةِ للمسجدِ الأقصى الذي بُني في عهد سليمان عليه السلام ، فقد ورثته الرسالةُ الخاتمةُ كما ورثت المسجدَ الحرام .. فإسراء الله تعالى بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كان الدليلَ الإلهيَّ بوراثة الرسالة الخاتمة له ..

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١]

.. إذاً نحن أمام مسألة كاملة عناصرها : ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ، ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ ، ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ﴾ .. وبجمع القيم العدديّة للحروف المكوِّنة لعناصرها ، يتأكّدُ لنا هذا التكامل ، وبالتالي يتأكّدُ لنا ميراثُ رسالة محمّدٍ ﷺ للمسجد الأقصى ..

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ = ٩٨ + ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ = ٣٠ + ﴿ أَحْمَدُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

.. ولو أخذنا النصوص القرآنيّة المصوِّرة لحادثتي الإسراء والمعراج ، لرأيناها مسألةً كاملةً ، في معيارِ معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] = ٦١٥

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] = ١٧٥

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣
إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ
ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ
۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ
۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا
زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١ – ١٨] =
١٩٢٧

٦١٥ + ١٧٥ + ١٩٢٧ = **١٤٣ × ١٩ = ٢٧١٧**

.. وهكذا نرى كيف أنّ الإسراءَ والمعراجَ مسألةٌ كاملة ، بدأت من المسجد الحـــرام إلى المسجد الأقصى إسراءً بنفس الرسول ﷺ وجسده ، ومن ثَمَّ تمَّ المعراج الروحي (دون الجسد) لنفس الرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماء ، حيث امتلأت نفس الرسول ﷺ روحاً (كما رأينا في كتاب قصّة الوجود) ..

.. وفي كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، نرى أنَّ اسمي الرســـول ﷺ **﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾** ، **﴿ أَحۡمَدُ ﴾** ، يتكاملان مع الأسماء التي يُخاطبُ الله تعالى به رسوله ﷺ بها مـــن خـــلال العبارة القرآنيّة : **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾**، وهذه الأسمـــاء هـــي : **[﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ ، ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾]** :

﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ ،، **﴿ أَحۡمَدُ ﴾** = ٣٩ ،، **﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾** = ٣٣ ،، **﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾** = ٢١ ،، **﴿ ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾** = ٣٧ ،، **﴿ ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾** = ٥٦

٤٢ + ٣٩ + ٣٣ + ٢١ + ٣٧ + ٥٦ = **١٢ × ١٩ = ٢٢٨**

.. وحادثة المعراج التي حصلت مع الرسول ﷺ في المعراج الروحي من المسجد الأقصى إلى السماء ، تماثل تماماً من حيث الآليّة ومن حيث مكان المعراج ، حادثة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥]

.. فرفعُ عيسى عليه السلام لم يتمّ إلاّ بعد أن توفّاه اللهُ تعالى .. ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ .. ونحن نعلم أنّ الوفاة هي انفصال النفس عن الجسد وعودها إلى عالمها (عالم ما وراء المادّة والمكان والزمان) .. فالناموس الكوني للمعراج إلى الله تعالى ، لا يكون حين وجود النفسِ في جسدها .. فانفصال النفس عن الجسد هو الخطوة السابقة لهذا المعراج ، وهذا ما تبيّنه العبارة القرآنيّة ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ في الصورة القرآنيّة ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ ..

ومسألة العروج إلى الله تعالى أتت في كتاب الله تعالى متعلّقةً بالملائكة والروح ..

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤]

وكما رأينا أنّ مسألةَ الإسراء ، والمعراجَ الروحي للرسول ﷺ ، مسألةٌ كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ، نرى أيضاً أنّ مسألةَ رفع عيسى عليه السلام مسألةٌ كاملة في المعيار ذاته ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] = ٦٠٤

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٧ – ١٥٨] = **٧٨٣**

٦٠٤ + ٧٨٣ = **١٣٨٧ = ١٩ × ٧٣**

وَرَفْعُ اللهُ تعالى لِعيسى عليه السلام ، هو نتيجةُ مَكْرِ الذين كفروا وأرادوا به سوءاً ..

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥] = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ = **١٥٧**

﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ = **١٥٧**

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥] = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. وفي المسألة الكاملة التالية ، نرى كيف يُنزّه الله تعالى عيسى عليه السلام عن كونه قد قُتل أو صُلب ..

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥] = **١٠٧٧**

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٧ – ١٥٨] = ١٠١٣

١٠٧٧ + ١٠١٣ = **٢٠٩٠ = ١٩ × ١١٠**

.. وفي توازن القيم العدديّة بين العبارتين القرآنيّتين التاليتين ، في هذه المسألة ، بيانٌ في هذه الحقيقة ..

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء : ١٥٧] = **٧٩**

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٨] = **٧٩**

.. وفي المسائل الكاملة التالية بيانٌ إعجازيٌّ في إظهار هذه الحقيقة ..

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥] = ١٠٧٧

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٧] = ١٧٤

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء : ١٥٧] = ٧٩

١٠٧٧ + ١٧٤ + ٧٩ = **١٣٣٠ = ١٩ × ٧٠**

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٧ – ١٥٨] = **٦٤٦ = ١٩ × ٣٤**

﴿ عِيسَى ﴾ = **٣٤**

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٦ — ١٥٩] = **١٥٣٩ = ١٩ × ٨١**

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٦ — ١٥٧] = **٨٧٤ = ١٩ × ٤٦**

.. وقد بيّنت هذه المسألة بشكلٍ مُفَصَّل في كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ..

.. ولّما كان اسم الرسول ﷺ الذي بشّر به عيسى ، هو ﴿ أَحْمَدُ ﴾، ولّما كان معراج الرسول ﴿ أَحْمَدُ ﴾ مماثلاً لرفع عيسى عليه السلام ، ولّما كان الرفعُ والمعراجُ قد تمّا من المسجد الأقصى ، فإنّنا أمام مسألةٍ كاملةٍ عناصرها : ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ، ﴿ عِيسَى ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ﴾ .. وبجمع القيم العدديّة لحروف عناصر هذه المسألة نجد أنّنا — وفق معيار معجزة إحدى الكُبَر — أمام مسألةٍ كاملة ..

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ = ٩٨ + ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ + ﴿ أَحْمَدُ ﴾ = ٣٩ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

ولو أخذنا مسألة الإسراء والمعراج التي حدثت مع الرسول ﷺ ، مسالةً كاملةً كما رأينا ، مع مسألة رفع عيسى عليه السلام ، مسألةً كاملةً كما رأينا أيضاً ، لكنّا أمام العناصر التالية : ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ، ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ، ﴿ أَحْمَدُ ﴾ ، ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ عِيسَى ﴾ .. ولو قمنا بجمع القيم العدديّة للحروف المكوِّنة لهذه العناصر ، لرأيناها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ = ٩١ + ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ = ٩٨ + ﴿ أَحْمَدُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ + ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ = **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

.. وهكذا نرى أنّ الرسالة الخاتمة وريثةُ المسجدين : ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ، ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ، وهذا طبيعيٌّ فتدرّج الرسالات السماويّة كان برعايةِ الله تعالى للوصول إلى الرسالة الوريثة لكلِّ الرسالات السابقة ، تلك الرسالة الحاملة لمنهج الله تعالى إلى البشريّةِ جمعاء ..

.. وكون عيسى عليه السلام عِلماً للساعة ، وكون هذه الساعة تأتي بغتةً ، وكون جميع أهل الكتاب سيؤمنون به ، وبالكتاب الذي سيحكم به (القرآن الكريم) كما سنرى ، فإنّ كلّ ذلك مسألةٌ كاملةٌ تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف : ٦١] = **٧٥**

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٦] = **٢٧٦**

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] = **٣١٤**

٣١٤ + ٧٥ + ٢٧٦ = **٦٦٥ = ١٩ × ٣٥**

.. فالشكّ والقول بالقتل والصلب واتّباع الظنّ – عند أهل الكتاب – في ماهيّة عيسى عليه السلام ، كُلُّ ذلك ينتهي عند النزول الثاني لعيسى عليه السلام ، حيثُ يُؤمنُ أهل الكتاب به .. وفي تساوي القيم العدديّة بين العبارتين القرآنيّتين التاليتين أكبرُ دليلٍ على ذلك ..

﴿ **وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ** ﴾ [النساء : ١٥٧] = **٣١٤**

﴿ **وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا** ﴾ [النساء : ١٥٩] = **٣١٤**

فعدمُ القول بقتله عليه السلام وبصلبه من قِبَل أهل الكتاب ، يكون في نزوله الثاني ..

﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ [النساء : ١٥٧] = ١٠٤

﴿ **وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا** ﴾ [النساء : ١٥٩] = ٣١٤

١٠٤ + ٣١٤ = **٤١٨ = ١٩ × ٢٢**

.. وعدمُ قتلِه عليه السلام ، وعدمُ صلبه ، كان نتيجة أن رفعه الله تعالى إليه ..

﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ [النساء : ١٥٧] = ١٠٤

﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا** ﴾ [النساء : ١٥٧ – ١٥٨] = ٢٩٥

١٠٤ + ٢٩٥ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. إذاً مسألة القول بصلبه عليه السلام وقتله ، واتّخاذه وأمّه إلهين من دون الله تعالى ، ساحتُها منذ أن توفّاه الله تعالى ورفعه إليه ، إلى نزوله الثاني ، أي في فترة وفاته عليه السلام .. فعيسى الآن متوفّى وليس ميّتاً ..

.. هذه الحقيقة نراها جليّة في تكامل قول الله تعالى لعيسى عليه السلام بأنّه سيتوفّاه ويرفعه إليه ويطهّره من الذين كفروا .. ﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، مع قول عيسى عليه السلام يوم القيامة ، بأنّه عليه السلام لم يكن يعلم ماذا حدث حين وفاته ، وأنَّ الله تعالى رقيبٌ على الذين كفروا أثناء وفاته ، وأنَّه جلّ وعلا على كلِّ شيءٍ شهيد .. ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة : ١١٧] .. هذا التكامل في المعنى والدلالات ، نراه تكاملاً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [آل عمران : ٥٥] = ٣٣٧

﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة : ١١٧] = ٣٠٩

٣٣٧ + ٣٠٩ = **٦٤٦ = ١٩ × ٣٤**

﴿ **عِيسَىٰ** ﴾ = **٣٤**

وداخل هذه المسألة الكاملة نرى – أيضاً – نرى المسألتين الكاملتين التاليتين ..

﴿ **يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ** ﴾ = ١٥٧

﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ** ﴾ = ١٨٥

١٥٧ + ١٨٥ = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

﴿ **وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. وفي أسماء الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، نرى محوراً يمثّل الأمن والهداية التي يأمر الله تعالى رسوله ﷺ (وريث الرسالات السماويّة) الاقتداء بهداهم .. وهذا المحور مسألةٌ كاملة تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٢ – ٨٦] = **١٨٦٢ = ١٩ × ٩٨**

.. ولو أخذنا أسماء المرسلين الواردين في هذا المحور ، لرأيناهم مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ إِسۡحَٰقَ ﴾ = ٤٨ + ﴿ يَعۡقُوبَ ﴾ = ٤٦ + ﴿ نُوحً ﴾ = ٢٦ + ﴿ دَاوُۥدُ ﴾ = ٣٨ + ﴿ سُلَيۡمَٰنَ ﴾ = ٣٠ + ﴿ أَيُّوبَ ﴾ = ٢١ + ﴿ يُوسُفُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ = ٢٥ + ﴿ هَٰرُونَ ﴾ = ٢٣ + ﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ = ٤٩ + ﴿ يَحۡيَىٰ ﴾ = ٣١ + ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ + ﴿ إِلۡيَاسَ ﴾ = ٢٥ + ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ + ﴿ ٱلۡيَسَعَ ﴾ = ٣٦ + ﴿ يُونُسَ ﴾ = ٢٩ + ﴿ لُوطٍ ﴾ = ٣٣ = **٦٠٨ = ١٩ × ٣٢**

وفي الحلقة الأُولى من المرحلة الثانية ، نرى ثلاثة محاور رئيسة ، كلٌّ منها مسألةٌ كاملةٌ ، وهذه المحاور هي :

١ – محور إبراهيم وإسماعيل وأحمد .. فإبراهيم عليه السلام أبو أنبياء المرحلة الثانية ، وهو وإسماعيل رفعا القواعد من البيت الذي ورثته الرسالة الخاتمة ، وأحمد هو اسم الرسول المبشَّر به في الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، والنبي ﷺ من نسل إبراهيم عبر إسماعيل عليهما السلام .. هذه المسألة الكاملة تُصدِّق تكاملَها – أيضاً – معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ = ٤٠ + ﴿ أَحْمَدُ ﷺ ﴾ = ٣٩ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. فصفة الحلم عند إبراهيم عليه السلام مسألةٌ كاملة ..

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] = ٨٤

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] = ١٠٦

٨٤ + ١٠٦ = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

.. وصفة الحلم هذه ورثها إسماعيل عليه السلام مسألةً كاملةً تصدّق تكاملها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

وممّا يؤكّد أنّ الغلام الحليم هو إسماعيل ، الذي ورث صفة الحلم عن أبيه إبراهيم عليه السلام ، أنّ الآيات التالية لهذه الآية الكريمة والتي تصوِّر قصّة الذبيح مسألةٌ كاملة تكتمل قبل تبشير إبراهيم عليه السلام بإسحاق عليه السلام ..

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] = ٦٤٥

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] = ١٠٩

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الصافات : ١٠٤] = ٨٥

﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٥] = ٢٦٠

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] = ٨٨

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] = ١٥٣

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٨] = ١٢٥

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٠٩] = ٧١

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١٠] = ١٤٣

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١١] = ٨٨

١٣٣+٦٤٥+١٠٩+٨٥+٢٦٠+٨٨+١٥٣+١٢٥+٧١+١٤٣+٨٨ = **١٩٠٠ = ١٩ × ١٠٠**

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

.. فالغلام الحليم الذي تعرّض لمسألة الذبح ، دخل في مسألة كاملة انتهت قبل التبشير بإسحاق عليه السلام كمسألةٍ كاملة .. وبالتالي هو الابن الآخر (غير إسحاق عليه السلام) ، وبالتالي هو إسماعيل عليه السلام ..

وهكذا .. فإسماعيل عليه السلام ورث صفة الحلم التي ورثها (بعده) الرسول أحمد المبشَّر به في تلك الحلقة ..

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ⟵ ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ⟵ ﴿ أَحْمَدُ ﴾ ﷺ

٢ — محور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان والمسيح عيسى ابن مريم (عيسى عليه السلام المبشّر به ، قبل ولادته) .. وهو محور تَعَلّق بني إسرائيل بإبراهيم عليه السلام ، وبصفة العلم ، وتفاعلهم مع الرسالات والكتب والصحف والألواح التي أُنزلت إليهم ..

فصفة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ وصف بها إسحاق ويوسف عليهما السلام ، مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] = ٩٩

﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر : ٥٣] = ١٢٢

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] = ١٢١

٩٩ + ١٢٢ + ١٢١ = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

وداخل هذا المحور نرى مسألة كاملة تمتدّ من إسحاق عليه السلام (الغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيمُ عليه السلام) ، إلى يوسف عليه السلام الذي وُصف بهذه الصفة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ، والذي كان بدايّةَ تكوّن بني إسرائيل ، مروراً بيعقوب عليه السلام ..

﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ = ٤٨ + ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ = ٤٦ + ﴿ يُوسُفُ ﴾ = ٣٩ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

وهذا المحور الذي تفرّع (أيضاً) عن إبراهيم عليه السلام ، امتدَّ إلى موسى وهارون عليهما السلام ، وإلى داود وسليمان عليهما السلام ، حيث تفاعل بنو إسرائيل مع هذا العلم ، ومع الآيات التي فيها من البلاء ما هو مبين ..

﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان : ٣٢ – ٣٣] = **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

.. فبعد سليمان عليه السلام ، وصل الكفر في بني إسرائيل إلى ذروته ، لدرجة أنّهم اتّهموا سليمان عليه السلام بالكفر ، واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملكه ..

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] = **١٠٢ × ١٩ = ١٩٣٨**

.. فعند سليمان وصل الملك أوجه ، فالكافرون من الجنّ سُخِّروا بين يديه عليه السلام ، وكذلك الريح تجري بأمره ، والجبّال كانت تأوِّب مع والده داود عليه السلام ، حيث ورث سليمانُ داود ..

وهكذا نرى أنّنا أمام محورٍ امتدّ من إبراهيم عليه السلام إلى إسحاق الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام ، فيعقوب ، فيوسف ، ومن ثمّ موسى وهارون عليهما السلام ، ومن ثمّ داود وسليمان عليهما السلام ، حيث بلغت الماديّةُ أوجها بعد موت سليمان ، واستمرّ هذا المحور إلى أن بُشِّرت مريم عليها السلام بعيسى ، أي إلى قبل ولادة عيسى عليه السلام ، أي إلى الاسم ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، فقد رأينا أنّ عيسى عليه السلام شارك بهذا الاسم في رسم صورة مرحلتي الرسالات السماويّة ، إضافة إلى اسمه ﴿ عِيسَى ﴾ .. وعناصر هذا المحور نراها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ = ٣٥ + ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ = ٤٨ + ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ = ٤٦ + ﴿ يُوسُفُ ﴾ = ٣٩ + ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ = ٢٥ + ﴿ هَٰرُونَ ﴾ = ٢٣ + ﴿ دَاوُۥدُ ﴾ = ٣٨ + ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ = ٣٠ + ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ = ١١٥ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ⟵ ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾

٣ – محور زكريّا ويحيى وعيسى (بعد ولادته) ، وهو محور النفخة الروحيّة في الماديّة التي انصبغت بها منهجيّة بني إسرائيل ، ومحور التبشير بنبيّ البشريّة جمعاء ، ومحور التمهيـــد للرسالة الخاتمة ..

﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ = ٤٩ + **﴿ يَحۡيَىٰ ﴾** = ٣١ + **﴿ عِيسَى ﴾** = ٣٤ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ ⟵ ﴿ يَحۡيَىٰ ﴾ ⟵ ﴿ عِيسَى ﴾

.. فخطاب الملائكة لمريم عليها السلام اصطفاءً وتبشيراً بعيـــسى عليـــه الـــسلام ، وخطاب الملائكة لزكريا عليه السلام تبشيراً بيحيى عليه السلام ، نراهما مسألةً كاملـــةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] = ٦٢٨

﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] = ٤٠٩

﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] = ٢٥٤

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] = ٥٥٣

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٦] = ١٨٩

٦٢٨ + ٤٠٩ + ٢٥٤ + ٥٥٣ + ١٨٩ = **٢٠٣٣ = ١٩ × ١٠٧**

.. ولمريم عليها السلام – في القرآن الكريم – اسمان هما : **﴿ مَرۡيَمَ ﴾** ، **﴿ مَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ﴾** .. وهذان الاسمان مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ مَرۡيَمَ ﴾ = ٢٢ ،، **﴿ مَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ﴾** = ٧٣

٢٢ + ٧٣ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

.. ولو أخذنا تبشير الملائكة لزكريا ومريم عليهما السلام ، وتبشير الله تعالى لزكريّا عليه السلام ، واستجابته له ، ونفخ الروح في مريم عليها السلام ، لرأينا مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] = ٦٢٨

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] = ٥٥٣

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٦] = ١٨٩

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾ [مريم : ٧] = ٣٢٠

﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] = ١٥١

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] = ٢٥٠

﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] = ٣٢٢

٦٢٨ + ٥٥٣ + ١٨٩ + ٣٢٠ + ١٥١ + ٢٥٠ + ٣٢٢ = **٢٤١٣ = ١٩ × ١٢٧**

وكلمة ﴿ صَبِيًّا ﴾ لم ترد في القرآن الكريم إلاّ ليحيى وعيسى عليهما السلام ، فيحيى عليه السلام آتاه الله تعالى الحكم صبيّاً ، وعيسى عليه السلام كلّم الناس وهو في المهد صبيّاً .. هذه المسألة الكاملة ، نراها كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] = ١٠٦

﴿ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ٢٩] = ١٧٩

١٠٦ + ١٧٩ = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

.. وكما أنّ التبشير بعيسى ويحيى عليهما السلام مسألةٌ كاملة (ضمن إطار هذا المحور) ، كما رأينا ، فإنّ هذا المحور يشكلُّ تمهيداً للرسالة الخاتمة ، فالتبشير بعيسى عليه السلام ، هو تبشيرٌ بمن يبشّر برسول الرسالة الخاتمة ..

﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] = ٢٨٦

﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ ﷺ [الصف : ٦] = ٢٢٧

٢٨٦ + ٢٢٧ = **٥١٣ = ١٩ × ٢٧**

.. وعيسى عليه السلام منذ ولادته كان نبيّاً ومعلّماً حتى لأمّه عليها السلام .. فلو أخذنا الصور القرآنيّة المصوِّرة لمسألة المهد ، وما تكلَّمَهُ عيسى عليه السلام في المهد ، لرأينا مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ [آل عمران : ٤٦] = ٩٨

﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ [المائدة : ١١٠] = ٢٤٨

﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٤ – ٢٦] = ١٠٦٢

﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ٢٩] = ١٥٦

﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٠ – ٣٣] = ٩٥١

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٦] = ٢٧٨

٩٨+٢٤٨+١٠٦٢+١٥٦+٩٥١+٢٧٨= **١٤٧ × ١٩ = ٢٧٩٣**

.. ولو أخذنا مجموع الكلمات التي قالها عليه السلام لأمّه أثناء خروجه منها ، لوجدناه (٣٣) كلمة ، أي ما يُعادل عدد سنوات لبثه قبل أن يرفعه الله تعالى إلى السماء ..

﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٤ – ٢٦] = (**٣٣**) كلمة

.. ولو أخذنا مجموع الكلمات التي قالها عليه السلام ليبرّأ أمَّهُ عليها السلام ، لوجدناه (٣٣) كلمة أيضاً ، أي ما يعادل عدد سنوات لبثه قبل أن يرفعه الله تعالى إلى السماء ..

﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم : ٣٠ – ٣٣] = (**٣٣**) كلمة ..

.. ونرى أيضاً أنّ قول عيسى عليه السلام في المهد ، وبعد أن كبر ، حول مسألة وحدانيّة الله تعالى هو مسألة كاملة ، تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٥١] = ٢٧٣

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [مريم : ٣٦] = ٢٧٨

٢٧٣ + ٢٧٨ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

.. والآية الكريمة التالية التي تصوِّر قول عيسى عليه السلام حول وحدانيّة الله تعالى ، وما سيقوله عليه السلام في نزوله الثاني [كما بيّنا في كتاب : **المعجزة الكبرى**] نراها مسألة كاملة ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [الزخرف : ٦٤] = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

.. فهذه الآية الكريمة المصوِّرة لقولِ عيسى عليه السلام في نزوله الثاني ، تأتي بعد قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف : ٦١] في السورةِ ذاتِها ، وقبلَ قولِهِ تعالى ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٦] ..

.. وقد رأينا كيف أنّ بعثَ الرسول ﷺ وتعليمه للناس الكتاب والحكمة (القرآن الكريم وما يتعلّق به) مسألةٌ كاملة ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٢٩] = **٤١٨ = ١٩ × ٢٢**

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٥١] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

فتعليمُ الله تعالى للأنبياء الكتاب والحكمة ، مسألةٌ تعلّقت – إضافة إلى تعلّقها بالرسول محمّد ﷺ – بعيسى عليه السلام ، فقوله تعالى في الآية التالية يبيّن لنا أنَّ تعليم الله تعالى الكتاب والحكمة لعيسى عليه السلام ، يختلف عن تعليمه إيّاه التوراة والإنجيل ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ ﴾ [المائدة : ١١٠]

فتعليمُ عيسى عليه السلام الكتاب والحكمة ، هو تعليمه القرآن الكريم ، الذي سيتّبعه ويحكم به في نزوله الثاني .. هذه الحقيقة نراها – ما بين عيسى عليه السلام ومحمّد ﷺ – مسألةً كاملة تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] = ١١٦

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ١١٣] = ١٥٧

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [المائدة : ١١٠] = ١٤٢

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [مريم : ٣٠] = ١٣٦

١١٦ + ١٥٧ + ١٤٢ + ١٣٦ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

.. والعدد (٢٩) الذي نراه في هذه المعادلة ، يُشير إلى القرآن الكريم ، فالقيمة العدديّة للقرآن هي العدد (٢٩) .. ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ = **٢٩** .. وهو أيضاً القيمة العدديّة

للعبارة القرآنيّة ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ = **٢٩** ، حيث يتميّز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماويّة – كما سنرى إن شاء الله تعالى في الفصل القادم – بكونه قول الله تعالى ..

وقد بيّن لنا اللهُ تعالى أنَّ القرآن الكريم ذكرٌ للعالمين ، ستعلم البشريّة نبأه بعد حين ..

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص : ٨٧ – ٨٨] =

٢٠٩ = ١٩ × ١١

وممّا يؤكّد أنّ البشريّة ستعلم نبأ القرآن الكريم بعد النزول الثاني لعيسى عليه السلام ، هو تكامل القيمة العدديّة للآية الكريمة ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ مع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ، ومع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، حيث الرسول محمّد ﷺ هو من نُزّل عليه القرآن الكريم ، ومع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ عِيسَى ﴾ ، حيث عيسى عليه السلام سيحكم بالقرآن الكريم في نزوله الثاني ..

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ = ١٢٣

﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ = ٢٩ ،، ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ ،، ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤

١٢٣ + ٢٩ + ٤٢ + ٣٤ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

وهذا النبأ الذي ستعلمه البشريّة بعد حينٍ ، سيكون بعد النزول الثاني لعيسى عليه السلام ، حيث يحكم عيسى عليه السلام بالقرآن الكريم ، ويؤمن أهل الكتاب به .. هذه الحقيقة نراها مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص : ٨٨] = ١٢٣

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] = ٣١٤

١٢٣ + ٣١٤ = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

.. وهذه الحقيقة نراها أيضاً في المسألة الكاملة التالية ..

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] = ٣١٤

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف : ٦١] = ٧٥

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٦] = ٢٧٦

٣٥ × ١٩ = ٦٦٥ = ٢٧٦ + ٧٥ + ٣١٤

﴿ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ = **٣٥**

.. وهكذا فعيسى عليه السلام سيعود ويهبط في المكان ذاته الذي رفعه الله تعالى منه ، وهو المسجد الأقصى .. وسيحكم بالقرآن الكريم ، ويكون ذلك إشارةً للساعة كما رأينا .. فمن آدم عليه السلام ، إلى عيسى عليه السلام ، تماثلٌ يحوي بين طرفيه جميعَ المرسلين عليهم السلام ، من خلال مسألة كاملة تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ، بل وبمجموع قيم عدديّة يُطابق تماماً عدد مرّات ورود أسماء الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وهو العدد (٥١٣) المطابق أيضاً لمشتقّات الجذر اللغوي (ر س ل) في القرآن الكريم كما رأينا ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ – ٦٠] = **٥١٣ = ١٩ × ٢٧**

.. فآدم نفخ الله تعالى فيه من روحه ، أي امتلأ جزءٌ من نفسه بالروح **[** بالصلة والقربى والمدد من الله تعالى ، كما رأينا في تعريف الروح ، في النظريّة الثانية (القَدَر) **]** .. ولمّا كانت نفس آدم ليست ممتلئةً تماماً بالروح كامتلاء نفس عيسى عليه السلام ، فقد عصى آدمُ اللهَ تعالى في جنّة الاختبار ، قبل أن يجتبيه الله تعالى وتأتيه النبوّة .. ولذلك نرى

أنّ الآية الكريمة التي تصوِّر دخول آدم عليه السلام ساحة النبوّة مسألةٌ كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١ – ١٢٢] = **١٠ × ١٩ = ١٩٠**

.. لقد رأينا في كتاب (قصّة الوجود) كيف أنّ مسألة المعراج بنفس الرسول ﷺ حصلت بعد أن امتلأت نفسه الشريفة روحاً ، حيث التحمت نفسه ﷺ بالروح الأمين عليه السلام ، وأصبحا على درجة من القرب (الروحي) لا يفصلهما عن بعضهما إلاّ ذاتاهما ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٨ – ٩] ، وفي تلك الدرجة الروحيّة ، تلقّى الرسول ﷺ الوحي المباشر من الله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] .. هذه الحقيقة نراها من خلال تكامل القيم العدديّة للكلمتين : ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ ، ﴿ ٱلرُّوح ﴾ ..

﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢ ،، ﴿ ٱلرُّوح ﴾ = ٣٤

٤٢ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

وإرسال الروح إلى مريم عليها السلام ، والنفخ فيها من روح الله تعالى ، تهيئةً لقدوم عيسى عليه السلام ، مسألةٌ كاملةٌ تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] = ٢٢٦

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] = ٢٥٠

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] = ٣٢٢

٢٢٦ + ٢٥٠ + ٣٢٢ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] = ٢٥٠

﴿ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] = ٢٤٤

٢٥٠ + ٢٤٤ = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

.. وفي هذه المسألة الكاملة ، علينا أن نُميّز بين دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ ، وبين دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ .. فالعبارة الأولى تُصوّرُ لنا نفخ الروح [الصلة والمدد والقربى من الله تعالى] في ذات مريم عليها السلام .. فمريم عليها السلام أعطاها اللهُ تعالى الصلة والمدد والقربى كونها أحصنت فرجها ، ونهاية هذه العبارة القرآنيّة ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة تُؤكّد ذلك ..

بينما العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ فهي تُصوِّرُ نفخَ الروح في فرجها عليها السلام ، أي تُصوِّرُ حملها لعيسى عليه السلام ، ونهاية هذه العبارة القرآنيّة ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة تُؤكّدُ ذلك ..

.. وعيسى عليه السلام روحٌ من الله تعالى ، فقد أيّده الله تعالى بروح القدس ، ولذلك فنفس عيسى عليه السلام امتلأت روحاً ..

﴿ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ [البقرة : ٨٧] = ١٢٦

﴿ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] = ١٢٦

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ ﴾ [النساء : ١٧١] = ١٤٦

﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [المائدة : ١١٠] = ٤٣٨

١٢٦ + ١٢٦ + ١٤٦ + ٤٣٨ = **٨٣٦ = ١٩ × ٤٤**

﴿ جِبْرِيلُ ﴾ = ٤٤

.. لقد رأينا في النظريّة الثانية (القدر) أنّ النفس البشريّة فيها من الــروح بمقــدار صلتها مع الله تعالى ، وتأييده لها ، وتقريبه لها منه جلّ وعلا .. فالنفس البــشريّة وعــاء الروح ، وتمتلئ روحاً حينما تمتلئ من مدد الله تعالى لها ، ومن تأييده لها ، وهذا ما حصل مع عيسى عليه السلام ، حيث وُلد نبيّاً ..

هذه الحقيقة تصدّقها معجزة إحدى الكُبَر ، من خلال تساوي القيم العدديّة للكلمات : [**﴿ عِيسَى ﴾** ، **﴿ ٱلنَّفْسُ ﴾** ، **﴿ ٱلرُّوح ﴾** ، **﴿ ٱلْإِنجِيلَ ﴾**] .. فسنرى في الفصل القادم أنّ عيسى عليه السلام هو من صاغ الإنجيل ، فالإنجيل هو ما نطق به عليه السلام ..

﴿ عِيسَى ﴾ = ﴿ ٱلنَّفْسُ ﴾ = ﴿ ٱلرُّوح ﴾ = ﴿ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ = ٣٤

.. ولعيسى عليه السلام – في القرآن الكريم – ستة أسماء تُكوّن مسألةً كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ ،، **﴿ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾** = ٦٩ ،، **﴿ ٱلْمَسِيحُ ﴾** = ٤٦ ،، **﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾** = ٨١ ،، **﴿ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾** = ٣٥ ،، **﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾** = ١١٥ ..

٣٤ + ٦٩ + ٤٦ + ٨١ + ٣٥ + ١١٥ = **٣٨٠ = ١٩ × ٢٠**

.. وجبريل عليه السلام ، يرد له – في القرآن الكريم – اسمُ صفة خاصٌّ به مُعــرّف بأل التعريف هو : **﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾** .. ولذلك نرى أنّ هذا الاسم يُكوّنُ مع كلمــة **﴿ جِبْرِيلُ ﴾** مسألةً كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ جِبْرِيلُ ﴾ = ٤٤ ،، **﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾** = ٥١

٤٤ + ٥١ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

فالروح الذي ملأ اللهُ تعالى به نفسَ عيسى عليه السلام ، وُصفَ بــه جبريــل عليــه السلام ، ويُوصفُ به كتابُ الله تعالى (القرآن الكريم) ، كما سنرى إن شاء الله تعالى في الفصل القادم ، والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يُوصف بالروح ..

.. ولذلك حين اقتراب الساعة ، ونزول عيسى عليه السلام ، يلتقي الروح الذي ملأ نفس عيسى عليه السلام ، مع الروح القرآني الذي نزّله الله تعالى من لدنه جــلّ وعــلا ، فيحكم عيسى عليه السلام بالقرآن الكريم ، ويؤمن جميع أهل الكتاب بحقيقته كونه رسولاً من عند الله تعالى ، وبحقيقة القرآن الكريم كونه كتاباً يتميّز عن غيره من الكتب السماويّة الأُخرى بكونه روحاً من أمر الله تعالى ، يتعلّق بصفاته جلّ وعلا ..

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] = **٦٢٧ = ١٩ × ٣٣**



مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

سلّم الكتب السماويّة

.. لقد بيّنا في الفصل الأوّل (سلّم الرسالات السماويّة) كيف تتدرّج الرسالات السماويّة إلى الرسالة الخاتمة ، في مرحلتين ، تتكوّن فيهما المرحلة الثانية من حلقتين ، وكيف أنّ الرسالة الخاتمة التي نزلت على الرسول ﷺ كانت وارثةً لما قبلها من الرسالات ، وكيف أنّ الرسالات السابقة كانت تمهيداً لهذه الرسالة التي نزلت للبشريّة جمعاء ..

.. والكتب السماويّة مرّت – أيضاً – بمرحلتين .. المرحلة الأُولى تشمل جميع الكتب السماويّة قبل القرآن الكريم ، والمرحلة الثانية لا يُوجَد فيها إلاّ القرآن الكريم .. والآية الكريمة التالية تُبيّن هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦]

فقولُه تعالى **﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾** يعني القرآنَ الكريم ، وقولُه تعالى **﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾** يعني الكتب السماويّة السابقة .. فقوله تعالى **﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾** في الآيةِ ذاتِها ، يُؤكِّد أنَّ البيانَ الإلهيَّ في هذه الآيةِ الكريمة يعني كُتباً وليس كتابين اثنين ، أي القرآن الكريم ، والكتب السابقة (قبل القرآن الكريم) ..

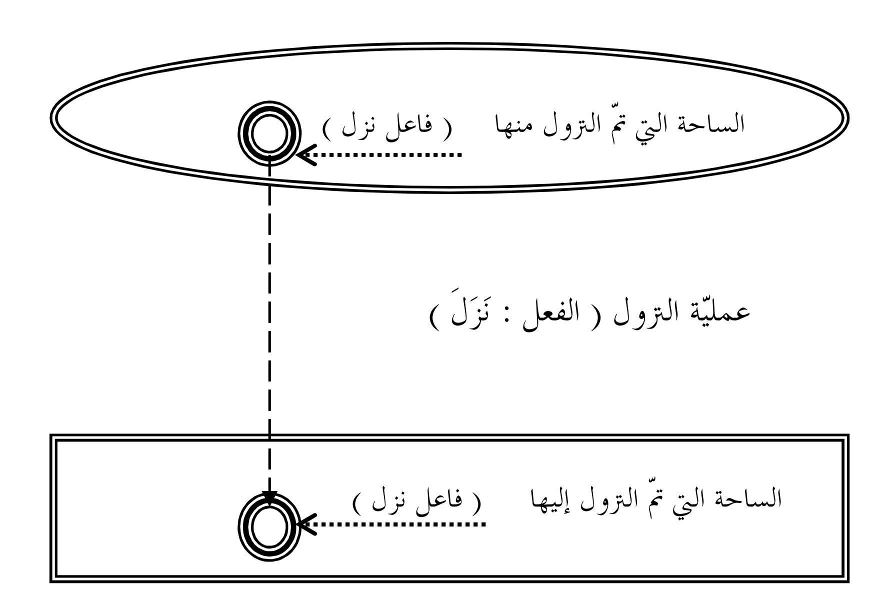
.. وممّا يؤكِّد أنَّ الكتب السابقة مرحلة ، والقرآن الكريم لوحدِهِ مرحلة مستقلّة ، هو اقتران القرآن الكريم – بهذه الآيةِ الكريمة – بصيغة التنزيل من الفعل نزّل : **﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾** .. واقتران الكتب السابقة بصيغة الإنزال من الفعل أنزل : **﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾** ..

.. فما هو سبب اقتران القرآن الكريم (دون غيره من الكتب السماويّة) بالفعل نزَّل الذي فاعله اللهُ تعالى ؟ .. وما هو الفارق بين الأفعال : نَزَلَ ، أَنْزَلَ ، نَزَّلَ ؟ ..

الفعل نَـزَلَ : فعل لازم ، فاعلُهُ يتحرّك (ماديّاً أو معنويّاً) من الساحة التي يتمّ النزول منها ، إلى الساحة التي يتمّ النزول إليها .. ولذلك ففاعل الفعل (نزَل) لم يرتبط – في القرآن الكريم – بالذات الإلهيّة ، فالذات الإلهيّة منزّهةٌ عن التحوّل بين ساحةٍ وساحة ..

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات : ١٧٦ – ١٧٧]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢]



الفعل أنْـزَلَ : فعل متعدٍّ إلى مفعول به ، وإنزال الأمر أو الشيء من ساحة إلى ساحة يعني جَعْلَهُ مُسَخَّراً ضمن قوانين الساحة التي تمَّ الإنزالُ إليها .. وبالتالي فالمتعرِّض لعمليّة الإنزال يتحوّل بما يوافق معايير الساحة التي أُنْزِلَ إليها ، أي يرتسم بلون الساحة

التي تمّ الإنزال إليها .. والإنزال لا يعني تحرّك الفاعل من الساحة التي تمّ الإنزال منها إلى الساحة التي تمّ الإنزال إليها ، إنّما يعني تحرّك المفعول به ، الذي خضع لعملية الإنزال ..

.. لننظر إلى الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ ﴾ [الزمر : ٦]

.. إنّ الأزواج الثمانية التي أنزلها الله تعالى لنا ، هي الأنعام التي ذلّلها اللهُ تعالى لنا وسخّرها بين أيدينا ، وجعلها في متناول الفائدة .. أي أنزلَها من ساحة عدم التذليل وعدم الفائدة إلى ساحة الفائدة والتسخير ..

وهكذا .. فإنزال هذه الأزواج الثمانية من الأنعام هو جعلُها في ساحة الفائدة المباشرة والتسخير والتذليل ، من ركوب ، ومن صلاحيّة الاستفادة من لحومها ..

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [غافر : ٧٩]

.. فإنزال الشيء (أو الأمر) هو تعرّضُه إلى آليّة تُحَوِّلُهُ من نواميس الساحة التي أُنزلَ منها ، إلى نواميس الساحة التي أُنزِلَ إليها .. فإنزال الماء من السحاب (استخراجه منه) يكون بآليّةِ الرياح .. كما أنّ الماءَ وسيلةٌ لإخراج الثمرات ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧]

﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢]

.. والصورتان القرآنيّتان التاليتان تؤكّدان أنّ إنزال الماء من المزن والمعصِرات هو استخراجه منها ، وتسخيره بين أيدينا ليكون بماهيّةٍ مذلّلةٍ لسهولة استخدامه .. أي تحويله من حالته في المزن والمعصِرات إلى حالته التي نستخدمه بها ..

﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٩]

﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴾ [النبأ : ١٤]

.. ويمكننا أن ندرك دلالات باقي الصور القرآنيّة التي تصوّر إنزال الماء ، على أنّها تصوِّره متحوّلاً من حالته في السماء إلى حالته في الأرض ..

.. والحديد الذي نستخدمه في صناعاتنا سواء الحربيّة أم السلميّة ، سخّره الله تعالى لنا وطوّعَهُ بين أيدينا ، أي أنزله من ساحة عدم الفائدة إلى ساحة الفائدة والتسخير ..

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥]

فمجيء العبارة القرآنيّة ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ بعد العبارة القرآنيّة ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ ﴾ مباشرةً ، وقبل العبارة القرآنيّة ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ مباشرةً ، يؤكّد لنا أنَّ إنزال الحديد هو تسخيره بين أيدينا للصناعة ، سواء الصناعات الحربيّة : ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ أم الصناعات السلميّة : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ .. فالذي يُريد أنْ يقيمَ منهجَ الله تعالى وأن يقيم الميزان ، عليه أن يستخدم الحديد ويأخذَ بأسباب العلم والصناعة ، حين ذلك يكون من القادرين على نصرةِ اللهِ تعالى ورسلهِ ..

.. والكافرون الذين لا يرجون لقاءَ الله تعالى ، يُريدون مَلَكَاً يكون مع الرسول ﷺ ، وبينهم ، وبالتالي يُريدون مَلَكَاً بصورةِ هذا العالم المادّيِّ .. ولذلك نرى الفعل أنزل — دون غيره — في الصورتين القرآنيّتين التاليتين ..

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٧]

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان : ٢١]

فالملائكة إذا قُدِّرَ لها أن تمشي في الأسواق مع الرسل ، وأن تكون مع الناس ، فلا بدّ أن تُحَوَّل من ماهيَّتُها إلى صورِ عالمنا البشريّ .. ولذلك نرى ورود الفعل أنزل ..

.. وهذه هي باقي الصور القرآنيّة التي تصوّر لنا إنزال الملائكة ..

﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٤]

﴿ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت : ١٤]

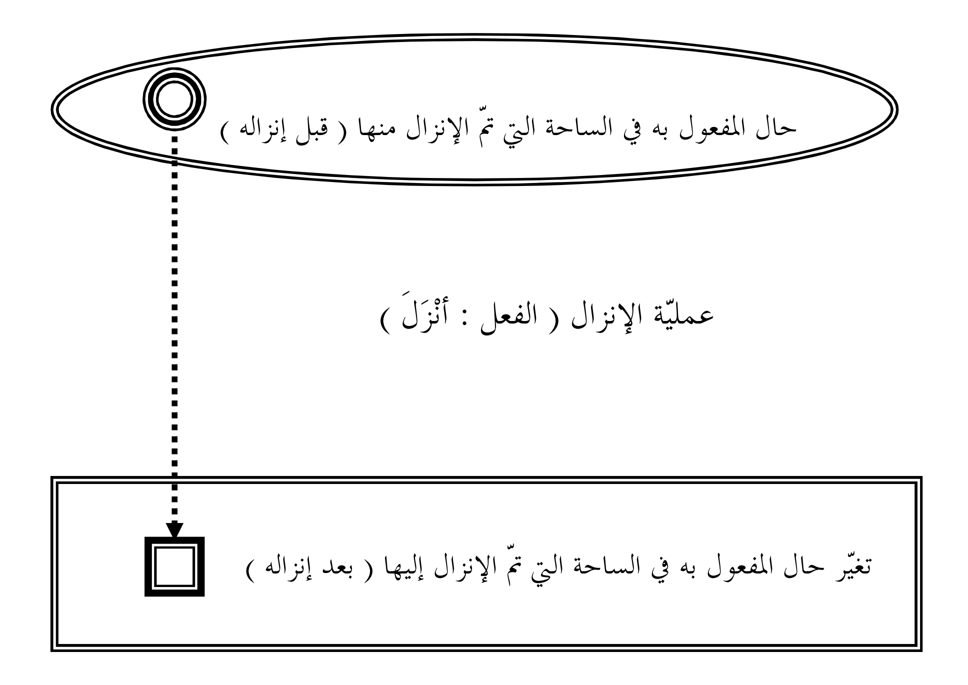
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٨]

.. ولذلك فاللباس الذي سخّره الله تعالى لبني آدم ، وذلّله بين أيديهم ، يُناسبه الفعل أنزلَ دون غيره ..

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٦]

والصورة القرآنيّة التالية تبيّن لنا كيف أنَّ الله تعالى غيّر حال بعض أهل الكتاب ، وبالتالي أنزلهم من حالٍ إلى حال ..

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٢٦ – ٢٧]



الفعل نـَزَّلَ : متعدٍّ إلى مفعول به .. وفاعل التنزيل لا يتحرّك من الساحة التي يتمّ التنزيل منها إلى الساحة التي يتمّ التنزيل إليها .. وتنزيل الأمر (أو الشيء) من ساحة إلى ساحة ، لا يعني تحوّلاً في ماهيّة المُنَزَّل كما هو الحال في ماهيّة المُنْزَل ..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور : ٤٣]

إنّ الصورة القرآنيّة **﴿ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾** تُصوِّرُ حال إنزال الوَدْقَ من الركام **﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾** .. بينما في مسألة البَرد الذي يُنَزَّل من ذاتِ جبال البَرَد ، حيث يصوّره القرآن الكريم دون التعرّض لآليّة استخراجه من جبالِه ، نرى التصويرَ القرآنيَّ المطلق يأتي بصيغة التنزيل (من الفعل نزَّلَ) .. **﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾** ..

.. والصورة القرآنيّة التالية تُصوِّر لنا تنزيل الماء من السماء ، أي دون آليّات إنزاله وتحويله من حالته في السماء إلى حالته بعد إنزاله .. أي من زاويةِ كونه ماءً في السماء وفي الأرض ..

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١]

.. وهاهي باقي الصور القرآنيّة التي تُبيّن لنا تنزيل الماء من السماء ، باعتباره ماءً في السماء وفي الأرض ، أي قبل تنزيله وبعد ذلك .. أي باعتباره وسيلة للحياة ، ونعمة من نعم الله تعالى علينا ، بعيداً عن آليّات تحويله من حالته في السماء إلى حالته في الأرض ..

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٣]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤]

﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم : ٤٩]

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف : ١١]

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق : ٩]

ونرى في القرآن الكريم أنّه حينما يكون الحديث عن الملائكة من زاوية عدم تغيّر حالها قبل التنزيل وبعده ، أي من زاوية عدم تمثّلها بصور عالمنا ، تأتي صيغة التنزيل (من الفعل نزّلَ) ..

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٥ – ٢٦]

ففي ذلك الموقف الذي تَشقّقُ فيه السماء بالغمام ، تتغيّرُ نواميس الحيــاة ، وبالتــالي تتنزّلُ الملائكة دون أيِّ تغيير في ماهيّتها ، أي دون أنّ تتمثّل صور عالمنا المادي ..

وممّا يؤكّد أنَّ تنزّل الملائكة التنــزيل المعني في هذه الصورة القرآنيّة ، يكون بالماهيّــة الملائكيّة ، دون تحويل وتمثّل بصورة عالمنا المادّيّ ، هو تساوي القيم العدديّة لهاتين الآيتين المتتاليتين ..

﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ = **٢٦٤**

﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ = **٢٦٤**

.. وحينما يكون الحديث عن تنزّل الملائكة بالروح من أمر الله تعالى ، لحالة إيمانيّة (معنويّة) على قلوب بعض البشر ، نرى الصياغة القرآنيّة تأتي بالتنزيل ، فلا داعي لتغيّــر حال الملائكة – في هذه الحالة – ولتمثّل صور عالمنا ..

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠]

﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ﴾ [القدر : ٣ – ٤]

.. ولّما كان الكافرون لا يؤمنون إلاّ أن يشاء الله ، فإنّ تنزيل الملائكة بماهيّتهم كمــا هي دون أيِّ تغييرٍ في حالها ، لن يؤدّي بهم إلى الإيمان ، إلاّ أن يشاء الله .. ولذلك نرى أنّ القرآن الكريم يصف هذه المسألة بصيغة التنزيل (من الفعل نزّل) .. فحــال الملائكــة لم تتغيّر ما بين الساحة التي تمّ التنزيل منها وبين الساحة التي تمّ التنزيل إليها ..

﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١١١]

فتتريل الملائكة بماهيّتها دون أي تغيير إلى الساحة التي يتمّ التتريل إليها ، لا يكـــون إلاّ إذا كان في الأرض ملائكة يمشون ..

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٥]

فالملائكة لا يُنزّلون إلاّ بالحقّ ، حيث لا تتغيّر ماهيّتهم ما بين الساحة التي يتمّ التتريل منها والساحة التي يتمّ التتريل إليها ..

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر : ٦ – ٨]

.. والحواريّون طلبوا من عيسى عليه السلام أن يُنزِّلَ اللهُ تعالى عليهم مائدةً من السماء ، أي طلبوا مائدةً وفق نواميس السماء لا الأرض ، أي لا تتحوّل بإنزالهـــا إلى نـــواميس الأرض ، ولذلك نرى أنّهم طلبوها بصيغة التتريل لا الإنزال ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢]

وقد أدرك عيسى عليه السلام حقيقة طلبهم ، ولذلك قال لهم ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، فما طلبوه هو آية من السماء بنواميس السماء .. ولكنّ عيسى عليه الســـلام طلب من الله تعالى أن يُنْزِلَ هذه المائدة بتحويلها إلى نواميس الأرض ، أي أن يُنْزِلَها (من الفعل أنْزَلَ) لا أن يُنزِّلَها (من الفعل نَزَّل) ، لأنّه عليه السلام يعلم أنّ تتريلَ آيـــة وفـــق نواميس السماء يترتّب عليه العقاب الشديد فيما لو لم يؤمن من نُزّلت عليه هذه الآية ..

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة : ١١٤]

.. وجاء الردُّ الإلهيُّ كما طلب الحواريّون ، أي مائدةً بنواميس السماء ، وبالتالي معجزةً يترتّب على الكفر بها عذابٌ لا يكون لأحدٍ من العالمين ، ولذلك نرى في الردِّ الإلهيِّ صياغة التنزيل (من الفعل نزّل) لا صياغة الإنزال (من الفعل أنزل) ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥]

.. فطلب الحواريّين بالتنزيل نراه مسألةً كاملة ..

﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [المائدة : ١١٢] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

والردّ الإلهيّ على جوهر المسألة وهو التنزيل جاء أيضاً مسألةً كاملة ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. والأمر الذي ينتقل من إحدى السماوات إلى أُخرى ، هو ذاتُهُ سواءٌ في السماء التي كان فيها أم في السماء التي حلَّ فيها .. ولذلك نرى أنّ الله تعالى يصف هذه المسألة بصيغة التنزيل ..

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق : ١٢]

ويتجلّى الفارق ما بين التنزيل (من الفعل نزّل) والإنزال (من الفعل أنزل) في مسألة المنّ والسلوى ..

لقد وصف الله تعالى المنّ والسلوى بماهيّتها دون تحويل أو تبديل (بصيغة التنزيل من الفعل نزّل) ، في سياق ما قبل معصية بني إسرائيل واتّخاذهم العجل ..

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ۝٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ

﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طــه : ٨٠ – ٨٨]

ونرى أنَّ القرآن الكريم يصوّرُ لنا المن والسلوى في سياق ما بعد معصيتهم واتّخاذهم العجل ، بصيغة الإنزال (من الفعل أنزلَ) ..

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥٤ – ٥٧]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ .... وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ

وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢ – ١٦٠]

وهذه العبارات الثلاث .. ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [طـه : ٨٠] .. ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ [البقرة : ٥٧] .. ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .. تكوِّن مسألةً كاملةً مع العبارة القرآنيّة ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴾ من الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١]

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ = ١١٣

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ = **١١٤**

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ = ١١١

﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴾ = ٢١٣

١١٣ + ١١٤ + ١١١ + ٢١٣ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

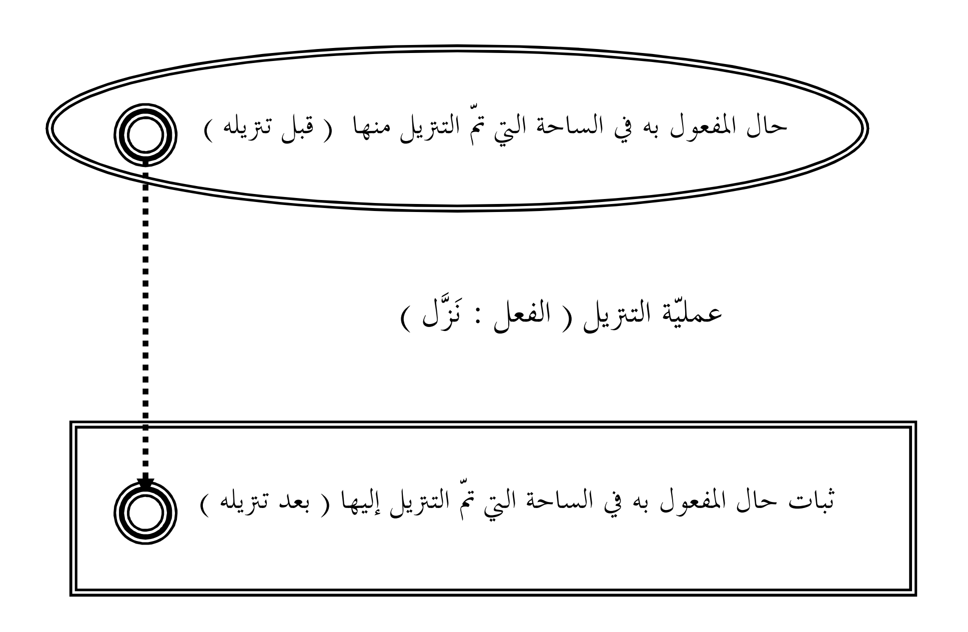
.. فوصْفُ الله تعالى للمنّ والسلوى قبل المعصية ، هو وصفٌ لها بماهيّتها التي نزّلها الله تعالى من السماء .. بينما وصْفُ الله تعالى لها بعد المعصية ، هو بالماهيّة التي تحوّلت (أُنزِلَت) إلى ما هو أدنى ..

.. ولمّا كان الغيثُ مددَ الله تعالى المباشر لعباده بعد أن ييئسوا من الأسباب ، فإنّه يُنزَّل تنزيلاً (من الفعل نزَّل) ، ولا يُنْزَل إنزالاً ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان : ٣٤]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨]

.. وهكذا نرى أنّ التتريل (من الفعل نزَّلَ) يعني قيام الفاعل بتتريل المسألة من ساحة إلى ساحة دون أيِّ تحوّل في ماهيّة المسألة المتزَّلة ..



.. ولو عدنا إلى كتاب اللهِ تعالى (القرآن الكريم) لرأينا أنَّ الفعل نزَّل العائد إلى اللهِ تعالى (الذي يكون فيه الفاعل هو الله تعالى) ، لا يقترن – بالنسبةِ للكتب السماويّة – إلاّ بالقرآن الكريم فقط ..

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣]

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة : ٩٠]

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧]

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٥]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦]

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧]

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ١٠١]

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦]

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤]

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : ٦]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤]

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩]

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠١ – ١٠٢]

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢]

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢]

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٨]

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر : ٢٣]

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١]

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٢]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٦]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٩]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٣]

.. فالكتب السابقة لم تقترن [في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)] بالفعل نــزَّل الذي فاعله الله تعالى .. وهناك اقترانٌ وحيدٌ – في القرآن الكريم – لهذا الفعل مع التوراة ، ولكن بصيغة المبني للمجهول ..

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣]

.. التوراة نُزِّلت ، ولكنَّ النصَّ لا يقول بتتريلها من عند الله تعالى ، فالعبارة القرآنيّــة ﴿ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ تُبيِّن لنا أنَّ المُترِّل يأتي بصيغة المبني للمجهول ، ولا يُوجَــد نصٌّ قرآنيٌّ يشير إلى أنّ التوراة أو أيَّ كتابٍ سماويٍّ آخر (عدا القرآن الكريم) نُزِّل مـــن عند الله تعالى ..

.. ومن الآية الكريمة ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣] ، إضافةً للصورة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] يتبيّن لنا جليّاً أنَّ القرآنَ الكريم يتميّز بكونه منزّلاً من عند الله تعالى ، ويشترك مع باقي الكتب السماويّة كونه مُنْزَلاً (من الفعل أنزل) من عند الله تعالى .. فلماذا انفرد القرآنُ الكريم بصفة التنزيل دون باقي الكتب السماويّة ؟ ..

..كلُّ رسالة سماويّة ترتكزُ على عناصر ثلاثة :

(**١**) **–** رسول حامل للرسالة ..

(**٢**) **–** مضمون الرسالة وما يريده الله تعالى من البشر **[** المنهج **]** ..

(**٣**) **–** دليل صدق الرسول ورسالته **[** المعجزة المُصدِّقة للمنهج **]** ..

والصورة القرآنيّة **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾** تُبيّنُ لنا – بكلِّ وضوح – مرحلتين من رسالة الله تعالى للبشر ، وذلك بالنسبة لموضوع الكتاب :

(**١**) **–** مرحلة ما قبل الرسول محمّد ﷺ **﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾** ، حيث تمتاز هذه المرحلة – كما نرى – بصفة الإنزال ..

(**٢**) **–** مرحلة الرسول محمّد ﷺ حتى قيام الساعة **﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾** ، حيث تمتاز هذه المرحلة – كما نرى – بصفة التنزيل إضافة لصفة الإنـزال كما يؤكّد القرآن الكريم ..

ولو عدنا إلى الرسالات السماويّة السابقة لوجدناها تتّصف بالصفات التالية :

١ – المنهج فيها خاصٌّ بأزمنة وأمكنة محدّدة .. فرسالة كلِّ رسولٍ خاصّةٌ بقومه وبحلِّ مشاكلِهم في تلك الفترة ..

٢ – المنهج فيها منفصلٌ تماماً عن المعجزة ، فالمنهج شيءٌ والمعجزة شيءٌ آخر .. ففي رسالة موسى عليه السلام نعلم أنّ المعجزة التي أُيِّد بها هي العصا وإخراج يده بيضاء وغيرها ، وهذه المعجزة منفصلةٌ تماماً عن المنهج الذي كان يدعو إليه .. ومعجزة عيسى

عليه السلام كانت إحياء الموتى بإذن الله تعالى وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك ، وهذه المعجزة منفصلةٌ تماماً عن المنهج الذي كان يدعو إليه (الإنجيل) ..

٣ – صياغة المنهج ليست من الله تعالى ، فلو كانت كذلك لكانت معجزةً ولتحدّى اللهُ تعالى البشر من الإتيان بصياغة مشابهة لها .. فأساس المنهج – في الرسالات السابقة – هو تفاعل القوم مع رسولهم ، وقد رأينا في الفصل الأوّل (سلّم الرسالات السماويّة) كيف أنّ ما شرعه الله تعالى في الرسالات السابقة يصفه – في القرآن الكريم – بصيغة الوصيّة ، في الوقت الذي يصف فيه ما شرعه في رسالة محمّد ﷺ بصيغة الوحي ..

٤ – لمّا كان المنهج ليس من صياغة الله تعالى ، فهذا يعني أنّ النصَّ منه يحمل فقط المعنى الظاهر الذي يريده من قام بصياغة هذا النصّ ..

٥ – المعجزة تنتمي إلى عالم الخلق ، وليست مستمرّةً بعد موت الرسول ، وبالتالي لا يشهدها إلاّ القوم الموجودون أثناء حدوثها ..

.. لذلك فكلمة الكتاب حينما ترد في كتاب الله تعالى وصفاً للكتب السابقة ، فإنها تعني المنهج حصراً ، ولا تعني أبداً المعجزةَ المصدِّقةَ لهذا المنهج .. ولمّا كان أصلُ المنهج من عندِ اللهِ تعالى ، وقد تمّت صياغته اللغويّة ليس من قِبَلِ الله تعالى ، فإنّه يكون قد ارتسم بصورةِ العالم الذي ينتمي إليه من قام بهذه الصياغة ، أي تمّ إنزاله (تمثّله وتحويله وارتسامه) إلى الساحة التي ينتمي إليها من قام بصياغته .. لذلك نرى أنّ الكتب السماويّة السابقة يصفها اللهُ تعالى بصيغة الإنزال دون التنزيل ..

.. والتوراة التي هي كتابٌ سماويٌّ **﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾** [المائدة : ٤٤] ، أنزلها الله تعالى إلى ساحة الملائكة ، حيث صاغتها الملائكة ، ثمّ نُزِّلت دون أيِّ تغييرٍ بصياغتها إلى ساحة الدنيا التي يتفاعل بها البشر مع رُسلِهم .. ولذلك نرى أنّ الكتاب الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام ، والألواح ، يحمل تفصيلاً لكلِّ شيءٍ ، وهذا يعود إلى كون صياغتها من قِبَل الملائكة ..

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٤]

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٤٥]

.. وبعد أنّ حرّف بنو إسرائيل بعضَ التوراة ، ونسوا بعضها ، من بعد موسى عليه السلام ، عادت الملائكة فحملت في التابوت لبني إسرائيل بقيّةً ممّا ترك آل موسى وآل هارون ، وذلك آيةً لبعث طالوت ملكاً عليهم ، ففي التابوت الذي حملته الملائكة بقيّة من التوراة ..

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٧ – ٢٤٨]

فالتابوت الذي حملته الملائكة ﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ، فيه ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ .. وهذه البقيّة هي التوراة في مرحلتها الثانية ، أي جزءٌ من التوراة (في مرحلتها الأولى) تحمله الملائكة (التي صاغت التوراة أصلاً) ..... هذه التوراة (في مرحلتها الثانية) نزّلتها الملائكة كما هي ، في التابوت .. فالتابوت تنزّلت به التوراة عن طريق الملائكة ..

.. إنّ التوراة التي صاغتها الملائكة ، نزّلتها في المرحلة الثانية (في التابوت) .. وهكذا فالتابوت يشير إلى التوراة في تنزّلها الثاني ..

ولو حسبنا القيمة العدديّة لكلٍّ من كلمتي : (التوراة ، التابوت) لرأيناهما متساويتين تماماً ..

﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ = ٤٠ ،، ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ = ٤٠

.. هذا التكامل بين تنزّل التوراة ، والذي تبيّنه العبارة القرآنيّة **﴿ تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾** في الآية الكريمة **﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾** [آل عمران : ٩٣] ، وبين الصورة القرآنيّة **﴿ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾** ، ينعكس تكاملاً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ [آل عمران : ٩٣] = ٨٠

﴿ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] = ٣٥٧

٨٠ + ٣٥٧ = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

.. وفي مسألة التابوت ، نلاحظ أنّ كلمة **﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾** ترد في كتاب الله تعالى مرّتين ، ولو حسبنا القيمة العدديّة لحروف الآيتين اللتين تحويان كلمة **﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾** ، لرأينا أنّنا أمام مسألة كاملة ..

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] = ٦٤٥

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طـه : ٣٩] = ٦٨٥

٦٤٥ + ٦٨٥ = **١٣٣٠ = ١٩ × ٧٠**

.. ولو أخذنا الصورة القرآنيّة التالية من الآية الأولى ، لوجدناها مسألة كاملـة .. ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ ﴾ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

ولو أخذنا الصورة القرآنيّة التالية : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [طه : ٣٨ – ٣٩] ، مع الآية (٧) من سورة القصص ، لوجدنا مسألة كاملة ..

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [طه : ٣٨ – ٣٩] = ٣٣٠

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] = ٦٠١

٣٣٠ + ٦٠١ = **٩٣١ = ١٩ × ٤٩**

.. ومسألة حمل الملائكة للتابوت ، وبالتالي صياغتها للتوراة ، تتبيّن معنا من خـلال تكامل مجموع القيم العدديّة لكلمة ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ ، مع العبارة القرآنيّة : ﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ ﴾ ، في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ = ٤٠

﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ ﴾ = ٧٤

٤٠ + ٧٤ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. وهكذا فتترّل التوراة ﴿ تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾ كان ليس من عند الله تعالى ، إنّما من ساحة الملائكة إلى عالم الدنيا .. بينما تمّ إنزالها من عند الله تعالى .. فتترّل التوراة من عند الملائكة يعني نزولها إلى عالم الدنيا كما صاغتها الملائكة دون أيِّ تبديلٍ أو تحويل ..

.. ولو نظرنا في القرآن الكريم لرأينا أنّه يتميّز عن الرسالات السابقة بالنقاط التالية :

(**١**) – المنهج الذي يحمله القرآن الكريم هو للبشريّة جمعاء حتى قيام الساعة ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء : ١٧٤]

﴿ الٓرۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١]

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨]

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٧]

.. فالمنهج الذي يحمله القرآن الكريم يحمل أحكاماً صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكان ، تُستنبط من ذات النصِّ القرآني ، ومهيمنٌ على ما سبقه من المناهج ..

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة : ٤٨]

(**٢**) – في رسالة الرسول محمّد ﷺ المنهج هو ذاته المعجزة ، المنهج هو القرآن الكريم ، والمعجزة هي القرآن الكريم .. ولا منهج خارج القرآن الكريم ، ولا معجزة (مؤيّدة لهذا المنهج) خارج القرآن الكريم .. وقد بيّنتُ ذلك بشكلٍ مفصّل في كتاب : المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ..

(**٣**) **–** القرآن الكريم (المنهج والمعجزة) صاغه الله تعالى ، فقد رأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) كيف أنّ القرآن الكريم يمتاز عن باقي الكتب السماويّة بكونه قول الله تعالى ، أي صياغة لغويّة من قِبَلِ الله تعالى ..

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١١ – ١٤]

.. وكنّا قد رأينا كيف أنّ القيمة العدديّة لكلمة (القرآن) تساوي القيمة العدديّة للعبارة القرآنيّة **﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾** ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ = <u>٢٩</u> ،،، **﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ = <u>٢٩</u>**

.. ولذلك تحدّى الله تعالى الإنسّ والجنّ أن يأتوا بمثل كتابه الكريم (القرآن) .. ولم يتحدّ البشر أن يأتوا بمثلِ أيِّ كتابٍ آخر ..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

(**٤**) **–** لمّا كان القرآنُ الكريم من صياغةِ الله تعالى ، ويحمل منهجاً مناسباً لكلِّ جيلٍ حتى قيام الساعة ، فإنّ الدلالات التي يحملها النصُّ القرآنيُّ لا تُحيط بها المخلوقات ، وليست متوقّفةً على المعاني الظاهرة ، فنهاية ما تؤول إليه هذه الدلالات (عمق التأويل) لا يُحيط بها إلاّ الله تعالى ، وقد رأينا هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) .. فتأويل القرآن الكريم (معرفة نهاية دلالاته) لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، ولا يأتي إلاّ في الآخرة ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧]

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢ – ٥٣]

(**٥**) – المعجزة القرآنيّة تنتمي إلى عالم الأمر ، ولا تنتمي إلى عالم الخلق .. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]
.. وبالتالي لا يُحيط بها زمانٌ ولا مكان .. وليست متوقّفةً على جيلٍ دون الآخر ، فكلُّ جيلٍ يرى من معجزات القرآن الكريم على قدر علمه وتدبّره ..

.. إنّ جميع كتب الله تعالى إلى البشريّة كانت تمهيداً للقرآن الكريم ، أي تمهيداً من مرحلة إنزال كتاب الله تعالى (في الكتب السابقة) إلى تنزيله الذي تمّ بتنزيل القرآن الكريم .. ونستطيع رؤية هذه الحقيقة بالنظر إلى بعض صفات الكتب السماويّة ..

صفة الفرقان :

.. الفرقان آتاه الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ، وأنزله الله تعالى من قبل ، أي ارتسمت صفة الفرقان بماهيّة العالم الذي أُنزلَ عليه الفرقان ..

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣]

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ٣ – ٤]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨]

.. فالفرقان – في الرسالات السابقة – آتاه الله تعالى لرسله ، وأنزلــه ، و لم يُنزِّلْــهُ ، وهذا يعني – كما رأينا – أنّ الفرقان ارتسم بصورة عالمنا البشري ، و لم يُنزَّل كما هـــو دون أيّ تغيير وتحويل ..

بينما في الرسالة الخاتمة ، نرى أنّ الفرقان نُزِّلَ تنزيلاً على الرسول ﷺ ، إضافةً إلى أنّه أُنزلَ عليه ﷺ ..

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]

.. إنّنا نرى في هذه الصور القرآنيّة أنّ الفرقان حينما يأتي بمعنى الدلالات التي يحملــها القرآن الكريم ﴿ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ ، فإنّه يرد بصيغة الإنزال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ، أي ارتسام هذه الصفة بماهيّة عالمنا ، وتحوّلها من المعنى المطلق عند الله تعالى إلى حيثيّاتِ عالمنا ..

وحينما يأتي الفرقان ليصف القرآن الكريم النصّ المقدّس المنزّل من عنـــد الله تعـــالى ، بالماهيّةِ ذاتها الموجود بها قبل أن يُنزِّله الله تعالى ، فإنه يأتي بصيغة التنزيل ..

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]

ففي هذه الحالة (صيغة التنزيل) يُراد بصفة الفرقان المنهجَ والمعجزة على حدٍّ سواء ، بينما في حالة الإنزال (سواء للكتب السابقة أم للقرآن الكريم) فالمُراد هو المنهج ودلالاته التي نُدركها في عالمنا هذا ..

وهكذا .. فصفة الفرقان (بصيغة التنزيل) بحيثيّاتها من عند الله تعالى ، لم تُوجَــد — من بين الكتب السماويّة — إلاّ للقرآن الكريم ، حُيث نُزِّلت تنزيلاً .. وبالتالي فهذه الصفة وصلت الذروة من بين كتب الله تعالى في القرآن الكريم ..

صفة النور :

لم ترد صفة النور (بأل التعريف) بالنسبة للرسالات السماويّة إلاّ للقرآن الكريم ..

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن : ٨]

.. أمّا مسألة الإخراج من الظلمات إلى النور على يد الرسل عليهم السلام ، فهي مسألة واردة في الرسالات السابقة ، وفي الرسالة الخاتمة ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥]

ولكنّ هذه المسألة (مسألة الإخراج من الظلمات إلى النور) لم تكتمــل إلاّ بــإنزال القرآن الكريم .. فها هي معجزة إحدى الكُبَر تُصدِّق اكتمال هذه المسألة ..

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

.. أمّا ورود كلمة ﴿ **نُورٌ** ﴾ (بصيغة نكرة) فقد وردت للرسالات السابقة وللرسالة الخاتمة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤]

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة : ١٥]

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ [المائدة : ٤٤]

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ ﴾ [المائدة : ٤٦]

﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ ﴾ [الأنعام : ٩١]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى : ٥٢]

.. وهكذا نرى أنّ ﴿ ٱلنُّورُ ﴾ (بأل التعريف) إنزالاً من عند الله تعالى ، لم يصف إلاّ القرآن الكريم .. فصفة النور اكتملت في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. ولّما كانت صفة النور تعني نقيض ظلام الجهل والكفر ، فإنّها تعني حيثيّات إدراك الحقّ كما نُدركه في حياتنا الدنيا ، وبما يُخرجنا من الظلمات إلى ساحة النور .. ولــذلك فإنّ النور يُنْزَلُ (من الفعل أنزل) إلى الساحة التي نتفاعل فيها بين الحقّ والباطل .. لذلك نرى أنّ صفة التتريل (من الفعل نزّلَ) لم تقترن – في كتاب الله تعالى – بالنور ولا مرّة ، وما اقترنت بالنور هي صفة الإنزال ..

صفة الذكر :

لم يرد الذكر (بأل التعريف) في كتاب الله تعالى مقترناً بالتتريل والإنزال ، إلاّ وصفاً للقرآن الكريم .. وقد ورد الذكرُ الذي يصف القرآن الكريم كتاباً مصوغاً من الله تعالى ، مقترناً بالتتريل ..

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [الحجر : ٦]

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. بينما الذكر الذي يعني السنّة الشريفة التي تُبيّن وتفصّل كليّات النصّ القرآني ، وتعني شأن المؤمنين وعزّهم ، والدلالات التي تُستنبط من كتاب الله تعالى ، ورد مقترناً بالإنزال (من الفعل أنزل) دون التتريل .. فسواءٌ السنّة الشريفة أم ما نُدرك من دلالات القرآن الكريم وأحكامه ، كلّ ذلك يخصّ جانب المنهج دون المعجزة ، ويعني اطّلاعنا على ارتسام دلالات القرآن الكريم بإدراكنا في الحياة الدنيا (عالم الخلق) ، وهذا – كما رأينا – يعني إنزال القرآن الكريم ، لا تتريله ..

.. والصورة القرآنيّة التالية تؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٤٤]

فالصورة القرآنيّة ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ تعني إنزال السنّة الشريفة على الرسول ﷺ .. والصورة القرآنيّة ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ تبيّن لنا أنَّ هذه السنّة أنزلها الله تعالى ليبيّن الرسول ﷺ كليّات النصّ القرآني الذي نزّله إلى الناس .. فالقرآن الكريم (منهجاً ومعجزةً) الذي نزّله الله تعالى كما هو تماماً ، يحتاج إلى إنزال ما يبيّنه ويفصّل كليّاته ..

.. إذاً .. السنّة الشريفة تبيّن للناس ما نُزّل إليهم ..... والقرآن الكريم المنهج دون المعجزة (الإنزال) ، والكتب السماويّة السابقة ، والسنّة الشريفة ، متماثلة من حيث تفاعلنا مع ظاهر صياغتها ..

وها هي بقيّة النصوص القرآنيّة التي ورد فيها الذكر مقترناً بالإنزال ..

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٠]

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ [ص : ٨]

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق : ١٠]

.. فصفة الذكر اكتملت في القرآن الكريم ، حيث نُزّل الذكر صفةً للقرآن الكريم .. وأُنزل الذكر على الرسول محمّد ﷺ سنّةً شريفة ، وشأناً وعزّةً لهذه الأمّة ..

صفة الروح :

لما كان الروح يعني الصلة والقربى من الله تعالى والمدد منه جلّ وعلا (كما رأينا في النظريّة الثانية القَدَر) ، فمن الطبيعي ألاّ يقترن الروح بالإنزال ، فصفة الروح لا تتحوّل بانتقاله من ساحة إلى ساحة .. ولذلك نرى أنّ الروح في القرآن الكريم يقترن بالتنزيل حصراً (بجانب المعجزة) ..

والكتاب الوحيد – من بين الكتب السماويّة – الذي وُصف بالروح هو القرآن الكريم ، لأنّه الكتاب الوحيد الذي اتّصف بصفة التنزيل .. هذه الحقيقة هي مسألةٌ كاملة تُصدّق تكاملَها مُعجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢ – ٥٣]

= **٥٢ × ١٩ = ٩٨٨**

وقد رأينا في الفصل السابق أنّ مسألة الروح تكتمل عند عيسى عليه السلام ، ولكن ليس كتاباً سماويّاً مصوغاً من الله تعالى ، وإنّما تأييداً له عليه السلام منذ ولادته ..

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] = ٢٥٠

﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] = ٢٤٤

٢٥٠ + ٢٤٤ = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] = ٢٢٦

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] = ٢٥٠

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] = ٣٢٢

٤٢ × ١٩ = ٧٩٨ = ٣٢٢ + ٢٥٠ + ٢٢٦

﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة : ٨٧] = ١٢٦

﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] = ١٢٦

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ [النساء : ١٧١] = ١٤٦

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة : ١١٠] = ٤٣٨

٤٤ × ١٩ = ٨٣٦ = ٤٣٨ + ١٤٦ + ١٢٦ + ١٢٦

﴿ جِبْرِيلُ ﴾ = **٤٤**

وهذا الروح الذي اكتمل في نفس عيسى عليه السلام ، هو الأصل الذي أُنزل منه الإنجيل إلى الساحة التي تفاعل بها عيسى عليه السلام وقومه ، حيث قام عيسى عليه السلام بصياغة الإنجيل ، أي بإنزاله من الحالة الروحيّة التي تملأ نفسه ، إلى الصياغة اللغويّة التي يدركها قومه ..... هذه الحقيقة تظهر واضحةً جليّة من خلال تساوي القيم العدديّة للكلمات : عيسى ، الروح ، الإنجيل ..

﴿ عِيسَى ﴾ = ﴿ ٱلرُّوح ﴾ = ﴿ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ = **٣٤**

.. وهكذا فالروح لم يكتمل في كتاب سماويٍّ إلاّ في القرآن الكريم .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ كون القرآن الكريم الكتاب الوحيد المُنزَّل من عند الله تعالى ، والكتاب الوحيد الذي التحمت فيه المعجزة بالمنهج والذي يحمل صفة الروح تنزيلاً من عند الله تعالى ..

صفة الكوثر :

لقد رأينا في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) أنّ سورة الكوثر مسألةٌ كاملة ، تبيّن العطاء الكثير الكثير الذي أعطاه الله تعالى للرسول ﷺ ..

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر : ١ – ٣] = **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

.. والآية الكريمة التي تُلقي الضوء على ماهيّة هذا العطاء هي الآية الأولى ، وذلك من خلال مسألةٍ كاملة قيمتها العدديّة تساوي تماماً مجموع سور القرآن الكريم ..

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

فصفة ﴿ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ خصّ الله تعالى بها الرسول محمّداً ﷺ ..... ولمّا كانت معجزة الرسول ﷺ هي القرآن الكريم ، وكان النصّ القرآنيّ يحمل الكثير الكثير من الدلالات والمعاني التي تتوالد وتتكاثر مع تدبّره ، فإنّ الكوثر هي صفةٌ خاصّةٌ بالقرآن الكريم ..

.. وهكذا نرى أنّ القرآن الكريم يتّصف بصفتين لم يتّصف بهما أيُّ كتابٍ سماويّ ، لا بصيغة التعريف ولا حتى بصيغة التنكير ، هما صفتا : **[﴿ ٱلرُّوح ﴾ ، ﴿ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾]** ..

ولذلك نرى أنّ مجموع القيم العدديّة للكلمات **[﴿ ٱلرُّوح ﴾ ، ﴿ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ ، ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾]** هو مسألةٌ كاملة ، ويساوي تماماً مجموع سور القرآن الكريم ..

﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ = ٢٩ ،، ﴿ ٱلرُّوح ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ = ٥١

٢٩ + ٣٤ + ٥١ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

ونرى أيضاً أنّ صفتي **[﴿ ٱلنُّورُ ﴾ ، ﴿ ٱلذِّكۡرُ ﴾]** اللتين يتّصف بهما القرآن الكريم ، وتكتملان فيه كما رأينا (حيث تردان بأل التعريف) ، كلٌّ منهما مسألةٌ كاملة تكتمل في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

﴿ ٱلنُّورُ ﴾ = ١٩ ،، ﴿ ٱلذِّكۡرُ ﴾ = **٣٨ = ١٩ × ٢**

.. وفي تنزيل القرآن الكريم على الرسول ﷺ ، وإنزاله ، وتنزّله على قلوب المؤمنين في تدبّرهم للقرآن الكريم ، علينا أن نميّز بين المراحل التالية :

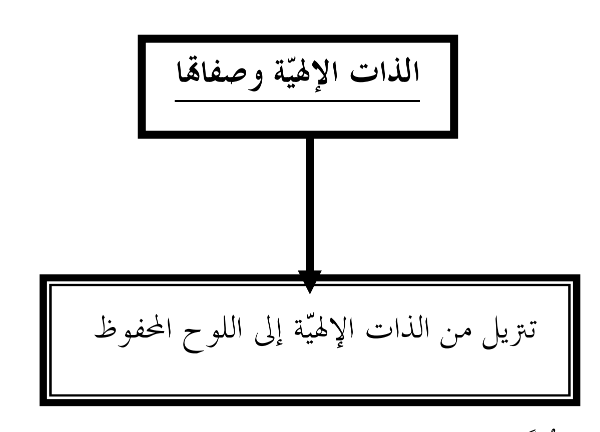
[١] – تتزيلُ الله تعالى للقرآن الكريم من الذات الإلهيّة إلى أمِّ الكتـــاب (اللـــوح المحفوظ) .. وفي تكامل الصور القرآنيّة التالية تظهر هذه الحقيقة واضحةً جليّة ..

﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] = ١٦١

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ – ٨٠] = ٣٣٦

﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ [البروج : ٢١ – ٢٢] = ٢٠٦

١٦١ + ٣٣٦ + ١٠٦ = **٧٠٣ = ١٩ × ٣٧**



.. والقرآن الكريم المُتزَّل من الذات الإلهيّة إلى أمِّ الكتاب هو :

(أ) – القرآن المنهج ..

(ب) – القرآن المعجزة ..

.. فما نُزِّل – في هذه المرحلة – هو المنهج والمعجزة ..

[٢] – تتزيل للقرآن المعجزة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا .. وإنزالٌ للقرآن المنهج من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ..

فتتزيل القرآن المعجزة كان من خلال جعله قرآناً عربيّاً .. وهو الذكر الذي تكفّلَ الله تعالى بحفظه ، وهو الروح الذي يميّز القرآن الكريم عن باقي الكتب السماويّة كما رأينا ..

هذه الأوجه الثلاثة من تتريل الله تعالى للقرآن المعجزة ، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، نراها في توازن القيم العدديّة للصور القرآنيّة التالية ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] = **١٨٨**

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] = **١٨٨**

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] = **١٨٨**

فكلمة ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ في الصورة القرآنيّة ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لا تعني حوّلناه من ماهيّة إلى ماهيّة ، إنّما تعني وصفناه وسميناه ، فكلمة جعل حينما تقترن بمسائل غير مادّية تأتي بهذا المعنى كما رأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) .. فكما أنّ هذه الصورة القرآنيّة تتوازن مع صورة تتريل الذكر ، ومع الروح كما رأينا ، فإنّها تحوي صورةً قرآنيّة تتوازن مع آيةٍ كريمة تبيّن صفة تتريل القرآن الكريم (من الفعل نزّل) من الله تعالى إلى هذه المرحلة ..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢] = **١١١**

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] = **١١١**

.. فالصورة القرآنيّة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تبيّن لنا مرحلةَ التتريل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، قبل أن يترل به الروح الأمين (جبريل) من هذه المرحلة إلى قلب الرسول ﷺ ..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥]

وتمّ في هذه المرحلة إنزال القرآن المنهج إلى السماء الدنيا .. ولّما كان إنزال القرآن المنهج مترافقاً مع تتريل القرآن المعجزة (الروح والذكر كما رأينا) ، فقد تمَّ إنزالُهُ في ليلةِ القدر التي تترّل (من الفعل نزّل) الملائكة والروح فيها ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [القدر : ١ – ٥]

.. فالآية الكريمة ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ، تبيّن لنا إنزال القرآن المنهج من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، في ليلة القدر ، والآية الكريمة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾ ، تبيّن لنا أنَّ تنزّل الروح (الذي يعني – من جملة ما يعنيه – القرآن المعجزة) تَرافَقَ مع إنزال القرآن الكريم ..

.. والقرآن الروح (الذي جعله الله تعالى عربيّاً ، وسمّاه بالذكر وتعهّد بحفظه) ، تبيّنُهُ لنا الصورة القرآنيّة التالية ، من خلال تكامل القيم العدديّة لحروفها في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء : ٨٥ – ٩٣] = **٣٢٤٩ = ١٩ × ١٩ × ٩**

فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ تتكامل مع العبارات التي تليها في مسألة واحدة ، تتمحور بمجملها حول القرآن المعجزة التي يتحدّى بها اللهُ تعالى الإنس والجنّ ..

.. وفي مرحلة إنزال المنهج من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، وتتريل المعجزة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، في الليلة المباركة (ليلة القدر) ، حدث تغيّرٌ كونيٌّ رأته الجنّ ، وذلك نتيجة نزول منهجٍ وتتريل معجزته [التي نُزِّلت من الذات الإلهيّة إلى أمّ الكتاب كما رأينا] التي تتعلّق بصفات الله تعالى .. هذه الحقيقة نراها في تكامل الآيات الكريمة التالية (في معيار معجزة إحدى الكُبَر) التي تصوِّر ما رأته الجنّ من تغييرٍ كونيٍّ نتيجة تتريل القرآن المعجزة إلى السماء الدنيا ..

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ٨ – ١٠] = **٩٦٩ = ١٩ × ٥١**

.. والآية التي تصوِّر تترّل الملائكة والروح في ليلة القدر (وبالتالي تترّل القرآن المعجزة الذي أدّى إلى التغيير الكوني الذي رأته الجن) ، نراها مسألة كاملة ، في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : ٤] = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

.. ولو أخذنا الآيتين اللتين تصوّران سماع الجنِّ لتزول القرآن المنهج (من سورة الأحقاف) ، وتفاعلهم مع سماع القرآن المنهج فقط (دون تفاعلهم مع دعوة قومهم) ، مع الآيتين اللتين تصوِّران الليلة التي أُنزل فيها القرآن المنهج (ليلة القدر ، الليلة المباركة) ، لوجدنا مسألةً كاملة تُصوِّرها معجزة إحدى الكُبَر ، وفي هذا دليلُ اكتمال إنزال القرآن المنهج في الليلة المباركة (ليلة القدر) ..

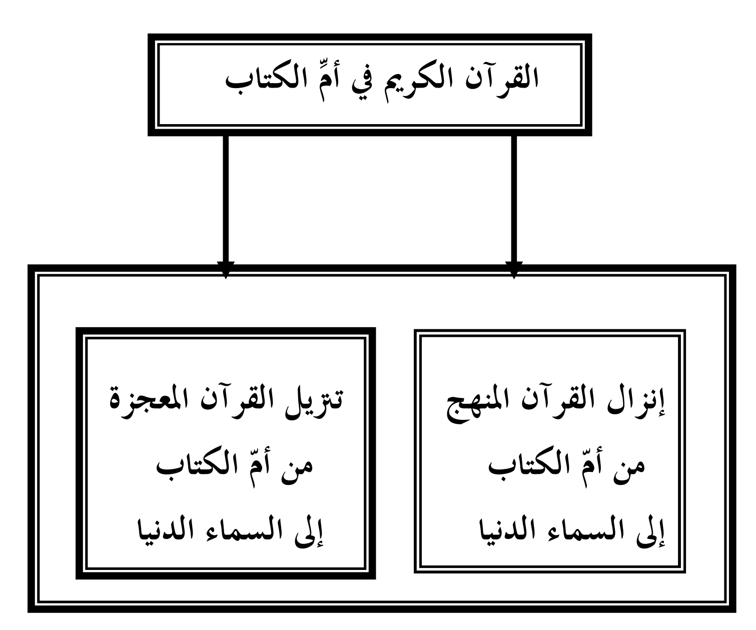
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ٣] = ١٧٩

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ – ٣٠] = ١٠٦٧

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] = ١٢٢

١٧٩ + ١٠٦٧ + ١٢٢ = **١٣٦٨ = ١٩ × ٧٢**

.. وهكذا فالقرآن الكريم أُنزِلَ إلى السماءِ الدنيا منهجاً ، ونُزِّلَ معجزة ..



[٣] – قام جبريل عليه السلام بتنزيل القرآن المنهج (المُنْزَل من أمِّ الكتاب إلى السماء الدنيا كما رأينا) ، إلى الرسول ﷺ ، وتمَّ أيضاً في هذه المرحلة تنزيل القرآن المعجزة ، إلى الأرض ..

لقد رأينا أنّ الآية الكريمة **﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾** [الشعراء : ١٩٢] = ١١١ ، تُبيّن لنا تنزيل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا .. وذلك بتوازنها مع

الصورة القرآنيّة ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] = ١١١ ، التي تشير إلى القرآن المعجزة المُنزَّل إلى اللوح المحفوظ ..

وإنّ تكامل هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مع الآيات التي تُصوِّر تنزيل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، يدلُّ على أنّ جبريل عليه السلام نزَّل على قلب الرسول ﷺ القرآن المعجزة (الروح) ..

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧] = ٤٨٨

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] = ٤١٦

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥] = ٤٢٦

٧٠ × ١٩ = ١٣٣٠ = ٤٢٦ + ٤١٦ + ٤٨٨

ولو استبدلنا الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ في هذه المعادلة ، بالآيتين اللتين تُصوِّران إنزال القرآن المنهج في الليلة المباركة (ليلة القدر) ، لوجدنا مسألةً كاملةً تبيّن اكتمال إنزال القرآن المنهج على قلب الرسول ﷺ ..

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧] = ٤٨٨

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] = ٤١٦

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ٣] = ١٧٩

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر : ١] = ١٢٢

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥] = ٣١٥

١٥٢٠ = ٣١٥ + ١٢٢ + ١٧٩ + ٤١٦ + ٤٨٨

٨٠ × ١٩ = ١٥٢٠

.. وحتى لو نظرنا داخل هذه المسألة إلى الصور القرآنيّة التي تبيّن جوهَرَ تنزيل جبريل [﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ ، ﴿ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ ﴾] للقرآن الكريم على قلب الرسول ﷺ ، لرأيناها ثلاث مسائل كاملة ..

﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

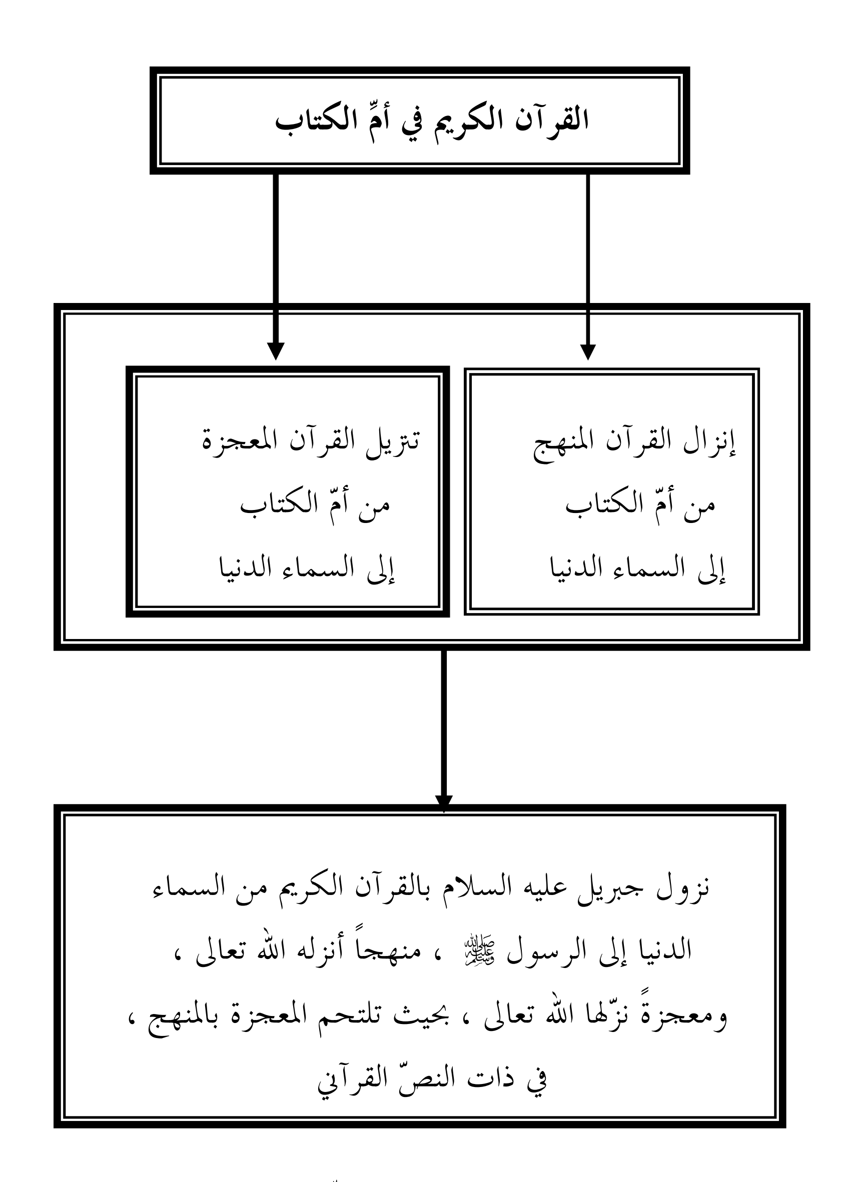
فتنزيل جبريل عليه السلام للقرآن المنهج ، هو في الحقيقة إنزال الله تعالى لهذا القرآن على الرسول ﷺ ، فالقرآن المنهج الذي أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ ، في ليلة القدر ، نزل به جبريل عليه السلام ، وبالتالي أنزلَهُ الله تعالى إلى الرسول ﷺ عن طريق جبريل ، على مدار فترة الرسالة (٢٣ عاماً) ..

.. وتنزيلُ جبريل عليه السلام للقرآن المعجزة ، هو في الحقيقة تنزيل الله تعالى لهذا القرآن على الرسول ﷺ ، فالقرآن المعجزة الذي نزّله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، نزّله جبريل عليه السلام على قلب الرسول ﷺ على مدار فترة الرسالة ..

.. ولذلك في كلِّ عبارة قرآنيّة ، علينا أن نُميِّز بين وجهين :

(أ) – وجه الإنزال للمنهج ، حيث ننظر إلى هذه العبارة القرآنيّة من زاوية الدلالاتِ الظاهرة ..

(**٢**) – وجه التنزيل للمنهج الملتحم بالمعجزة ، والذي يحمل لا نهاية من الـــدلالات التي لا يُحيط بها إلاّ الله تعالى ، والتي نهايتها عمق التأويل الذي لا يعلمه إلاّ الله تعـــالى ، كما رأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) ..



.. وهكذا فصفة التنزيل من عند الله تعالى لم تأتِ إلاّ للقرآن الكريم ..

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦]

﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [طــه : ٤]

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [السجدة : ٢]

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يــس : ٥]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر : ١]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر : ٢]

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت : ٢]

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجاثــية : ٢]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الأحقاف : ٢]

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٠]

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٣]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴾ [الإنسان : ٢٣]

فالقرآن الكريم تلقّاه الرسول ﷺ (روحاً ومعجزةً) تنزيلاً من لدن الله تعالى ، وهـو الكتاب الوحيد الذي نُزِّلَ (من الفعل نزّلَ) من لدن الله تعالى ..

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١]

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طــه : ٩٩]

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل : ٦]

ولذلك نرى أنّ الله تعالى حينما يتحدّى البشر بالقرآن الكريم الذي أنزله من عنده جلّ وعلا ، يتحدّاهم بأن يأتوا بعشر سورٍ مثله تماماً ..

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود : ١٣ – ١٤]

وحينما يتحدّى الله تعالى البشر بالقرآن الكريم الذي نزّله (من الفعل نزّلَ) من عنده جلّ وعلا ، يتحدّاهم بأن يأتوا بسورةٍ واحدة ، فالمطلوب هنا في السورة هو المعجزة والمنهج .. والآيات التالية تصوّر تحدّي الله تعالى للبشر بالإتيان بسورة من القرآن المنزّل .. ومعجزة إحدى الكُبَر تصدّق التكامل بين هذه الآيات ..

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ – ٢٤] = ٩٤٩

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٧ – ٣٨] = ١٠٠٨

٩٤٩ + ١٠٠٨ = **١٩٥٧ = ١٩ × ١٠٣**

[٤] – تنزيل الروح في أيِّ زمانٍ ومكانٍ على قلب كلِّ متدبّرٍ لكتاب الله تعالى .. فالروح القرآنيّ سُلَّمٌ للمعراج الروحي ، من خلال تدبّر آيات كتاب الله تعالى والتفاعل معها .. وهذا التنزيل من الروح يكون مباشرةً من الله تعالى دون أيِّ وسيط ..

.. فلمّا كان مفتاح شفاء المؤمنين بالقرآن الكريم ، هو تفاعلهم مع الروح القرآنيّ ، وهو مستمرٌّ حتى قيام الساعة ، لذلك نرى أنّ الله تعالى يصف هذه المسألة بصيغة التنزيل المستمرّة (وَنُنَزِّلُ) ..

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢]

ولّما كان السؤال عن الأشياء التي إن تُبدَ لنا تسؤنا ، يحتاج الجوابُ عنـــها إلى تـــترّل القرآن روحاً ومعجزةً في قلوبنا ، حين ذلك تبدو لنا بحقيقتها التي لم ندركها قبـــل تـــترّل الروح القرآني في قلوبنا .. لذلك نرى أنّ الله تعالى يصف هذه المسألة بـــصيغة التتريـــل ، الذي له إسقاطاته المستمرّة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ١٠١]

هذه المسألة التي تتكوّن من تتريل الروح القرآني شفاءً للمؤمنين ، ومن تتريل الـــروح القرآني من خلال الإبحار في دلالات ما يحمل القرآن الكريم من أجوبة لأســئلتنا ، هـــي مسألة كاملة ، وبالتالي كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] = ٣٥٢

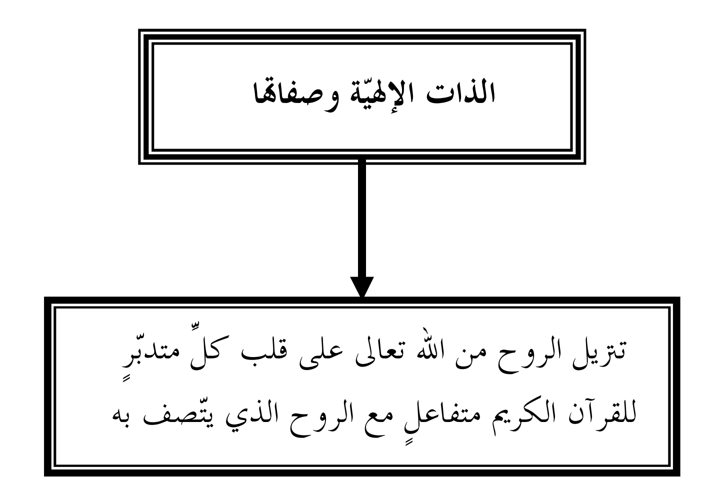
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ١٠١] = ٦١٧

٣٥٢ + ٦١٧ = **٩٦٩ = ١٩ × ٥١**

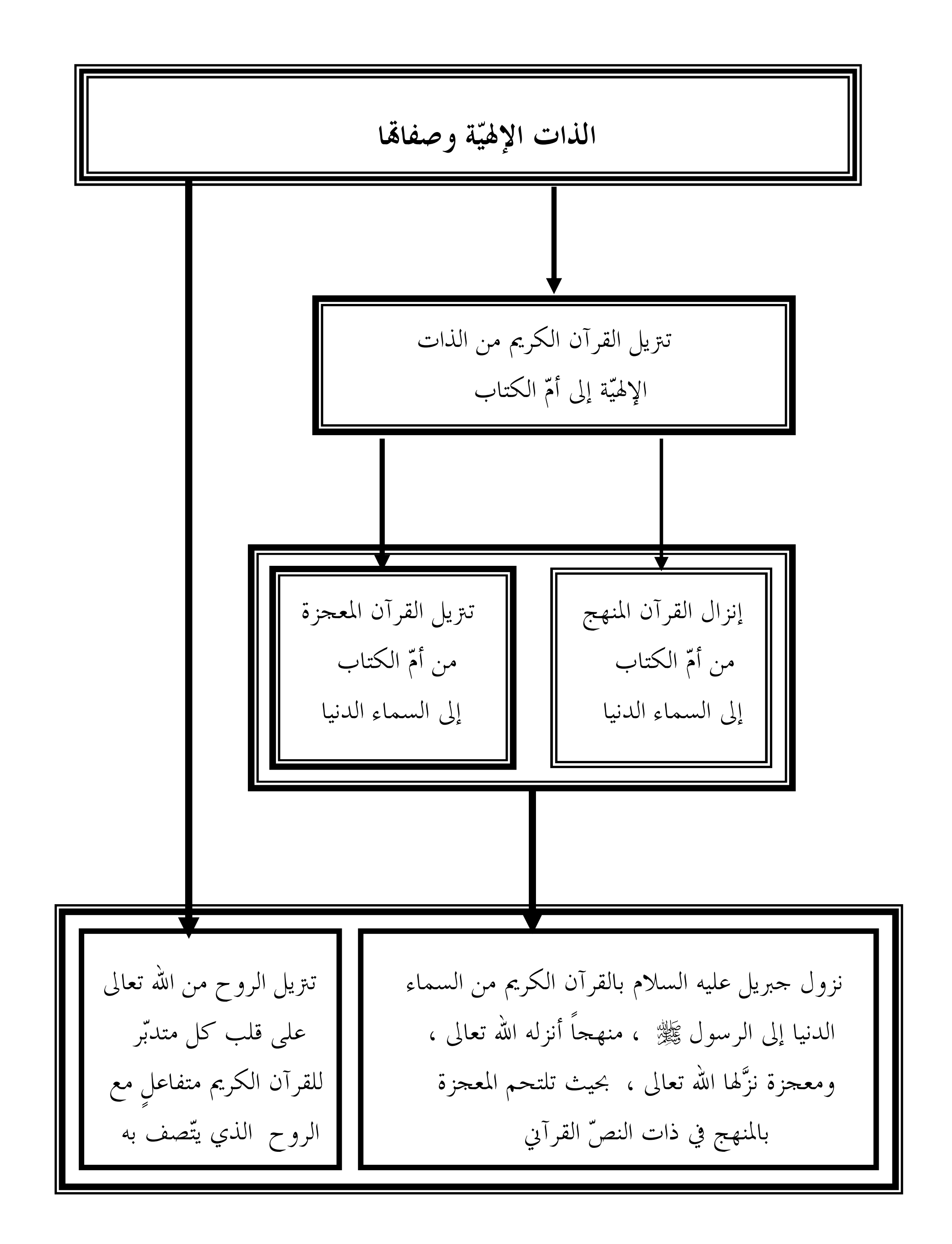
وفي الآية الثانية نرى المسألتين الكاملتين التاليتين ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ = **٢٤٧ = ١٩ × ١٣**

﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**



وبجمع مخطّطات تنزيل القرآن الكريم وإنزاله ، نحصل على المخطّط التالي ..


الذات الإلهيّة وصفاتها
تنزيل القرآن الكريم من الذات
الإلهيّة إلى أمّ الكتاب
إنزال القرآن المنهج
من أمّ الكتاب
إلى السماء الدنيا
تنزيل القرآن المعجزة
من أمّ الكتاب
إلى السماء الدنيا
نزول جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم من السماء
الدنيا إلى الرسول ﷺ ، منهجاً أنزله الله تعالى ،
ومعجزة نزَّلها الله تعالى ، بحيث تلتحم المعجزة
بالمنهج في ذات النصّ القرآني
تنزيل الروح من الله تعالى
على قلب كل متدبّر
للقرآن الكريم متفاعلٍ مع
الروح الذي يتّصف به

وصفة العربي التي وُصف بها القرآن الكريم (المنزَّل) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] ، ووُصف بها أيضاً القرآن المُنْزَل ، فتنزيله وإنزالُه كان كاملاً تامّاً خالياً من أيِّ عيبٍ أو نقص ..

إنَّ إنزالُ القرآنِ الكريمِ نصّاً وحُكماً ، كاملٌ تامٌّ خالٍ من أيِّ عيبٍ أو نقص .. ولذلك فالقرآنُ الكريمُ المُنْزَلُ نصّاً وحكماً يُوصفُ بالعربيِّ ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] = ١٨٥

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد : ٣٧] = ١٥٣

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طـه : ١١٣] = ٤٦٠

١٨٥ + ١٥٣ + ٤٦٠ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

فحيثما يرد التنزيل يُوصف القرآن الكريم من زاوية المعجزة والمنهج والروح ، ومن زاوية تنزيله دون أيِّ ارتسامٍ بماهيّة هذا العالم .. وحيثما يرد الإنزال يُوصف القرآن الكريم من زاوية المنهج وأحكامه ، وتفاعلنا مع أحكامه ..

وصفة التنزيل وفق هذا المفهوم نراها واضحةً جليّةً في الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ٧]

فالكتاب المُنزَّل هنا ، موجودٌ في قرطاس ، وماهيّته محميّةٌ من الارتسام بلون الساحة المُنزَّل إليها .. لذلك نرى أنّ الصياغة تأتي بالتنزيل لا الإنزال ..

وأهل الكتاب سألوا الرسول ﷺ أن يُنزِّل عليهم كتاباً من السماء ، بماهيّته التي في السماء ، وكأنّه في قرطاس .. لذلك نرى أنّ القرآن الكريم يُصوِّرُ هذه المسألة بصيغة التنزيل لا الإنزال ..

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٣]

وممّا يؤكّد أنّ أهل الكتاب سألوا الرسول ﷺ أن يُنزّل عليهم كتاباً بماهيّته دون أي تحويل ، وكأنّه في قرطاس ، هو التكامل بين الصورتين القرآنيّتين السابقتين ، في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ٧] = ٤٦٥

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٣] = ٦٥٦

٤٦٥+ ٦٥٦ = **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

وحينما يُدعى الكفّار إلى أحكامِ منهجِ الله تعالى يُعرِضوا بحجّةِ أنّ هذه الأحكام تُخالف الأحكام التي ورثوها عن آبائهم ، وعمّا اعتادوا عليه .. لذلك نرى أنّ الصياغة القرآنيّة لهذه المسألة تأتي بصيغة الإنزال الذي يخصّ جانب المنهج ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩١]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١]

.. والرسولُ ﷺ مكُلَّفٌ بتبليغ المنهج ، وبالتالي بتبليغ ما أُنزِلَ إليه ..

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]

.. واللهُ تعالى لم يُنزِّل القرآن (الروح والمعجزة) على الرسول جُملةً واحدةً ، ليثبّت فؤاده ﷺ .. فالقرآن (الروح والمعجزة) يحتاج تنزيله إلى تدرّجٍ روحيٍّ حتى يثبت الفؤاد ، فهذه المسألة تتعلّق بالفؤاد وما يتنزّل به من الروح ، لا بالمنهج ..

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢]

بينما جانب المنهج من القرآن الكريم أنزله الله تعالى جملةً واحدةً في ليلةِ القدر ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ٣]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١]

ولذلك فالملائكة تستطيع أن تشهدَ على ما أُنزِلَ (على جانب المنهج في القرآن الكريم) ، وكذلك الذين أُوتوا العلم .. فالمنهج ساحةٌ للتدبّرِ والشهادة ..

﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦]

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ : ٦]

.. والمؤمنون مأمورون باتّباعِ أحسن ما يحمل المنهج من خيارات للمسألة الواحدة .. أي أحسن ما أُنزِل لهذه المسألة ..

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٥]

.. وهكذا فالقرآن الكريم أُنزلَ (ونزّل) على الرسول ﷺ صياغةً تحمل أحكاماً لكلّ جيلٍ ، بحيث لو أصبحَ البحرُ مداداً لكتابة هذه الأحكام لنفد البحرُ قبل أن تنفد هذه الأحكام والمعاني والدلالات التي يحملها هذا المنهج ..

وفي الآية الكريمة التالية نرى دلالاتٍ تُلقي الضوء – بشكلٍ جليٍّ – على عمقين من البراهين والأحكام والأدلّة القرآنيّة ..

١ – العمق الظاهر الذي تدركه المخلوقات ..

٢ – وعمق التأويل الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧]

وقد بيّنت بشكلٍ جليٍّ تفسير هذه الآية الكريمة في النظريّة الثالثة (الحق المطلق) .. فتفاسيرنا الموروثة ذهبتُ في تفسيرِ هذه الآية الكريمة إلى أنَّ آياتِ كتابِ الله تعالى تنقسم إلى قِسمين .. قسم مُحكم ، وقسم متشابه .. واختلفوا في تحديد ماهيّة المُحكَم وماهيّة المتشابه ، وفي تحديد الآيات المُحكمة والآياتِ المُتشابهة كُلُّ ذلك حصلَ ويحصل مع أنَّ الله تعالى يُبيّنُ لنا أنَّ كلَّ آياتِ الله تعالى – دون أيِّ استثناء – هي مُحكمة .. يقول تعالى : **﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾** [هود : ١] .. وكُلُّ ذلك حصلَ ويحصل مع أنَّ الله تعالى يُبيّنُ لنا أنَّ كلَّ كتابِ الله تعالى متشابه .. يقول تعالى

.. ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. حلّ المسألة يكمن في معنى كلمة ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ ... فكلمةُ ﴿ ءَايَٰت ﴾ في كتابِ اللهِ تعالى تعني دلالاتٍ ومعجزاتٍ وأحكاماً ، وليست مقصورةً على مجموعةِ كلماتٍ قرآنيّة كما يتخيّلُ الكثيرون .. إنَّ العبارةَ القرآنيّةَ تحملُ الآيات في ظاهرِها وباطنها ، وليست مُجرّدَ مجموعةِ كلماتٍ مصفوفةٍ في الجملة القرآنيّة ... الآيات تُحْمَلُ في العبارة القرآنيّة ، ولا يستطيعُ مخلوقٌ أن يُحيطَ بالآيات التي تحملُها العبارةُ القرآنيّة .. والآيةُ الكريمةُ التالية تؤكّدُ هذا المفهوم كما رأينا ..

﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور : ١]

.. فاللهُ تعالى لم يقل (وَأَنْزَلْنَاهَا آياتٍ بَيِّنَاتٍ) ، إنّما يقول : ﴿ وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾ ، بمعنى أنّها تحملُ أحكاماً ومعاني ودلالات بيّنة لعلّ البشر يتذكّرون بها .. إذاً العبارات القرآنيّةُ هي قَوْلُ اللهِ تعالى الذي يحملُ الآيات بظاهر صياغتِه اللغويّة وبباطِنِها ..

.. من هنا نرى أنَّ قولَه تعالى .. ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ ، يعني أنَّ أيَّ عبارةٍ قرآنيّةٍ مُكَوَّنَةٍ من مجموعةِ كلمات ، نستنبطُ منها أحكاماً ودلالاتٍ واضحةً بيّنةً من ظاهر صياغتها اللغويّة ، وهذه الأحكامُ الظاهرةُ البيِّنَةُ هي الأصل والمرجع في الأحكام .. هذا ما نفهمُهُ من قَوْلِه تعالى : ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ..

.. وهذه العبارةُ القرآنيّةُ ذاتُها تحملُ بأعماقِها دلالاتٍ باطنةً يحتاجُ استنباطُها إلى الغوص في أعماقِ النصِّ القرآني ، وهذا ما نفهمُهُ من قَوْلِه تعالى ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾

... فالعبارتـــان : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ ، تصفُ كُلٌّ منهما كتابَ الله تعالى كاملاً دون أيِّ تجزئة لنصوصه ..

.. وهذا أمْرٌ طبيعيٌّ ، فلو كانت دلالاتُ كتابِ الله تعالى لا تتجاوز المعاني الظاهرة في ظاهر صياغتِه اللغويّة ، لَمَا كان تبياناً لكلِّ شيء ، كما يقولُ الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]

.. ولو كانت دلالاتُ كتابِ الله تعالى دونَ معانٍ باطنةٍ في أعماقِه ، لَمَا كانَ هناكَ معنىً لِقوْلِه تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [يوسف : ١١١] ، وَلَمَا كُنّا لِنُدرِكَ قَوْلَه تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] ..

ولو كان المقصود بكلمة ﴿ ءَايَٰت ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ هو جمع آية [مجموعة الكلمات القرآنيّة الواقعة بين فاصلتين] كما ذهب إلى ذلك معظم المفسّرين ، لاقتضى ذلك انتفاء التكامل والتعاضد بين كلمات الله تعالى في القرآن الكريم ، ولاقتضى ذلك التفريق والتمييز بين كلمات الله تعالى ، وبالتالي تكون لكلِّ آية من الآيات المحكمة [حسب ما ذهبوا إليه] استقلاليّة خاصّة تميّزها عن غيرها ، وبالتالي تكون أُمّاً دون غيرها ، وبالتالي يكون مجموع الآيات [حسب تعريفهم للآية بأنّها مجموعة كلمات بين فاصلتين] هو جمع كلمة (أم) ، وهذا ينافي العبارة القرآنيّة ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، فورود العبارة القرآنيّة ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بهذه الصيغة حيث كلمة ﴿ أُمُّ ﴾ بصيغة المفرد ، دليلٌ آخر على أنَّ كلمة ﴿ ءَايَٰت ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ تعني البراهين والأدلّة

والأحكام والمعاني التي تحملُها كلمات الله تعالى في القرآن الكريم ، بكليّتها دون تمييز وتفريق ..

وكما رأينا فإنَّ قوله تعالى **﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾** [هود : ١] ينفي تجزئة كلمات القرآن الكريم إلى قسمين : محكم ، ومتشابه .. فآيات الله تعالى كلُّها ودون تجزئة هي محكمة .. وقوله تعالى **﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾** [الزمر : ٢٣] ينفي – أيضاً – تجزئة كلمات القرآن الكريم إلى قسمين : محكم ، ومتشابه .. فآيات الله تعالى كلُّها ودون تجزئة هي متشابهة ..

فنحنُ لا نستطيع التفريق والتمييز بين كلمات الله تعالى وتجزئة كتابه الكريم إلى أجزاء ، منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه .. ومن يتصوّر هذه التجزئة يكون إمّا جاهلاً وإمّا متجاهلاً لحقيقة القرآن الكريم وتعلّقه بصفات الله تعالى المطلقة ..

إنَّ ما نستطيع تمييزه هو أنَّ آيات القرآن الكريم (دلالاته وبراهينه وأحكامه ومعانيه) بكليّتها هي بالنسبة لإدراكنا لها وتصوّرنا لمعانيها وبراهينها تكون وفق عمقين : عمق محكم ظاهر واضح ، وعمق متشابه خفي يختلط علينا لا نستطيع إدراكه بشكلٍ كامل في حياتنا الدنيا ..

العبارة القرآنيّة **﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾** تصوِّر لنا العمق الأوَّل ، وتعني أنَّ كلَّ كلمات القرآن الكريم بكليّتها ودون أيِّ تجزئة ، تحمل براهين ودلالاتٍ وأحكاماً ظاهرةً واضحةً (محكمة) لا يتسرّب إليها خللٌ ولا فسادٌ في الفهم ، ولا تختلف فيها العقول والمدارك .. وهذه البراهين والأحكام والمعاني صريحة لا تحتمل سواها ، وهي الأحكام التي يطلب الله تعالى من الخلق أن يعلموها ويعملوا بها ، ولذلك فهذه الأحكام هي حجّة على المكلّفين يوم القيامة ، ولذلك فهي أمّ ومرجع الكتاب ، حيث تُرجع إليها جميع المسائل والأحكام المطلوبة من الخلق ، وهذا ما نقرؤه في العبارة **﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾** ..

والعبارة القرآنيّة ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ تعني أنَّ لكلمات الله تعالى — في القرآن الكريم — دلالاتٍ وبراهينَ ومعانيَ عميقة ممّا استأثر الله تعالى به علمه ، لا نستطيع إدراكها في حياتنا الدنيا ، وهي لا تتعلّق بالمسائل التعبديّة التي يُطلَبُ من الخلق علمها والعمل بها ..

فكلمة ﴿ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ مشتقّة من الجذر (ش ، ب ، هـ) الذي يعني عدم إدراك حقيقة المسألة ، واختلاط الأمر بالنسبة لها ، مع أنَّ لها وجهاً ظاهراً .. فالصورة القرآنيّة : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] ، تعني أنَّ الأمر قد اختلط عليهم فلم يعودوا يدركوا حقيقة البقرة المطلوبة ، مع أنَّ البقر ظاهرٌ أمامهم .. والصورة القرآنيّة : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، تعني أنَّ ظاهر ذلك الرزق متماثلٌ مع أنَّ حقيقةَ طعمه مختلفة .. وكذلك الصورة القرآنيّة : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ [النساء : ١٥٧] ، تعني أنَّ الصلب والقتل شُبّه لهم ، بمعنى أنّهم رأوا ظاهراً يُوهم بالصلب مع أنَّ حقيقة الأمر وباطنه غير ذلك ..

وهكذا فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ تعني أنَّ لكلمات الله تعالى ودلالاتها وبراهينها الظاهرة عمقاً لا سبيل لنا في إدراك نهاية حقيقته وتأويله .. لذلك نرى أنَّ كلمة ﴿ وَأُخَر ﴾ ترد بصيغةِ النكرة ، وهذا دليلٌ على أنَّ المسألةَ تتعلّقُ بدلالاتٍ مخفيّةٍ عنّا ، وأنَّ المسألةَ لا تتعلّقُ بنصوصٍ من كتابِ الله تعالى مُحدّدةٍ دون غيرها .. فلو كان الأمْرُ كما ذهبت تفاسيرُنا التاريخيّة ، من أنَّ نصوصَ القرآن الكريم تنقسمُ إلى قسمين ، قسم مُحكم ، وقسم مُتشابه .. لو كان الأمرُ كذلك .. لكانت العبارةُ القرآنيّةُ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ ، لكانت صياغتُها بصيغة المعرفة : (والأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) ، حيثُ النصوصُ المتشابهةُ معلومة ، ولتناقضَ ذلكَ — أيضاً — مع حيثيّاتِ صياغةِ النصِّ القرآني : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ .. فالعبارةُ القرآنيّةُ ﴿ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ تُبيِّنُ لنا أنَّ

العمقَ المتشابه ليس خاصّاً بجزءٍ مُحدَّدٍ من نصوصِ القرآن الكريم دون غيرِها .. فوجودُ قسمٍ معلومٍ من آياتِ كتابِ الله تعالى دون غيرِها تتَّصف بصفة المتشابهات ، هذا الوجودُ المُفترَضُ تُناسبُه الصياغة : (فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ الْمُتشابهات مِنْهُ) .. ولكن ما نراه أنَّ كلمة (الْمُتشابهات) لا وجودَ لها ، وما هو موجود هو العبارةُ القرآنيّة **﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾** .. هذا بالإضافةِ إلى وجودِ نصّين قرآنيّين يُؤكدان أنَّ القرآنَ الكريمَ كُلَّه محكم ، وأنّه في الوقتِ ذاته كُلَّه مُتشابه ..

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود : ١]

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. وكُلُّ ذلك يُؤكِّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه في تفسيرِنا لهذه المسألة ..

.. إذاً .. الأعماقُ الباطنةُ للنصِّ القرآنيِّ ليست ظاهرةً أمام أعيننا ، كالأعماق الظاهرة المُحكمة .. ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ كُلَّ نصوصِ القرآن الكريم ودون أيِّ استثناء تحملُ هذا العمقَ الباطن .. لذلك فإنّنا نرى صيغةَ النكرة في قولِـــه تعـــالى **﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾** ، ونرى الصياغة القرآنيّة **﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾** .. هذا ما تحملُه صياغةُ هذه العبارات القرآنيّة ، وهذا ما يُدركُهُ كلُّ باحثٍ عن الحقيقة ، ينظرُ إلى دلالاتِ كتابِ الله تعالى بتجرّدٍ عقلـــي بعيداً عن برزخ التاريخ ..

.. ولذلك في قولِهِ تعالى : **﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾** [آل عمران : ٧] .. عِنْدِ كلمةِ **﴿ وَٱلرَّٰسِخُون ﴾** ابتداءٌ لِجُملةٍ جديدة ... أيْ أنَّ الراسخين في العِلْمِ لا يعلمونَ تأويلَ القُرآنِ الكريم ..... ومعجزةُ إحدى الكُبَر تُؤكِّدُ صِحّةَ ما نذهبُ إليه .. فابتداءً من هذهِ الكلمةِ نرى مسألةً كاملة ..

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] = **١٧ × ١٩ = ٣٢٣**

.. إذاً في العُمْقِ المُتشابهِ الباطنِ للقرآنِ الكريم ، تَكْمُنُ جُزئيَّاتُ الكُلّيّاتِ التي يَحْمِلُها القُرآنُ الكريمُ في عُمقه الظاهرِ ، وتَكْمُنُ جُزئيّاتُ شعائرِ العبادات التي أَتَتْ السنّةُ الشريفةُ لاستخراجِها منْ أعماقِ هذا العُمق ..... وإلاّ كيفَ يكونُ القرآنُ الكريمُ تبياناً لِكُلِّ شيءٍ ، إنْ اقتصرتْ دلالاتُهُ على ما نُدرِكُهُ من عُمقهِ الظاهر ؟ !! ..

وَقَوْلُهُ تعالى **﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾** [الحجر : ٨٧] يُؤكِّدُ صِحّةَ ما نذهبُ إليه .. فالمثاني تَتَعَلَّقُ بالعمقِ المُتشابهِ للقرآنِ الكريم .. وقولُهُ تعالى **﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾** [الزمر : ٢٣] ، أكبرُ دليلٍ على ذلك .. فكلمة **﴿ مَّثَانِيَ ﴾** نراها متعلّقةً بكلمة **﴿ مُّتَشَٰبِهًا ﴾** ، وكلاهما يأتي متعلّقاً بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) : **﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾** ..

.. والمثاني بِمعنى الباطنِ المَخْفِي .. يقولُ تعالى : **﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾** [هود : ٥] ..... وبالتالي فالعمقُ المُتَشَابهُ الباطنُ للقرآنِ الكريم ، هُوَ مَثَانٍ ، أي هُوَ : دلالاتٌ مَخفيّةٌ في باطنِ القرآنِ الكريم ، يحتاجُ كَشْفُهَا ورؤيَتُها إلى رَفْعِ الأغطيةِ التي تكمنُ تَحْتَهَا هذه الدلالات .. فَكُلُّ غطاءٍ هو مثنى ، تحتَهُ عُمقٌ من هذه الدلالات ..

.. وَكَيْ نُقَرِّبَ المسألةَ إلى أذهانِنا .. لنتصوَّر أنَّ أمامَنَا بحراً نُريدُ الغوصَ في أعماقه الباطِنَةِ ، من خلالِ دَرَجٍ يتَّجهُ من سطحهِ باتِّجاه قاعه .. فتجاوزُ الدرجةِ الأولى منه باتّجاه قاعه ، يُقابلُ رفعَ الغطاءِ الأوّلِ منْ أغطيةِ الأعماقِ الباطنة للقرآن الكريم ، أي تجاوزَ المثنى الأوَّل .. وبعد ذلك فإنَّ تجاوزَ الدرجةِ الثانيةِ من الدرجِ المُتّجهِ نحو قاعِ البحر

، والإبحارَ باتّجاهِ قاعِ البحرِ إلى درجةٍ أعمقَ من الدرجةِ الأولى ، يُقابِلُ رفعَ الغطاءِ الثاني مِنْ أغطيةِ الأعماقِ الباطنةِ للقرآنِ الكريم ، أي تجاوزَ المثنى الثاني ، الذي هُو أعمقُ من المثنى الأوّل في حَمْلِه للدلالاتِ الباطنةِ في كِتابِ اللهِ تعالى ... وهكذا .. وصولاً إلى المثنى السابِع ..

.. واللهُ تعالى أعطى رسولَه ﷺ سَبعاً من هذه المثاني معَ القرآنِ العظيم .. ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ** ﴾ ، أي أعطاهُ القدرةَ على الغوصِ في الأعماقِ الباطنَةِ للقرآنِ العظيم سبعَ درجاتٍ ، بمعنى رفعِ سبعةِ أغطية من أغطيةِ الأعماقِ الباطنةِ فيه ، وَرُؤيةِ ما تَحْتَهَا من دلالات ..... وَكُلُّ ذلك كي يستنبطَ ﷺ من كِتابِ اللهِ تعالى جُزئيّاتِ الشعائر ، التي هي مِحورُ السُّنَّة الشَّريفة ..

.. واللهُ تعالى لَمْ يَقُلْ (ولقد آتيناك السبعَ المثاني في القرآنِ العظيم) ، أو (ولقد آتيناك المثاني السبع في القرآنِ العظيم) ، كي يتمَّ الجزمُ بأنَ قولَهُ تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ** ﴾ ، يعني فاتِحةَ الكتاب ، أو بعضاً من سُوَرِه .. ففاتِحَةُ الكِتاب ، ليستْ نَكِرَةً ، وهي جزءٌ من القرآنِ العظيم .. وكذلك الأمْرُ لِكُلِّ سُوَرِه ..

.. والمثاني كثيرة ، والقرآنُ الكريمُ كُلُّهُ مثاني .. يقولُ تعالى .. ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ** ﴾ [الزمر : ٢٣] ..... فما أعطاهُ اللهُ تعالى لِرسولِه ﷺ هو سَبْعٌ من هذه المثاني ، لِيستنبطَ السُّنَّةَ الشريفةَ من كِتابِ اللهِ تعالى ، حيثُ السنّةُ الشريفةُ مُحتواةٌ أصلاً في كِتابِ اللهِ تعالى ، لأنّ كتابَ اللهِ تعالى تبيانٌ لكلِّ شيء ..

.. هذه الحقيقةُ تُصَدِّقُها مُعجزةُ إحدى الكُبَر ، من خِلال تكاملِ النصوصِ القرآنيّةِ التالية ..

﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى** ﴾ [الحجر : ٨٧] = ١٥٤

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] = ٢٠٤

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣] = ٢٦٩

١٥٤ + ٢٠٤ + ٢٦٩ = **٦٢٧ = ١٩ × ٣٣**

.. فالعبارَةُ القرآنيّةُ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ ، تُبيّنُ عَطاءَ الله تعالى لِرسولِه ﷺ الذي من خِلالِه يَحْكُمُ بينَ الناسِ بما أراهُ اللهُ تعالى ، عبرَ إتيانِه هذه الأعماقَ السبعةَ التي يُبحرُ بها في باطِنِ القرآنِ الكريم ، حيث يَستنبطُ ﷺ السُّنّةَ الشريفة ..

.. وقولُه تعالى في المسألةِ الكاملة التالية ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٥] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. هذا القولُ يَحملُ بداخلِه تبياناً لِجانبٍ من هذه الحقيقة .. فالعبارةُ القرآنيّةُ .. ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ ، من هذهِ الآيةِ الكريمةِ ، هي جُزءٌ مِنْ مَسألةٍ كاملةٍ تؤكّدُ صِحّةَ ما نذهبُ إليه ..

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النساء : ١٠٥] = ١٣٦

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر : ٨٧] = ١٥٤

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] = ٢٠٤

١٣٦ + ١٥٤ + ٢٠٤ = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

.. وفي المسألةِ الكاملةِ التاليةِ دَليلٌ آخر على صِحَّةِ ما نذهبُ إليه ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النساء : ١٠٥] = ٢٧١

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] = ٢٠٤

٢٧١ + ٢٠٤ = **٤٧٥ = ١٩ × ٢٥**

.. وإتيانُ اللهِ تعالى لِرسوله ﷺ معرِفَةَ هذه الأعماقِ السبعةِ من المثاني ، يتكامَلُ مع إتيانِ اللهِ تعالى له من لَدُنْهُ جَلَّ وعلا ذِكراً .. وَكُلُّ ذلك حتى يَستنبطَ ﷺ السنّةَ الشريفةَ من أعماقِ النصِّ القرآني ..... هذه الحقيقةُ نراها في تكاملِ النصين التاليين في معيارِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر : ٨٧] = ١٥٤

﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طــه : ٩٩] = ١٣١

١٥٤ + ١٣١ = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

وهناك علاقة بين كِتابِ اللهِ تعالى المقروء (القرآن الكريم) وبينَ كتابِهِ المنشور (الكون) ، لأنّ الكتابَ المقروءَ يحملُ بباطنِهِ دلالاتِ الكليّاتِ لكلِّ ما في الكِتابِ المنشور ..... إنَّ العلاقةَ بين الكِتابين من مَنظارِ السبعِ المثاني والسماواتِ السبع ، تجمَعُ ما بين إتيانِ اللهِ تعالى لرسولِهِ الحدَّ الأعلى من مَعْرِفَةِ العُمقِ المتشابه ، وهي كما رأينا سَبعاً من المثاني ، وما بينَ خَلْقِ سَبعِ طرائقَ فوقَنا وبناءِ سَبعٍ شدادٍ ، في كتابِ اللهِ تعالى المنشور .. تلكَ الطرائقُ الشّدادُ التي تُمَثِّلُ الحَدَّ الأعلى لما يُمْكِنُ للمخلوقاتِ أنْ تتصوَّرَهُ ..

.. فالحَدُّ الأعلى للإبحارِ في العُمقِ المتشابه الباطِنِ للكتابِ المقروء ، والحدُّ الأعلى لِتصوُّرِ ما فوقَ الخَلقِ من طرائقَ شِداد ..... كُلُّ ذلك ما بين الكِتابين ، مسألةٌ كاملةٌ ، قيمتُها العدديّةُ تساوي جداءَ مُربَّعِ العدد (**٧**) — الذي سألتَ عنه — في ثابتِ معجزةِ إحدى الكُبَر وهو العدد (**١٩**) .. أي : **٧ × ٧ × ١٩** ..

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر : ٨٧] = ١٥٤

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٧] = ٣٤٣

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣] = ٢٦٩

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ : ١٢] = ١٦٥

١٥٤ + ٣٤٣ + ٢٦٩ + ١٦٥ = **٩٣١ = ١٩ × ٧ × ٧**

إذاً .. القرآن الكريم يحمل وجهاً ظاهراً محكماً ، ويحمل في الوقت ذاته وجهاً باطناً متشابهاً ، نهايتُهُ عمقُ التأويل الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، ولا يأتي (هذا التأويل) إلاّ في الآخرة .. فكما أنّ كلَّ النصوص القرآنيّة محكمة ، كذلك كلّها – في الوقت ذاته – متشابهة ..

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢ – ٥٣] = ١٣٢٩

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر : ٢٣] = ٧٠٤

١٣٢٩ + ٧٠٤ = **٢٠٣٣ = ١٩ × ١٠٧**

وهكذا نرى أنّ الوجه المتشابه للنصّ القرآني يأتي متعلّقاً بالإنزال والتنزيل ، وهذا يتبع التحام المنهج بالمعجزة .. فحينما يصف الله تعالى هذا الوجه بصفة الإنــزال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ﴾ نرى دلالاتٍ أقرب إلى وصف المنهج .. وحينما يصف الله تعالى هذا الوجه بالتنزيل ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ نرى دلالاتٍ أقرب إلى الروح والمعجزة ، حيث تقشعرّ جلود الذين يخشون ربّهم ، ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى ..

وبيّنا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) أنّ القرآن الكريم يمتاز عن غيره من الكتب السماويّة بكونه قولَ الله تعالى ، أي صياغة لغويّة من الله تعالى ، بينما الكتب السماويّة الأخرى (بما فيها القرآن الكريم) كلام الله تعالى ، أي معانٍ من الله تعالى ..

..... لو أخذنا الصورَ القرآنيّةَ التي تبيّن أنّ القرآنَ الكريمَ قولُ الله تعالى ، وأنَّ قولَ الله تعالى لا يتبدّلُ ولا يتغيّر ، مع لفظ الجلالة **﴿ ٱللَّهُ ﴾** ، كونَ القرآنِ الكريمِ قَوْلَ الله تعالى وصياغتَه المُطلقة ، لوجدناها مسألةً كاملةً في معيارِ معجزةٍ إحدى الكُبَر ..

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] = ١٩٨

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩] = ١٩١

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل : ٥] = ١٤٥

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١٣- ١٤] = ١٣٨

﴿ ٱللَّهُ ﴾ = ١٢

١٩٨ + ١٩١ + ١٤٥ + ١٣٨ + ١٢ = **٦٨٤ = ١٩ × ٣٦**

.. فالقَوْلُ المعنيُّ في هذه العبارات القرآنيّةِ يتعلّقُ باللهِ سبحانه وتعالى ، ولذلك رأينا تكاملَ هذه العباراتِ القرآنيّةِ معَ كلمة **﴿ ٱللَّهُ ﴾** ..

وممّا يُشير إلى تعلّق القرآن الكريم الذي نزّلَهُ الله تعالى في أمِّ الكتاب (اللوح المحفوظ) ، بكونه قولاً له جلَّ وعلا ، أنّه في الآية الكريمة **﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾** نرى توازناً بين كلمتي **﴿ ٱلْقَوْلُ ﴾** ، **﴿ لَدَيَّ ﴾** ..

﴿ ٱلْقَوْلُ ﴾ = **٢٤**

﴿ لَدَىَّ ﴾ = **٢٤**

.. وهذا القَوْلُ نُزِّل وأُنزل – هو ذاته – إلى عالمِ الأمرِ وساحةِ الروحِ التي ينتمي إليها الروحُ الأمين عليه السلام .. فقد قالَهُ الروحُ الأمينُ في ساحته هذه بعد أنْ نُزِّلَ القرآنُ وأُنزل إلى هذه الساحة .. ولذلك نرى تكاملَ العبارةِ القرآنيّة **﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾** مع النصِّ التالي :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ١٩ – ٢١] = ٣٤٨

﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ = ٥١

٣٤٨ + ٥١ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. فالآية الكريمة **﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾** لا تعني أنّ الروحَ الأمينَ صاغَ القرآنَ الكريم ، إنّما تعني أنّه نقلَ القرآنَ الكريمَ قولاً منزّلاً إلى الساحة التي ينتمي إليها ، لِنقْلِهِ إلى الرسول محمّدٍ ﷺ ..

.. وهذا القول نُزّل وأُنزل – هو ذاته – إلى عالم الخلق الذي ينتمي إليه الرسولُ محمدٌ ﷺ ، فالرسولُ ﷺ نطقَ بالقرآنِ الكريم ، قولاً منزّلاً إلى الساحة التي ينتمي إليها ﷺ .. ولذلك نرى تكاملَ كلمةِ **﴿ مُحَمَّدٌ ﴾** مع النصِّ القرآنيِّ التالي :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٠ – ٤٣] = ٤٩٠

﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢

٤٩٠ + ٤٢ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. والآية الكريمة ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ لا تعني أنّ محمداً ﷺ صاغ القرآنَ الكريم ، إنّما تعني أنّه نقلَ القرآنَ الكريمَ قولاً منزّلاً إلى الساحة التي ينتمي إليها ، لِنقْلِه إلى البشر ..

.. وهكذا نرى أن تنزيلَ قول الله تعالى ، من ذات الله تعالى ، إلى جبريل عليه السلام ، إلى الرسول ﷺ ، كلُّ ذلك كان بتمام الكمال لإيصال قول الله تعالى إلى البشريّة جمعاء ، فالقرآن الموجود بين أيدينا هو ذاته قول الله تعالى ، الذي صاغه جلّ وعلا وتحدّى الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله .. وبالتالي بمقدار ما نتدبّر قول الله تعالى بمقدار ما نعرج روحيّاً باتّجاه مُراد الله تعالى في كتابه الكريم ..

بينما نرى أنّ التوراة منهجٌ مستقلٌّ عن المعجزة التي تُصدِّقها ، وهذا المنهج (التوراة) أنزلها الله تعالى إلى السماء الدنيا ، حيث قامت الملائكة بصياغتها ، ثمَّ نزّلتها الملائكة إلى الأرض .. ولذلك رأينا أنّه يُوجد نصٌّ قرآنيٌّ واحدٌ في القرآن الكريم يبيّن تعلّق كتاب سماوي غير القرآن الكريم (التوراة) بالفعل نزّل .. وهذا الفعل ورد – كما رأينا – بصيغة المبني للمجهول ..

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣]

وهكذا فالتوراة كلام الله تعالى (معنى من الله تعالى) ، وصياغة الملائكة .. ولذلك فالتوراة لا تحمل معجزةً في صياغتها ..

وعيسى عليه السلام الذي أيّده الله تعالى بروح القدس ، وامتلأت نفسه عليه السلام روحاً ، صاغ الإنجيل ، فالإنجيل هو ما نطق به عيسى عليه السلام ، وبالتالي فالإنجيل كلام الله تعالى (معنى من الله تعالى) ، وقول عيسى عليه السلام ، ولذلك لا يحمل معجزةً في صياغته ..

.. وهكذا فالكتب السماويّة مسألة كاملة ، تدرّجت إلى أن اكتملت في القرآن الكريم .. هذا التدرّج والتكامل نراه من خلال اكتمال القيم العدديّة (في معيار معجزة إحدى الكُبَر) لأسماء الذات للكتب السماويّة التي ذُكرت في القرآن الكريم ..

﴿ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ = ٤٠ ،، ﴿ ٱلزَّبُورِ ﴾ = ٤٩ ،، ﴿ ٱلۡإِنجِيلَ ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ = ٢٩

٨ × ١٩ = ١٥٢ = ٢٩ + ٣٤ + ٤٩ + ٤٠

.. وفي نهاية هذا الفصل نرى أنّنا أصبحنا نُدرك أكثر من قبل لماذا اُختصَّ القرآن الكريم بالتنزيل من عند الله تعالى ، فيما يشترك مع باقي الكتب السماويّة بالإنزال .. وفي تكامل الصورتين القرآنيّتين التاليتين برهانٌ آخر من دلالات القرآن الكريم ومعجزاته التي لا تنتهي ..

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣] = ٣٦٧

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] = ٤١٢

٤١ × ١٩ = ٧٧٩ = ٤١٢ + ٣٦٧

.. وحتّى لو اجتزأنا من هذه المسألةِ الكاملةِ العبارتين : ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ ، ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ، تلك العبارتين اللتين تصوّران جوهرَ تنزيلِ القرآنِ الكريم ، لرأيناهما مسألةً كاملة ..

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ = ٢٥٣

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ = ٢٢٢

٢٥ × ١٩ = ٤٧٥ = ٢٢٢ + ٢٥٣

.. ولو اجتزأنا – أيضاً – العبارةَ القرآنيّة ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ والتي تُصوّرُ إنزالَ التوراة والإنجيل من عندِ اللهِ تعالى ، لرأينا أيضاً مسألةً كاملة ..

﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ = **١١٤ = ١٩ × ٦**



مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net
adnan@thekr.net

درجات الخلاص
على سلّم الرسالات السماويّة

رأينا في الفصلين السابقين مراحلَ إنزال الرسالات السماويّة التي مرّت بها رسالة السماء حتى وصلت إلى الرسالة الخاتمة ، ومراحلَ إنزال الكتب السماويّة ، وكيف أنّ كتاب الله تعالى اكتمل في القرآن الكريم (إنزالاً وتنزيلاً) ، وأنّه قبيل قيام الساعة سيترل عيسى عليه السلام ويحكم بالقرآن الكريم ..

وبعد عرض الفصلين السابقين تطرَح عدّةُ تساؤلاتٍ نفسَها .. ما هي درجات الخلاص على سلّم الرسالات السماويّة (الرسالة الخاتمة وما سبقها) ؟ ، وهل درجة الخلاص هي ذاتها في كلِّ الرسالات السماويّة ؟ .. وهل البشريّة مطالبة باتّباع رسالة محدّدة (الرسالة الخاتمة) ؟ ، وما هو ترتيب الرسالات السماويّة ومتّبعيها على سلّمي الإسلام والإيمان ؟ ..

وما هو الفارق بين كلمة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ في القرآن الكريم وبين التعبير القرآني ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ ؟ .. ومتى اتّصفوا بالصفات التي تبيّنها كلمة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ ، والعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ ؟ .. وما هو الفارق بين أنصار الله تعالى الذين نصروا عيسى عليه السلام ، وبين ما تصفه كلمة ﴿ **ٱلنَّصَـٰرَىٰ** ﴾ في القرآن الكريم ، وبين ما تصفه العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ** ﴾ ؟ ..

وما هو الفارق بين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ** ﴾ وبين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ** ﴾ ؟ .. وماذا تعني كلمة ﴿ **ٱلْإِسْلَـٰمُ** ﴾ في القرآن الكريم ؟

، وما علاقة الإسلام بالرسالات السماويّة ؟ .. وما هي علاقة ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ بكلٍّ من :

[﴿ ٱلْعِلْمِ ﴾ ، ﴿ ٱلْعَمَلُ ﴾ ، ﴿ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾] ؟ ..

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ، لا بدّ من دراسة الحلقة الأُولى من المرحلة الثانية من مرحلتي الرسالات السماويّة ، وهي المرحلة الممتدّة من إبراهيم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام ، كما رأينا في الفصل الأوّل (سلّم الرسالات السماويّة) ..

.. لقد ورث بنو إسرائيل الكتاب عمّا سبقهم ، وتدرّجوا في معصيتهم لله تعالى حتى أصبحوا في شكٍّ مريبٍ بهذا الكتاب ، وكان ذلك على ثلاث مراحل ، يصوّرها لنا القرآن الكريم مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر :

(أ) :

﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [غافر : ٥٣] = ١٣٢

(ب) – بعد ذلك :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] = ٦٤٩

(ج) – بعد ذلك :

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [الشورى : ١٤] = ٢٦٤

١٣٢ + ٦٤٩ + ٢٦٤ = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

.. ونتيجة أنّهم كانوا مُستضعفين ، وكانوا وريثي الكتاب ، أورثهم الله تعالى – آنذاك – مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها ، ولذلك طلب موسى عليه السلام منهم دخول تلك الأرض المقدّسة التي كتب الله تعالى لهم آنذاك دخولها ..

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٢١] = ٤٨٠

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] = ٤٣٢

٤٨٠ + ٤٣٢ = **٩١٢ = ١٩ × ٤٨**

﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ = ٢٤٦

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (القصص : ٥ — ٦) = ٤٩٥

٢٤٦ + ٤٩٥ = **٧٤١ = ١٩ × ٣٩**

وفي هذا السياق لا بدَّ أنْ نقفَ عند دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، وبالتحديد عند الكلمات ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل (كتبها الله لكم) ، إنّما يقول ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، فالذي كُتب لهم ليس الأرض المقدَّسة ، إنّما الدخول ، ولذلك نرى كلمة ﴿ كَتَبَ ﴾ بصيغة المذكَّر ..

.. وسنرى كيف أنّ الرسالة الخاتمة التي أنزلها الله تعالى على الرسول محمّد ﷺ ورثت هذه الأرض المقدّسة كما ورثت الكتاب ..

.. وَتَدَرُّجُ بني إسرائيل في معصيتهم لله تعالى ، حتى وصلوا إلى شكٍ مريبٍ بالكتاب الذي ورثوه ، يصوّره لنا القرآن الكريم من خلال تصويره لأحداث تفاعلهم مع منهج الله تعالى ، ومع رسله عليهم السلام ..

فاتّخاذهم العجل — على سبيل المثال — هو رجوعٌ إلى الوثنيّة ، وابتعادٌ عن حقيقة التوحيد الذي أُنزلت الرسالات السماويّة من أجله .. ولننظر إلى الصور القرآنيّة التالية التي تصوّر لنا مسألة اتّخاذهم العجل ، من خلال مسائل كاملة تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر .. ولننظر كيف أنّ كلَّ مسألةٍ كاملةٍ لها هُويّتها في إضاءةِ جانبٍ كاملٍ من جوانب جنوحهم نحو الوثنيّة (في إطار مسألة اتّخاذهم العجل) ، مع العلم أنّ هذه المسائل هي جزءٌ بسيطٌ ممّا تحمله النصوص القرآنيّة من مسائل كاملة في إطار هذه المسألة ..

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥١] = ٢٤٦

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ [البقرة : ٥٤] = ٢٥١

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٩٢] = ٢٤٦

﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ٩٣] = ١٩٧

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ [النساء : ١٥٣] = ٢٤٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] = ٣٧٤

٢٤٦ + ٢٥١ + ٢٤٦ + ١٩٧ + ٢٤٤ + ٣٧٤ = **١٥٥٨ = ١٩ × ٨٢**

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] = ٦١٥

﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٧] = ٣٣٧

﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه : ٨٨] = ٣٦٤

﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ [طه : ٨٩] = ٢٤٢

٦١٥ + ٣٣٧ + ٣٦٤ + ٢٤٢ = **١٥٥٨ = ١٩ × ٨٢**

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ – ١٤٠] = ٧٠١

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه : ٩٦] = ٥٣٤

٧٠١ + ٥٣٤ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾ [طه : ٩٥] = ١٣٩

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ [طه : ٩٦] = ٤١٢

١٣٩ + ٤١٢ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه : ٩٦] = **٣٨٠ = ١٩ × ٢٠**

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ ﴾ [طه : ٩٧] = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

.. ويذكّرهم الله تعالى في كتابه الكريم ببعض النعم التي أنعمها عليهم ، وكيف أنّهم جنحوا إلى الوثنيّةِ وهم ظالمون ، وذلك من خلال مسألةٍ كاملةٍ في معيار معجزة إحـــدى الكُبَر ..

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا
بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ

بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٤٧ – ٥٣] = **١٤٠ × ١٩ = ٢٦٦٠**

.. وكما رأينا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) فإنّ السمة الأساسيّة للمنهج الذي تعامل معه بنو إسرائيل (من خلال رسالة موسى عليه السلام) هي السمة المادّيّة ، حتى المعجزات التي أُيِّد بها موسى عليه السلام ، كانت أقرب إلى الماديّة ، ولذلك فإنّ كون النار إشارة بدايةِ إرساله عليه السلام ، ومخاطبة الله تعالى له من خلال ذلك الموقف ، دفع موسى عليه السلام فيما بعد لكي يطلب من الله تعالى أن يجعل فيه آليّةً تمكّنه من رؤية الله تعالى .. هذه المسألة التي تشير إلى الاتّجاه نحو الصفة الماديّة الظاهريّة في المنهج الذي تفاعل معه بنو إسرائيل ، نراها في المسألة الكاملة التالية ..

﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ [طه : ١٠] = ٤٠١

﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧] = ٤٦٢

﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩] = ٥٣٨

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] = ١٠٨٨

٤٠١ + ٤٦٢ + ٥٣٨ + ١٠٨٨ = **١٣١ × ١٩ = ٢٤٨٩**

.. وبعد اتّخاذهم العجل والكثيرِ من معصيتهم لله تعالى ، اختار موسى عليه السلام قومَه ، وقال – مخاطباً الله تعالى – ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ ..

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٥٥ – ١٥٦]

فالعبارة القرآنيّة **﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾** تدخل في مسألةٍ كاملةٍ تشمل دعاء موسى عليه السلام للحصول على غفران الله تعالى ورحمته وحسناته في الدنيا والآخرة ، نتيجةً للرجوع إلى الله تعالى ..

﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. وهكذا بدأت مسألة الذين هادوا مسألةً كاملة ، حينما اختار موسى عليه السلام قومه ، وقال **﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾** ..

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ = ١٠١

﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ = ٥١

١٠١ + ٥١ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ = ٥١

﴿ مُوسَىٰ ﴾ = ٢٥

٥١ + ٢٥ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. فمسألة الذين هادوا بدأت بعد أن اختار موسى عليه السلام قومه ، وبعد أن قال **﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾** .. ولذلك فإنّ الله تعالى ينفي هذه الصفة عن مرحلة ما قبل موسى عليه السلام ..

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠] = ٧٦٦

﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ ﴾ = ٥١

٧٦٦ + ٥١ = **٨١٧ = ١٩ × ٤٣**

والذين هادوا (في عصر موسى عليه السلام) ، انتهى الكثير منهم (بعده) إلى العصيان والابتعاد عن مُراد المنهج الذي أنزله الله تعالى .. والصوَر القرآنيّة التالية ترسم لنا مسألةً كاملةً تصوّر جوهر ابتعاد بعض الذين هادوا (بعد موسى عليه السلام) عن مُراد منهج الله تعالى ..

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤٦] = ١١٢٠

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤١ – ٤٢] = ٢٢٦٢

١١٢٠ + ٢٢٦٢ = **٣٣٨٢ = ١٩ × ١٧٨**

.. فبعد أن قال موسى عليه السلام ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، وبعد أن بدأ عصيانُ قوم موسى عليه السلام وابتعادُهُم عن المنهج الذي أُنزل عليه ، بدأ الانحراف ، وبدأت الصفة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـــ : ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، إلى أن انتهت بـــصفة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ التي تعني الابتعاد الكامل عن المنهج .. فقول موسى عليـــه الـــسلام ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ يعني : إنّا عدنا ورجعنا إليك ، ولكنّ الذين ابتعدوا عن منهج الله تعالى رجعـــوا وعـــادوا ليس إلى مراد الله تعالى كما أراد موسى عليه السلام ، حيث عبَّر عن ذلك بكلمة ﴿ إِلَيۡكَۚ ﴾ في قولِه ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، إنّما تاهوا في رجوعهم لدرجة أنّهم اتّصفوا بـــصفة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ ، التي تعني الرجوع الكبير عن مُراد المنهج الإلهي ، وليس إليه كما أراد موســـى عليه السلام ..

.. وبدأت مسألة الأنصار مسألةً كاملةً يريدها الله تعالى صفةً لكلِّ المـــؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ ، حينما تعيّنت على أرض الواقع بقول الحواريّين ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾ ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤]

= = ٩٨٨ = ١٩ × ٥٢

.. وكما رأينا أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ التي قالها موسى عليه السلام ، تتكامل مع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ مُوسَىٰ ﴾ ، فإنّنا نرى أنّ القيمة العدديّة للعبارة القرآنيّة ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾ تتكامل مع القيمة العدديّة لكلمة ﴿ عِيسَى ﴾ عليه السلام ..

﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾ = ١٣٧

﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤

٩ × ١٩ = ١٧١ = ٣٤ + ١٣٧

وبعد مرحلة الأنصار ، بدأ انحراف الكثيرين إلى أن وصلوا إلى صفة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ .. فالأنصار هم الذين نصروا عيسى عليه السلام إلى الله تعالى ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ .. هذه الصفة (الأنصار) التي يُراد بها نصرة منهج الله تعالى ، تمّ الانتصار فيها ليس لمنهج الله تعالى ، كما أراد عيسى عليه السلام ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ ، وكما قال الحواريّون ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ ، إنّما تمّ الانتصار فيها للأهواء وللعصبيّات التي أخرجت النصر المُراد لله تعالى ولمنهجه ، إلى ساحة تلك العصبيّات والأهواء .. هذا الانحراف الذي تمّ الابتعاد به عن صفة الأنصار للوصول إلى صفة النصارى ، نراه مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ ﴾ [النساء : ١٧١] = ٧٦٣

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾ [المائدة : ١٧] = ٥٩٤

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [المائدة : ٧٢] = ٢٢٤

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] = **٣١ × ١٩ = ٥٨٩**

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] = ٥٠٨

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] = ٥٩٠

٧٦٣ + ٥٩٤ + ٢٢٤ + ٥٨٩ + ٥٠٨ + ٥٩٠ = **٣٢٦٨ = ١٩ × ١٧٢**

فكما أنّ صفة الرجوع إلى الله تعالى التي أرادها موسى عليه السلام **﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ ﴾** ، تمّ الرجوع فيها والعودة إلى نقيض مُراد الله تعالى للوصول إلى صفة اليهود ، كـذلك فإنّ صفة الانتصار لمنهج الله تعالى التي أرادها عيسى عليه السلام **﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾** والتي أرادها الحواريّون وعملوا بها **﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾** تمّ الانتـصار فيها لنقيض ما أراده عيسى عليه السلام والحواريّون ، وبـذلك تمّ الوصـول إلى صـفة النصارى ..

كما علينا أنّ نفرّق بين **﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾** ، وبين **﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾** .. فالذين قالوا إنّا نصارى ، أفضل حالاً من النصارى .. هذه الحقيقة نراها مـسألةً كاملـةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٨٢ – ٨٥] = ٢١٩٥

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧] = ١٢٦٣

٢٢٣ × ١٩ = ٤٢٣٧ = ١٢٦٣ + ٢١٩٥ + ٧٧٩

.. وهكذا .. علينا أن نميّز بين دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ وبين دلالات الكلمة القرآنيّة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ ، وعلينا أن نميّز بين دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ** ﴾ وبين دلالات الكلمة القرآنيّة ﴿ **ٱلنَّصَٰرَىٰ** ﴾ ..

.. ولننظر في الصور القرآنيّة التي تحوي كلمة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ والعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ وكلمة ﴿ **ٱلنَّصَٰرَىٰ** ﴾ والعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ** ﴾ لنرى التماثل ما بين انحراف بعض ﴿ **ٱلَّذِينَ هَادُواْ** ﴾ إلى صفة اليهود ، وبين انحراف بعض ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ** ﴾ إلى صفة ﴿ **ٱلنَّصَٰرَىٰ** ﴾ ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢]

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١]

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣]

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠]

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥]

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠]

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧]

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء : ٤٦]

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٠]

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤]

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨]

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ ﴾ [المائدة : ٤١]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤]

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١]

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة : ٦٤]

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢]

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦]

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ .... إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف : ١٥٥ – ١٥٦]

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠]

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ١١٨]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[الحج : ١٧]

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٦]

.. فمن هذه الصور القرآنيّة نستنتج النقاط التالية :

[١] – كلمة ﴿ **ٱلْيَهُودُ** ﴾ في القرآن الكريم ما عدا الصورة القرآنيّة ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا** ﴾ ، لم ترد إلاّ بأل التعريف ، وترد دائماً وصفاً للذين يتّصفون بهذه الصفة

من زاوية علم الله تعالى بهم ، و لم ترد ولا مرّة من زاوية وصف البشر لأنفسهم بهذه الصفة ، فالبشر لم يصفوا أنفسهم بهذه الصفة ..

وكلمة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ بأل التعريف لم ترد – في جميع ورودها في القرآن الكريم – إلاّ وصفاً للذين يتّصفون بهذه الصفة من زاوية علم الله تعالى بهم ، بينما وصف البشر لأنفسهم يرد في القرآن الكريم بصيغة ﴿ نَصَـٰرَىٰ ﴾ دون أل التعريف ، وكذلك كلمة ﴿ هُودًا ﴾ كصفةٍ للذين هادوا ..

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١]

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ ﴾ [البقرة : ١٣٥]

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [البقرة : ١٤٠]

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ ﴾ [المائدة : ١٤]

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ﴾ [المائدة : ٨٢]

[٢] – كلمة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ في القرآن الكريم حينما ترد في سياق تصوير الابتعاد عن منهج الله تعالى والافتراء عليه جلّ وعلا ، وجعل ابناً له ، تكون مقترنةً بكلمة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ ..

[٣] – كلمة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ في القرآن الكريم تصف لنا المبتعدين كثيراً عن منهج الله تعالى ، والصورة القرآنيّة ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ تبيّن هذه الحقيقة ، بينما الذين يصفهم الله تعالى بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، وكذلك بكلمة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ يبيّن لنا الله تعالى أنّ منهم من يؤمن به جلّ وعلا ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢]

[٤] – وصف التفاعل مع منهج الله تعالى كان لـــ ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ وليس لـــ ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ ..

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٠]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤]

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٦]

[٥] – كلمة ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ في القرآن الكريم لم ترد إلاّ بالصيغة الاسميّة ، فلم ترد ولا مرّة بالصيغة الفعليّة ، وكذلك كلمة ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ .. بينما الذين يصفهم الله تعالى بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ لم يُوصفوا – من قِبَل الله تعالى – بالصيغة الاسميّة ..

[٦] – ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ أقرب الناس مودّةً للذين آمنوا من ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ومن ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، وبالتأكيد من ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ ..

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة : ٨٢]

.. ممّا سبق نستنتج أنّ ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ صفةٌ تعني الراجعين ليس إلى منهج الله تعالى ، بل الراجعين عنه ، وبالتالي تعني التيه في الرجوع إلى منهج الله تعالى ، وأنّ ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾

يتفاعلون مع المنهج الذي أُنزل على موسى عليه السلام ، فمنهم من يؤمن بـــالله تعـــالى ومنهم يكفر ، وأنّ ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ صفةٌ تعني التيه في الانتصار لمنهج الله تعالى ، وبالتـــالي الابتعاد عن مُراد النصر الذي أراده عيسى عليه السلام والحواريّون ..

.. ونرى أنّ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ هم الأقرب إلى اتّباع منهج الحواريّين ، ولذلك نرى تكاملاً بين الصورة القرآنيّة التي تصوّر لنا ما قاله الحواريّون ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ ، وبين العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ ..

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ [المائدة : ١٤] = ٩١

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] = ١٣٧

١٢ × ١٩ = ٢٢٨ = ١٣٧ + ٩١

وهكذا نرى أنّ الوصول إلى صفة ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ ، يماثل الوصول إلى صفة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ .. والآية الكريمة التالية تبيّن حقيقة وصولهم إلى هاتين الصفتين ..

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١]

حيث الجزء الأوّل منها مسألة كاملة تبيّن أهمّ الأسباب التي أدّت بهم للوصـــول إلى هاتين الصفتين [﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ ، ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾] ..

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ = **١٦ × ١٩ = ٣٠٤**

وجزؤها الثاني يتوازن بدلالاته مع صورةٍ قرآنيّة (في الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة) تبيّن كيفيّة وصولهم إلى هاتين الصفتين ..

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] = **٢٨٦**

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] = **٢٨٦**

وهذا التشابه في التحوّل من الصفة التي أرادها موسى عليه السلام حينما اختار قومه ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ وقال ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، إلى صفة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ ، وفي التحوّل من الصفة التي أرادها عيسى عليه السلام والحواريّون ، إلى صفة ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ، نراها من خلال توازن القيم العدديّة لكلمتي : ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ ، ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ..

﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ = **٣٧** ،، ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ = **٣٧**

.. وممّا قادهم إلى الانحراف عن منهج الله تعالى هو زعمهم أنّ الجنّةَ لهم لوحدِهم ، وأنّ الدار الآخرة لهم خالصةً من دون الناس .. ولذلك يردُّ الله تعالى علينا وعليهم بأنّ الجنّة ليست حكراً لأحد ، وذلك من خلال مسألة كاملة ، تجمع الافتراء باحتكار الخلاص ، والردّ الإلهي على ذلك ..

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] = ٤٢٧

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] = ٨٢٧

٤٢٧ + ٨٢٧ = **١٢٥٤ = ١٩ × ٦٦**

.. والمسألة الكاملة التالية تُؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ – ٩٥] = ٦٩٧

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١١ – ١١٢] = ٨٤١

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] = ٨٢٧

﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٦ – ٧] = ٦٧٥

٦٩٧ + ٨٤١ + ٨٢٧ + ٦٧٥ = **٣٠٤٠ = ١٩ × ١٦٠**

.. فاللهُ تعالى هو الذي يفصلُ بين بني البشر في الآخرة ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : ١٧] = **٥٨٩ = ١٩ × ٣١**

.. وزعموا أيضاً أنّهم – مهما عملوا – لن يدخلوا النار إلاّ أياماً معدودة ، بمعنى لن يخلدوا في النار .. وقد فنّد الله تعالى مزاعمهم هذه ..

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ – ٨٢] = ١٢٩١

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٥] = ٩٥١

١٢٩١ + ٩٥١ = **٢٢٤٢ = ١٩ × ١١٨**

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

.. ومما انحرفوا به هو أنّهم يحاجّون في إبراهيم عليه السلام ، ويريدون نسَبه إليهم وجعلَه يهوديّاً أو نصرانيّاً ..

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٥ – ٦٩] = **١٨٨١ = ١٩ × ٩٩**

.. وكما رأينا أنّ بني إسرائيل ورثوا الكتاب ، فإنّ الرسالة الخاتمة ورثت الكتاب بعد أن حُرِّفت مناهجُ الله تعالى ، ووصل الكثيرُ من متّبعيها إلى تيهٍ خرجوا به عن حقيقة ما أراده الله تعالى .. هذه الحقيقة نراها في الصورة القرآنيّة التالية ، مسألةً كاملةً تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ۝٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣١ – ٣٢] = **١١٧٨ = ١٩ × ٦٢**

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ۝٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ = **٧٠٣ = ١٩ × ٣٧**

﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ = **٤٧٥ = ١٩ × ٢٥**

.. والرسالة الخاتمة ورثت – إضافة للكتاب – الخلافة والمقدّسات .. فالخلافة والمقدّسات التي أورثهم الله تعالى إيّاها ، كما رأينا ..

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة : ٢٠ – ٢٢] = **١٥٢٠ = ١٩ × ٨٠**

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾ = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

..... آلت خلافتها إلى الرسالة الخاتمة التي تعهّد الله تعالى بحفظها ، وأرداها للبشريّة جمعاء ..

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٧] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. ونرى في الآيات الكريمة التالية المتتالية مسألةً كاملة ، تتكوّن من ثلاث مسائل كاملة (كلّ مسألة خاصّة برسالة سماويّة) ، تبيّن لنا تدرّج رسالة السماء (بالنسبة للرسالات السماويّة الثلاث) للوصول إلى الرسالة الخاتمة ، وكيف أنّ الرسالة الخاتمة وريثةٌ للرسالات السابقة ..

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ١٢] = ١٥١٦

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] = ١٠١١

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] = **٧٧٩**

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] = ٦٣٠

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦] = ٥٤٨

١٥١٦ + ١٠١١ + ٧٧٩ + ٦٣٠ + ٥٤٨ = **٤٤٨٤ = ١٩ × ٢٣٦**

.. في هذه المسألةِ الكاملة ، لو نظرنا إلى الآيةِ الأولى والثانيةِ فيها ، لرأيناهما مسألةً كاملةً ، ترتبطُ برحلةِ بني إسرائيلَ معَ الرسالةِ السماويّةِ الأولى من الرسالاتِ الثلاث ، هذا التكاملُ تصدِّقُهُ معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ١٢] = ١٥١٦

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] = ١٠١١

١٥١٦ + ١٠١١ = **٢٥٢٧ = ١٩ × ١٩ × ٧**

.. ولو نظرنا إلى الآيةِ الثالثةِ في هذا النصِّ لرأينا مَسألةً كاملةً ، تتعلّقُ برحلةِ الذين قالوا إنّا نصارى مع الرسالةِ السماويّةِ الثانية ، من بين الرسالاتِ الثلاث ، وتصدّقُ هذا التكاملَ أيضاً معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

.. ولو نظرنا إلى الآيتين الرابعةِ والخامسةِ في هذا النصِّ ، لرأيناهما تُصوِّران حقيقةَ مَنهجِ الرسالةِ الخاتِمَةِ ، وأنّه يُطلَبُ من البشريّةِ جمعاء اتّباعُ نورِهِ للخروجِ من الظلماتِ إلى النور .. ومعجزةُ إحدى الكُبَر تُصدِّقُ هذا التكامل ..

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة : ١٥] = ٦٣٠

﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة : ١٦] = ٥٤٨

٦٣٠ + ٥٤٨ = **١١٧٨ = ١٩ × ٦٢**

.. فالدين الذي أكمله الله تعالى ورضيه للبشريّة جمعاء ، هو الإسلام ..

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] = ٣٥٧

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة : ٣] = ٣٢٧

٣٥٧ + ٣٢٧ = **٦٨٤ = ١٩ × ٣٦**

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران : ١٩] = ١٠٠

﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] = ١٤٢

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الصف : ٧] = ٣٦٦

١٠٠ + ١٤٢ + ٣٦٦ = **٦٠٨ = ١٩ × ٣٢**

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، ما هو الإسلام المعني في هذه الصوَر القرآنيّة ، والذي لا يُقْبَلُ غيرُهُ عند الله تعالى ؟ .. وهل هو خاصٌّ برسالةٍ محدّدةٍ دون غيرها ؟ ..

وكيف تُفهم هذه الصوَر القرآنيّة من منظار الصوَر القرآنيّة التي تبيّن أنّ الجنّةَ ليست لأمّةٍ دون غيرها ، وليست لدينٍ دون غيره ؟ ..

.. لقد رأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) أنّ الإيمان يعني الطمأنينة والاعتقاد بالأمر ، وهو نقيض الكفر الذي يعني الجحود وإنكار الحقيقة ، ورأينا أنّ القلبَ ساحةُ الإيمان ، وأنّ الإيمان لا يكون للأشياء الحسيّة المشاهدة أمام أعيننا .. ورأينا أيضاً أنّ الإسلام يعني الخضوع والانقياد ، وأنّ ساحته الجوارح والعمل الحسّيّ ، ولذلك يمكننا أن نشهدَ على إسلام بعضنا بعضاً ..

.. ولذلك فهناك علاقةٌ عكسيّةٌ بين الكفر والإيمان ، حيث يزدادُ أحدهما – في قلب الإنسان – على حساب الآخر .. وفي المسألة الكاملة التالية أكبر بيانٍ لهذه العلاقة ..

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة : ١٠٨] = ٢٤١

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٧] = ٢٩٨

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] = ٣٣٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣] = **٥١٣ = ١٩ × ٢٧**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر : ١٠] = ٤٢٠

٢٤١ + ٢٩٨ + ٣٣٣ + ٥١٣ + ٤٢٠ = **١٨٠٥ = ١٩ × ١٩ × ٥**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

.. ولّما كان الإسلام يعني الخضوع الظاهر والعبادة من خلال الشعائر الحسيّة ، فمن الممكن أن يحدث الكفر بعد إسلام الإنسان ، ويكون ذلك بأن يخضع ظاهراً دون وجود عقيدة إيمانيّة صادقة بما خضع له .. وفي التكامل بين الآيتين التاليتين أكبر برهانٍ على ذلك ..

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] = ٣٨٤

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] = ١٠٩٨

٣٨٤ + ١٠٩٨ = **١٤٨٢ = ١٩ × ٧٨**

.. ودخول الأعراب إلى ساحة الإسلام (الخضوع الظاهر) لا ينفي كونهم أشدّ كفراً ونفاقاً ..

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] = ٤٥٧

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤] = ٦٦٤

٤٥٧ + ٦٦٤ = **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

﴿ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ = ٣٣١

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] = ٤١٠

٣٣١ + ٤١٠ = **٧٤١ = ١٩ × ٣٩**

.. ولذلك تكتمل حقيقة عبادة الله تعالى حينما يجتمع الإسلام مع الإيمان ..

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٨ – ٦٩] = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. فالإسلام المعني في الصورة القرآنيّة ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] يُنظر إليه من منظارين :

.. إمّا أنّه اسم صفة للخاضعين المنقادين لمنهج الله تعالى ، بمعنى ومن لم يخضع وينقاد بأعماله لله تعالى بانكسارٍ دون تكبّر ، فلن يُقبل منه عملُهُ وهو في الآخرة من الخاسرين ..

.. أو أنّه اسم ذات لمتّبعي منهج الرسالة الخاتمة .. ومن هذا المنظار علينا أن نقف عند ورود كلمة ﴿ يَبۡتَغِ ﴾ بهذه الصياغة ، وبصيغة المضارع دون الماضي ، في هذه الصورة القرآنيّة .. فابتغاء غير دين الرسالة الخاتمة لا يُقبل من الإنسان إذا كان عالماً بحقيقة هذه الرسالة الخاتمة ، أي يبتغي ديناً آخر منطلقاً من معرفته بحقيقة الإسلام .. والآيتان التاليتان مباشرة لهذه الآية الكريمة تؤكّدان حقيقة ما نذهب إليه .. ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥ – ٨٧]

.. فالذين لا يُقبلُ منهم دينٌ آخر إلاّ الإسلام هم المسلمون المرتدّون الذين علموا حقيقةَ الإسلام ويبتغون غيره ، وكذلك الذين وقفوا على حقيقته من الآخرين ، وعلموا أنّه حق ، وأعرضوا عن هذا الحق .. فهؤلاء يتّصفون بمن يعنيهم قولُ الله تعالى ﴿ قَوۡمًا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ ..

.. ولذلك نرى أنّ الآية الكريمة ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ، تدخل مع الآيتين التاليتين لها في مسألة كاملة ..

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥ – ٨٧] = **١١٤٠ = ١٩ × ٦٠**

.. وهذه المسألة الكاملة جزءٌ من مسألة كاملة تُبيّن أنّه لا يُقبل من هــؤلاء أيُّ ديــن آخر ، لأنّهم علموا حقيقة هذا الدين ، الذي يُنتجُ خيرَ أمّةٍ أُخرجَت للناس ..

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٨٥ – ٨٩] = ١٧١٤

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] = ٦٦١

١٧١٤ + ٦٦١ = **٢٣٧٥ = ١٩ × ١٢٥**

.. وفي معيار مجموع كلمات الجملة القرآنيّة ، الذي بيّناه في النظريّة الأولى (المعجزة) ، وفي كتاب المعجزة الكُبرى : (حوار أكثر من جريء) ، فإنّ التناظر بين مجموع كلمات الجمل القرآنيّة التالية ، يُؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه ..

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] = (**١٣**) كلمة ..

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ [آل عمران : ٨٦] = (**١٣**) كلمة ..

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٧] = (**٩**) كلمات ..

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٨] = (**٩**) كلمات ..

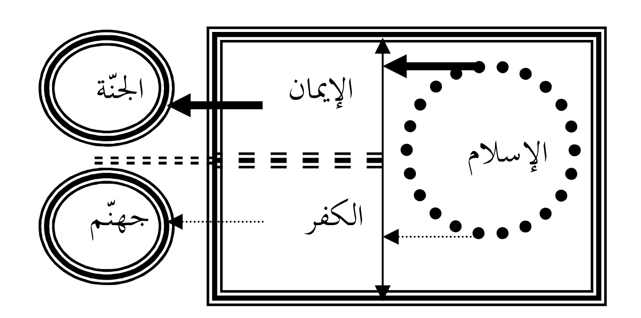
﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦] = (**١٨**) كلمة ..

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٧ – ٨٨] = (**١٨**) كلمة ..

.. أمّا الصورة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] فسنرى أنّها ترسم سقف درجات الخلاص إلى الله تعالى ..

.. وعلينا أن نميّز بين ﴿ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ كصيغة اسميّة معرّفة بأل التعريف ، حيث الكفر الكامل بالمنهج ، وبين الكفر كصيغة فعليّة تعني الجحود بجانب – أو أكثر – من جوانب المنهج .. فكلٌّ من يجحد حكماً من أحكام المنهج يكون قد كفر – جحد – بهذا الحكم ، ويصل كفرُه إلى مستوى الكفر المعرّف بأل التعريف ، حينما يجحد بكلِّ أحكام هذا المنهج ..

.. إذاً نحن أمام ثلاثة عناصر تكوّن مسألةً كاملة ، هي [﴿ ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ ،، ﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ ،، ﴿ ٱلۡكُفۡرَ ﴾] .. فكميّة الإيمان في قلب الإنسان تتناسب بشكلٍ عكسيٍّ مع كميّة الكفر فيه ، وإسلام الإنسان إمّا أن يكون عن إيمانٍ ، فيكون الإنسان حين ذلك بأفضل حالٍ روحيٍّ ، وإمّا أن يكون خضوعاً ظاهراً دون ارتباطه بعقيدة إيمانيّة تكون الدافع لهذا الخضوع ، وبالتالي يغلب الكفر في هذه الحالة ، كما رأينا في مسألة الأعراب ..



.. هذه المسألة الكاملة بعناصرها الثلاثة ، نراها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ = ١٧ ،، ﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ = ٢٥ ،، ﴿ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ = ٣٤

١٧ + ٢٥ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. والإيمان لوحده لا يؤدّي إلى دخول الجنّة ، فلا بدّ من العمل المرافق له .. فميراث الجنّة والتنعّم بنعيمها (بعد الدخول إليها) لا يكون إلاّ من خلال العمل الصالح في الحياة الدنيا ..

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] = ٢٤٤

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] = ٢٢٦

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الطور : ١٩] = ١٦٤

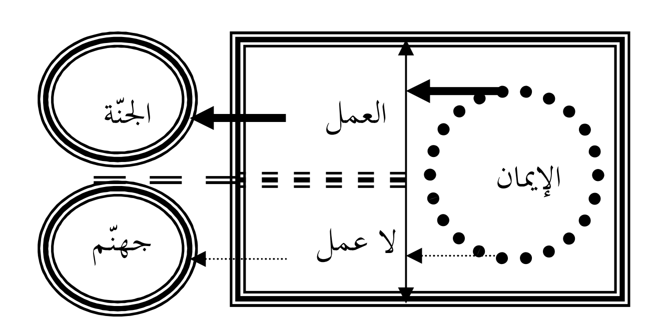
﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المرسلات : ٤٣] = ١٦٤

٢٤٤ + ٢٢٦ + ١٦٤ + ١٦٤ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

.. فالإيمان مع العمل مسألةٌ كاملة تُدخل الجنّة .. لذلك نرى أنّ حديها متكاملان في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلۡإِيمَـٰنِ ﴾ = ١٧ ،، **﴿ ٱلۡعَمَلُ ﴾** = ٢١

١٧ + ٢١ = **٣٨ = ١٩ × ٢**



.. وفي القرآن الكريم لم ترد كلمة **﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾** (بأل التعريف) إلاّ مرّةً واحـــدة في وصف الأعراب وبعض أهل المدينة ..

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١]

و لم ترد كلمة ﴿ ٱلشِّرْكَ ﴾ (بأل التعريف) إلاّ مرّة واحدة ، في وصيّة لقمان عليه السلام لابنه بعد أن آتاه الله تعالى الحكمة ..

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٢ – ١٣]

فما بين النفاق والشرك مسألةٌ كاملة ، تؤدّي إلى جهنّم .. وفي تكامل الصورتين القرآنيّتين المحيطتين بكلمتي النفاق والشرك في القرآن الكريم لأكبر دليلٍ على ذلك ..

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١] = ٦٤٠

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٢ – ١٣] = ٨٨٠

٦٤٠ + ٨٨٠ = **١٥٢٠ = ١٩ × ٨٠**

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

.. وهذا التكامل بين مسألتي النفاق والشرك ، نراه في تكامل القيم العدديّة لحروف هاتين الكلمتين ..

﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ ٱلشِّرْكَ ﴾ = ٤٢

٣٤ + ٤٢ = ٧٦ = ١٩ × ٤

﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ ⟵⟶ ﴿ ٱلشِّرْكَ ﴾

.. ولو أخذنا جوهرَ وصيّة لقمان عليه السلام لابنه بعدم الشرك ، مع الآية الكريمة التي يرد فيها ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ (بأل التعريف) تعبيراً لشهادة المشركين على أنفسهم ، لرأينا أنّنا أمام مسألةٍ كاملة ، ما بين الكفر والشرك ..

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [التوبة : ١٧] = ٥٤٩

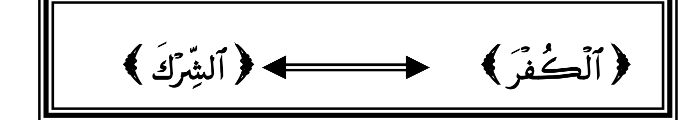
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] = ٢٣٠

٥٤٩ + ٢٣٠ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

وهذا التكامل ما بين الكفر والشرك ، نراه تكاملاً في مجموع القيم العدديّة لحروف هاتين الكلمتين ..

﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ ٱلشِّرْكَ ﴾ = ٤٢

٣٤ + ٤٢ = **٧٦ = ١٩ × ٤**


﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ ⟵⟶ ﴿ ٱلشِّرْكَ ﴾

.. فالشرك الذي يدخل مع النفاق في معادلة واحدة كاملة ، حسب معيار معجزة إحدى الكُبَر ، يدخل مع الكفر في ذات المعادلة وبذات القيمة العدديّة .. فالنفاق والكفر متوازنان ..

﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ = **٣٤** ،، ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ = **٣٤** ..

﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ = ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾

.. والإنسان في إيمانه وعلمه وعمله وإخلاصه لله تعالى ، يرفعه الله تعالى درجـــات ، فالناس — حسب إيمانهم وعملهم وعلمهم — درجات عند الله تعالى ..

.. لقد وردت كلمة ﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ في القرآن الكريم (١٤) مرّة ، ولم ترد بأل التعريف ﴿ ٱلدَّرَجَٰتُ ﴾ إلاّ مرّتين ، مرّة ترتبط بالمؤمنين ، حيث يميّزهم الله تعالى (بتلك الدرجات) عن المجرمين ، ومرّة ترتبط بالذات الإلهيّة ، حيث يُلقي الله تعالى الروح (الصلة والقربى والمدد) على من يشاء من عباده ..

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٤ — ٧٥] = ٥٣٣

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر : ١٥] = ٤٣٦

٥٣٣ + ٤٣٦ = **٩٦٩ = ١٩ × ٥١**

﴿ ٱلدَّرَجَٰتُ ﴾ = **٥٧ = ١٩ × ٣**

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ = ٩٦ ،، ﴿ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ = ٧٥

٩٦ + ٧٥ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

.. ولو أخذنا الصور القرآنيّة التي تصوّر جوهر هذه الدرجات بالنسبة للبـــشر ، أي باستثناء الصورة القرآنيّة المحيطة بكلمة الدرجات المرتبطة بالذات الإلهيّة ، لرأينـــا مـــسألة كاملةً ، يتبيّن من خلالها أن رفع الله تعالى البشر درجات عنده ، هو نتيجة إيمانهم وعلمهم وعملهم وجهادهم في سبيله جلّ وعلا ..

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] = ١٤٧

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٣] = ٢١٦

﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥ – ٩٦] = ٥٥٨

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٣] = ٤٠٥

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] = ٢٤٣

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] = ٣٢٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤] = ٣٦٤

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] = ٢٣٧

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْأٓخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] = ٤٤١

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طـه : ٧٥] = ٢٨٣

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ ﴾ [الزخرف : ٣٢] = ٤٣٣

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٩] = ٢٥١

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١] = ٣٥٨

١٤٧ + ٢١٦ + ٥٥٨ + ٤٠٥ + ٢٤٣ + ٣٢٠ + ٣٦٤ + ٢٣٧ + ٤٤١ +

٢٨٣ + ٤٣٣ + ٢٥١ + ٣٥٨ = **٤٢٥٦ = ١٩ × ٢٢٤**

.. وهكذا فالإنسان يسمو درجاتٍ إلى فضل الله تعالى وروحه على سلّم الإيمان والعمل والإسلام والجهاد .. وبالمقابل يهبط درجاتٍ على هذا السلّم حينما يتراجع في إيمانه وعلمه وعمله وإسلامه وجهاده ..

.. لقد رأينا أنّ الإيمان والإسلام والكفر عناصر مسألةٍ كاملة تتداخل فيما بينها ، حسب خلاص الإنسان وخضوعه ، سواءٌ بالاتّجاه الإيجابي نحو منهج الله تعالى ، أم بالاتّجاه السلبي باتّجاه نقيض منهج الله تعالى .. ففي إطار خضوع الإنسان (إسلامه) يكون ازدياد كميّة الإيمان في قلبه على حساب كميّة الكفر فيه ، والعكس بالعكس .. وتتحدّد درجة خلاص إسلامه حسب نسبة كميّة إيمانه إلى كفره ..

ولذلك رأينا كيف أنّ الأعراب يصفهم الله تعالى بأنّهم أسلموا (خضعوا وانقادوا) مع أنّهم أشدّ كفراً ونفاقاً ..

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] = ٤٥٧

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤] = ٦٦٤

٤٥٧ + ٦٦٤ = **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

ولا يمكن لقلب إنسانٍ أن يمتلأ بشكلٍ مطلقٍ بالإيمان .. ولذلك نرى – في القرآن الكريم – أنّ كلمة ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ (بأل التعريف) لم ترد إلاّ مرّة واحدة ، صفةً للذات الإلهيّة ، فهذه الصفة لا تكتمل إلاّ لله تعالى ..

﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ ﴾ = ١٩

.. أمّا اجتماع صفة الإيمان في قلوب مجموعة من البشر ، فيجعل هؤلاء البشر يتّصفون بصفة المؤمنين .. لذلك نرى أنّ كلمة المؤمنين والمؤمنات ترد في كتاب الله تعالى ..

.. ويمكن لقلب الإنسان أن يمتلأ بالكفر ، فيجحد بشكلٍ كامل منهج الله تعالى .. ولذلك نرى أنّ كلمة **﴿ ٱلۡكَافِرُ ﴾** (بأل التعريف) تصف في كتاب الله تعالى بعض البشر .. ولذلك نرى ورودَ كلمة **﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾** في كتابِ الله تعالى .. كما أنّه يمكن لمجموعةٍ من البشر أنْ تتكاملَ صِفَةُ الإيمان في قلوبِهِم ، فَيُوْصَفُون – كمجموعةٍ – بِهذه الصفة ، ولذلك نرى ورودَ كلمة **﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾** في كتابِ اللهِ تعالى ..

.. وهكذا فعلينا أن نميّز في وصف القرآن الكريم لمسألتي الإيمان والكفر بين الصيغة الفعليّة من جهةٍ ، وبين الصيغة الاسميّة المعرّفة بأل التعريف من جهةٍ أُخرى .. فالإيمان (وكذلك الكفر) يتفاعل معه الإنسان على درجات ، وبألوان متمايزة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [النساء : ١٣٦]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف : ١٠ – ١١]

﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦]

فحينما يُخاطب الله تعالى الذين آمنوا طالباً منهم أن يُؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، فهذا يعني درجاتٍ واسعةً للإيمان ، ولا يعني تحجيم تعريف الإيمان في ما تمَّ تأطيره من تعاريف موروثة ..

.. والكفر بالصيغة الفعليّة يعني التفاعل مع المسألة المعنيّة في سياق النصّ القرآني ، بجحود وبعدم عمل مع العلم بحقيقة هذه المسألة .. بينما الكفر بالصيغة الاسميّة فإنّه يعني استمراريّة الجحود لدرجة أنّه أصبح من طبيعة الموصوف بهذه الصفة .. فاستمراريّة التفاعل بجحود مع أحكام منهج الله تعالى ، تؤدّي بالجاحد إلى مرتبة الكافر الذي يجحد بشكلٍ مستمرٍّ آيات الله تعالى ، بحيث يتّصف بصفة الكفر (الصيغة الاسميّة) ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٧] = **٢٦ × ١٩ = ٤٩٤**

﴿ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [غافر : ٦٣] = ٢٢٨ = ١٢ × ١٩

ولذلك فالذي يصل به جحوده المستمرّ إلى مرحلة الكافر الذي يجحد بكلِّ آيات الله تعالى ، يستحقّ جهنّم ، ولا ينفعه أيُّ دعاء ..

﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [الرعد : ١٤] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. وحقيقة الكفر ترتبط بالجحود وعدم العمل ، مع علم الجاحد بحقيقة ما يُطلَب منه عمله ، فالذي يغطّي الحقيقة ويجحد بها هو من يعلمها .. ولذلك أمامنا علاقة تكامل في مسألةٍ واحدةٍ ما بين : **[﴿ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ ، ﴿ ٱلۡعَمَلُ ﴾ ، ﴿ ٱلۡكُفۡرَ ﴾]** .. فكلّما عمل

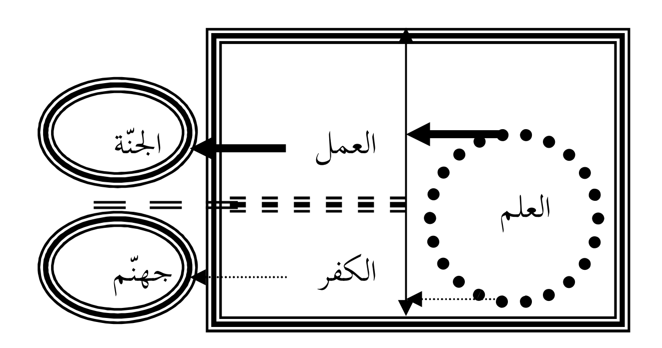
الإنسان بما يعلم من الحقّ ابتعد – في عمله – عن الكفر بما يقتضيه المنهج الذي يعلمه ، وكلّما قصّر بعمله – في ساحة ما علم من الحقّ – كلّما اتّجه نحو الكفر ..

.. هذه المسألة المكوّنة من عناصرها الثلاثة : العلم ، العمل ، الكفر ، نراها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلْعِلْمِ ﴾ = ٢١ ،، ﴿ ٱلْعَمَلُ ﴾ = ٢١ ،، ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ = ٣٤

٢١ + ٢١ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

فكما أنّ الكفر يدخل مع الإيمان والإسلام في مسألةٍ واحدة – كما رأينا – كذلك فإنّه يدخل مع العلم والعمل في مسألةٍ واحدة كما نرى ..



ولذلك فنحن أمام معادلة طرفاها الإيمان والإسلام من جهة ، والعلم والعمل من جهةٍ أُخرى ..

﴿ ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ + ﴿ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ = **٤٢** = ﴿ ٱلْعِلْمِ ﴾ + ﴿ ٱلْعَمَلُ ﴾

.. فكلّما ازداد علم الإنسان بحقيقة المنهج ، كلّما سمى أكثر إلى درجةٍ يزداد فيها ثوابُه ، إن عمل وفق ما يعلم ، وعقابُه إن كفر بما يعلم ..

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ

كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥ – ١٧٦] = ١٣٩١

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] = ٦٩٩

١٣٩١ + ٦٩٩ = **٢٠٩٠ = ١٩ × ١١٠**

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

والنبيُّ ﷺ في تفاعله مع الناس ومع إبلاغ المنهج ، ومع استفزازهم له لإخراجه ﷺ ، عقوبتُهُ ضعف الحياة وضعف الممات ، إن هو ركن إليهم ولمرادهم ، لأنّه ﷺ أعلم الناس بحقيقة المنهج ، وهذا الضعف هو سنّة الله تعالى في جميع رسله عليهم السلام ..

.. ونساء النبيّ ﷺ عقوبة من تأتي منهنّ بفاحشة مُبيَّنةٍ يضاعف الله تعالى لها العذاب ضعفين ، لأنّهنّ أعلم النساء بحقيقة المنهج ، ومن تقنت منهنّ لله ورسوله وتعمل صالحاً يؤتها الله تعالى أجرها مرّتين ..

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] = ١٥٣

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٣٠] = ٣٥٢

﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣١] = ٤٢٦

١٥٣ + ٣٥٢ + ٤٢٦ = **٩٣١ = ١٩ × ٤٩**

.. والحواريّون الذين اختاروا منهج الله تعالى ، وكانوا أنصار الله تعالى ، وأشهدوا على إسلامهم ، فإنّهم – بذلك – وضعوا أنفسهم في مرتبةٍ إيمانيّة يُضاعَف فيها الثواب والعقاب .. ولذلك فإنّ الكفر بالمعجزة التي طلبوها يُرتِّب عليهم عذاباً لا يعذّبه اللهُ تعالى لأحدٍ من العالمين ..

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٢ – ٥٣] = ٥٤٤

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة : ١١١] = ١٣٢

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] = ١٣٧

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] = ٤٦٠

٥٤٤ + ١٣٢ + ١٣٧ + ٤٦٠ = **١٢٧٣ = ١٩ × ٦٧**

.. ولذلك علينا أن نميّز بين الدرجات التي تصفها كلمة (آمن) وكلمة (كفر) في القرآن الكريم ، وذلك ضمن إطار السياق القرآني المحيط بهما ، وضمن إطار ما يبيّنه القرآن الكريم من الدرجة التي يتّصف بها من تصفه هاتان الكلمتان ..

والآية الكريمة التالية تبيّن لنا هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ ..

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] = **٥٨٩ = ١٩ × ٣١**

.. فهذه المسألة الكاملة تبيّن لنا درجتين من درجات الكفر ، كلُّ درجةٍ منهما مسألة كاملة ..

.. **الدرجة الأولى** : تبيّن لنا جحود (كفر) الذين قالوا ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ** ﴾ ، وهذا الجحود ساحته العقيدة .. هذا ما تبيّنه الصورة القرآنيّة الأولى من الآية الكريمة ..

﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ** ﴾ =

١٧ × ١٩ = ٣٢٣

والدرجة الثانية : تبيّن لنا بعض الذين تعنيهم الصورة القرآنيّة الأولى ﴿ **ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ** ﴾ ، وهم الذين يكفرون من خلال قولهم هذا وهم يعلمون أنّهم يفترون على الله تعالى ، والذين يجحدون بعملهم ودعوتهم التي من خلالها يغطّون الحقيقة (يكفرون بها) .. وهذا ما تبيّنه الصورة القرآنيّة الثانية من الآية الكريمة ..

﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ =

١٤ × ١٩ = ٢٦٦

.. ففي هذه المسألةِ الكاملةِ نرى أنَّ كلمةَ ﴿ **كَفَرُوا** ﴾ تُشيرُ إلى درجةٍ من الكفرِ ، أعمقَ من التي تُشيرُ إليها كلمةُ ﴿ **كَفَرَ** ﴾ في المسألةِ الأولى .. فاللهُ تعالى لَمْ يقل : (لَيَمَسَّنَّهُم عذابٌ أليم) ، إنّما يقولُ .. ﴿ **لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ .. فالذين قالوا : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ** ﴾ ، جَحَدُوا حقيقةَ وحدانيّةِ اللهِ تعالى ، ولكنَّ هؤلاء ، منهم من عمل بهذا الجحود كفراً أعمق ، فاستحقَّ العذاب الأليم ... فالذي يعلمُ كلَّ ذلك ، ويفرزُ الصادق من الكاذبِ ، هو اللهُ تعالى ، وهو ذاتُهُ جلَّ وعلا الذي يُجازي على العمل ..

.. والآية الكريمة التالية تبيّن أنّ المنهج الذي أنزله الله تعالى على الرسول محمّد ﷺ يسمو بمتّبعيه إلى أعلى درجة يمكن للبشر أن يصلوها عن طريق الإيمان والعمل ..

﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١٠]

.. ولذلك فإنّ الأفضل لأهل الكتاب هو اتّباع المنهج الذي أُنزلَ على الرســـول ﷺ ، لأنّ ذلك يرفعهم إلى درجة أعلى ممّا لو آمنوا وعملوا من خلال المنهج الذي بين أيديهم .. ولكنّ ذلك لا يعني أنّهم لا يُوجَد فيهم المؤمنون (في إطار المنهج الذي بين أيديهم) ..

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] = **١٥ × ١٩ = ٢٨٥**

.. فإيمانهم وعملهم بمادّة المنهج الذي بين أيديهم لا يسمو بهم إلى الدرجة ذاتها فيمـــا لو آمنوا وعملوا بالمنهج الذي أُنزل على الرسول ﷺ ، لأنّ ماهيّة المنهج الذي أُنزل علـــى الرسول ﷺ أسمى وأقرب روحاً إلى الله تعالى من بقيّة المناهج ، ولأنّ هذا المنهج محفوظٌ من الله تعالى ، ولأنّ شعائر العبادات فيه لم تحرّف ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨ – ٥٠] = **١٤٠ × ١٩ = ٢٦٦٠**

وفي داخلِ هذه المسألةِ الكاملةِ ، نرى عبارَتَين قُرآنيّتين مُتَوَازِنَتَين ، تُلقيانِ الضَّوءَ على جَوْهَرِ هذه المسألةِ الكاملة .. والقيمةُ العدديّةُ لكُلٍّ منهما تُساوي تَماماً العددَ المَضروبَ بأساسِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر (أعني العدد ١٩) للحصولِ على القيمةِ العدديّة للنصِّ المُصَوِّرِ لهذه المسألة الكاملة .. أيْ أنّ القيمةَ العدديّةَ لكلٍّ منهما هي : **١٤٠** .. حيثُ القيمةُ العدديَّةُ لهذهِ المسألةِ الكاملةِ هي : ١٩ × ١٤٠ ..

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ = ١٤٠

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ = ١٤٠

.. وفي هذه المسألةِ الكاملةِ ، نرى أنَّ العبارةَ القرآنيّةَ .. ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾ [المائدة : ٤٨] ، تُبيِّنُ خصوصيّاتِ البيانِ الضيِّقةَ لِكُلِّ مذهبٍ فِكريٍّ ، مُقارنةً مع بيان الشريعةِ الواسعِ ..

.. فاللهُ تعالى يقول : ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ ، ولَمْ يقُلْ : (لِكُلٍّ مِنْكُمْ جَعَلْنَا شرْيعَةً وَمِنْهَاجاً) .. إنَّ مسألةَ الجعلِ هنا تتعلَّقُ – كما نرى – بمتّبعي الشِّرعةِ والمِنهاج ، وليس بالشرعةِ والمِنهاج ، يقولُ تعالى ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ ﴾ ..... إذاً .. الشرعةُ والمنهاجُ – هنا – تعلُّقُهما بالبشرِ ، وبالتالي بخصوصيّاتِهم وبمناظيرِهم الضيّقةِ التي ينظرون من خلالِها إلى الشريعةِ الواسعة .. ولذلك نرى ورودَ كلمةِ ﴿ شِرۡعَة ﴾ بدلَ كلمةِ ﴿ شَرِيعَةٖ ﴾ .. إضافةً إلى ربطِ موضوعِ الجعلِ بالبشرِ وليس بالشرعةِ والمِنهاج كما رأينا ..

.. بينما الشريعةُ التي جعلَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ عليها ، بيّنةٌ واضحةٌ واسعةٌ ، وهي معيارُ صدقِ كُلِّ شرعةٍ ، وتحيطُ بِشرعةِ كُلٍّ من أصحابِ المذاهبِ الفكريّةِ الضيِّقة .. يقولُ اللهُ تعالى في بيانِ ذلك : ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثـية : ١٨]

.. وهكذا .. فما بين البيانِ الإلهيِّ في تصويرِ ضِيقِ الخصوصيّاتِ المذهبيّةِ التي جعلَ اللهُ تعالى انتماءَ البشرِ إليها ، ليبلوَهُم فيما آتاهم ، وبين بيانِه جلّ وعلا للأمرِ الإلهيِّ باتّباعِ الشريعةِ البيّنةِ الواسعةِ المُحيطةِ بكلِّ شرعةٍ ضيّقة ، مسألةٌ كاملةٌ ، تُصدِّقُ تكامُلَها مُعجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾ [المائدة : ٤٨] = ٤٢٨

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثـية : ١٨] = ٣٥١

٣٥١ + ٤٢٨ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

.. وهكذا نرى أنّ قمّة الخلاص تكون من خلال المنهج الذي أُنزل على الرسول ﷺ ، وأنّ الدرجات التي يسمو بها الإنسان إلى الله تعالى من خلال القرآن الكريم ، أعلى منها من خلال أيِّ منهجٍ آخر ، فالإيمان وفق هذا المنهج هو اتّباع العلم الحقيقيّ ، وبالتالي فالإيمان (من خلال منهج القرآن الكريم) يعني ما يُبتَغى من العلم .. وفي الصورة القرآنيّة التالية يبيّن لنا الله تعالى أنّ الدرجات التي يرفع بها البشرَ ، تكون من خلال العلم بشكلٍ عامٍّ ، ومن خلال الإيمان بالمنهج الذي أُنزل على الرسول ﷺ ، فكلمة **﴿ مِنكُمْ ﴾** في هذه الصورة القرآنيّة تشير إلى هذه الحقيقة ..

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة : ١١] = **٢٤٧ = ١٩ × ١٣**

.. ولذلك فإنّ الإعراض عن منهج الحقّ الذي أُنزل على الرسول ﷺ ، عن علمٍ بحقيقة هذا المنهج ، يعني الهبوط إلى ما هو أدنى من اتّباع المناهج الأخرى عن غير علمٍ بحقيقة القرآن الكريم ، فالعلم بحقيقة المنهج الحقّ يقتضي اتّباع هذا المنهج .. وأيُّ اتّباعٍ لأيِّ منهجٍ آخر بعد العلم بحقيقة المنهج الحقّ هو كفرٌ وظلمٌ يترتّب عليه الخروج النهائي من ولاية الله تعالى ..

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠] = ٦٦٧

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٥] = ٨٣٣

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [الأنعام : ١١٩] = ٢٠٨

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] = ٢٨٧

٦٦٧ + ٨٣٣ + ٢٠٨ + ٢٨٧ = **١٩٩٥ = ١٩ × ١٠٥**

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٧] = ٢٧١

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾ [الروم : ٢٩] = ٢٠٧

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ [الجاثـية : ٢٣] = ٥١٠

٦٦٧ + ٨٣٣ + ٢٠٨ + ٢٨٧ + ٢٧١ + ٢٠٧ + ٥١٠ = **٢٩٨٣ = ١٩ × ١٥٧**

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

.. وفي كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ترد العبارة القرآنيّة **﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾** لتصف لنا الذين أصبحوا أهلاً للكتاب منذ إسرائيل ، أي الذين ورثوا الكتاب منذ ذلك الحين .. وهكذا فنحن أمام مسألةٍ كاملة تتكوّن من عنصرين هما ، **﴿ إِسْرَٰٓءِيل ﴾** ، **﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾** ..

﴿ إِسۡرَٰٓءِيل ﴾ = ٣٣ ، ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ = ٤٣

٣٣ + ٤٣ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

وتتجلّى عظمة الإعجاز القرآنيّ – أيضاً – بأنّه لو جمعنا عدد مرّات ورود العبارة القرآنيّة **﴿ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾** التي ترد مرّتين في كتاب الله تعالى ، مع عدد مرّات ورود العبارة القرآنيّة **﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾** التي ترد في كتاب الله تعالى (٣١) مرّة ، لحصلنا على العدد (**٣٣**) ، وهذا العدد (٣٣) هو القيمة العدديّة لكلمة **﴿ إِسۡرَٰٓءِيل ﴾** ..

﴿ إِسۡرَٰٓءِيل ﴾ = **٣٣**

عدد مرّات العبارتين **[﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، ﴿ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾]** = **٣٣**

.. وعظمة الإعجاز القرآني تشير إلى أنّ إسرائيل كان بداية مسألة أهل الكتاب ، وذلك من خلال ورود كلمة إسرائيل في القرآن الكريم بعدد مرّات يساوي تماماً القيمة العدديّة للعبارة القرآنيّة **﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾** ، فكلمة **﴿ إِسۡرَٰٓءِيل ﴾** ترد في القرآن الكريم (٤٣) مرّة .. وهذا العدد (٤٣) هو ذاته القيمة العدديّة للعبارة القرآنيّة **﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾** ..

﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ = **٤٣**

عدد مرّات ورود كلمة **﴿ إِسۡرَٰٓءِيل ﴾** في القرآن الكريم = **٤٣**

بينما العبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾** ترد في القرآن الكريم – بشكلٍ عامٍّ – لتصف أهل الكتاب ومتّبعي الرسالة الخاتمة التي أُنزلت على الرسول محمّد ﷺ .. فحسب السياق القرآني المحيط بهذه العبارة القرآنيّة ، يكون بيانها إمّا لأهل الكتاب ، وإمّا لمتّبعي الرسالة الخاتمة ، وإمّا للطرفين معاً .. والصور القرآنيّة التالية تؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ ﴾ [آل عمران : ١٨٦]

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١]

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة : ٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٧]

.. ورود العبارة القرآنيّة ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ في هذه الصور القرآنيّة ، يؤكّد أنّنا ننتسب إلى ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، وإلاّ لكانت هذه العبارة القرآنيّة ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ زيادةً لا داعي لها ، وهذا يتنافى مع عظمة الصياغة القرآنيّة ..

.. ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ إتيان الله تعالى الكتاب لإنسان يعني وضع هذا الإنسان في موقف المعرفة التامّة لحقيقة الكتاب ذاته الذي آتاه الله تعالى إياه ، ولا يعني مجرَّد المعرفة العاديّة بهذا الكتاب .. ولو نظرنا في النصوص القرآنيّة التالية حيث الكلمات : [[﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ﴾]] يعود الضمير فيها إلى الله سبحانه وتعالى ..

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة : ٥٣]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة : ٨٧]

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣]

﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ٥٤]

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٥٣]

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣]

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦]

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [هود : ١١٠]

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الإسراء : ٢]

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المؤمنون : ٤٩]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الفرقان : ٣٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [القصص : ٤٣]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [السجدة : ٢٣]

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ [الصافات : ١١٤ – ١١٧]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [فصلت : ٤٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الجاثية : ١٦]

﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ [الحديد : ٢٧]

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، دلالاتها تتطابق بنسبة كبيرة مع دلالات هذه العبارات القرآنيّة التي تحوي الكلمات [[﴿ ءَاتَيْنَا ﴾

، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ﴾]] والتي – كما رأينا – يعود الضمير فيها إلى الله سبحانه وتعالى ..

.. وهذه العبارة القرآنيّة التي تصوِّر إتيان الله تعالى للكتاب ، تختلف دلالاتها – كما نرى – عن الدلالات المحمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، حيث نرى صيغة المبني للمجهول ﴿ أُوتُواْ ﴾ ... فقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يصف الذين خصّهم الله تعالى بمعرفة الكتاب الذي آتاهم إيّاه ..

.. وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٦ – ٣٧] ، نرى أنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم من خواصِّ المسلمين ، بدليل قوله تعالى ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ ، ولا يمكن أن يُستبدل المعنيّون بهذه العبارة – هنا – بـ ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ من متّبعي رسالتي موسى وعيسى عليهم السلام ، ولا يمكن أن يُستبدلوا بالذين تعنيهم العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ..

.. وفي قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ – ١١٤] ، نرى أنَّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾

هم أيضاً من خواصِّ المسلمين الذين يعلمون أنَّ القرآن الكريم مُنزَّل من الله تعالى ، ولا يمكن – أبداً – أن يكونوا من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ، ولا يمكن أن يكونوا من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ ..

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ١١٨ – ١٢٢] ..

.. هنا على الرغم من ورود العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ وسط نصٍّ يُذكر فيه اليهود والنصارى وبنو إسرائيل ، إلاَّ أنَّ دلالاتها لا يمكن أن تصف طائفةً يتلون القرآن الكريم حقَّ تلاوته من أهل الكتاب .. فمن جهة جميع المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ هنا يتلون الكتاب المعنيَّ (الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه) حقَّ تلاوته ، وهذا لا يمكن أبداً حمله على تلاوة أهل الكتاب للقرآن الكريم .. فلو أنَّ كلَّ أهل الكتاب يتلون القرآن الكريم حقَّ تلاوته لما كانوا من المعنيّين بقوله تعالى ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ..

.. وورود هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في سياقٍ يعني أنبياء الله تعالى الذين يأمر الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ ويأمرنا من بعده أن نقتدي بهداهم ، يبيّن لنا حقيقة الدلالات التي تحملها هذه العبارة القرآنيّة ..

﴿ .... وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦ – ٩٠] ..

.. فكما أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني أهل الكتاب وتعني المسلمين وذلك حسب السياق القرآني المحيط بها ، كذلك نرى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني أحياناً بعض المنتمين للرسالات السابقة وتعني أحياناً بعض المنتمين للرسالة الخاتمة ، وذلك حسب السياق القرآني المحيط ..

.. ولننظر في قوله تعالى التالي لنرى كيف أنَّ هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لها دلالاتها التي تميّزها عن دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، فقد وردت هاتان العبارتان القرآنيّان في ذات النص ..

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ

وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٤٤ – ١٤٨] ..

.. هنا نرى أنَّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعرفون هذا الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه كما يعرفون أبناءهم ، فالضمير في كلمة ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ يعود إلى الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه ..

.. ولننظر إلى العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في السياق القرآني المحيط بها في قوله تعالى التالي ، لنرى كيف أنَّ هذه العبارة القرآنيّة لا تخرج دلالاتها عن دلالاتها في العبارات الأخرى التي رأيناها ..

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٨ – ٢٢] ..

.. ولننظر إلى العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ في السياق القرآني المحيط بها ..

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص : ٤٦ – ٥٤] ..

.. القول بأنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ هم أهل الكتاب الذين آتاهم الله تعالى التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم ، وسمعوا بالنبي ﷺ في حياته وآمنوا به .. هذا القول .. يتناقض مع المقدّمة التي انطلق منها هذا القول ... فالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ تعني (حسب تلك المقدّمة) متّبعي التوراة والإنجيل ، والضمير في العبارة ﴿ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ (حسب تلك المقدّمة) يعود إلى القرآن الكريم .. بناء على كلِّ ذلك فإنَّ كلَّ أهل الكتاب قد آمنوا ودون استثناء بالقرآن الكريم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ .. وهذا فسادٌ في التفسير ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ، وينقضه الواقع جملةً وتفصيلا ..

.. سياق الكلام السابق لهذه العبارة القرآنيّة يؤكّد أنَّ المخاطبين ليسوا أهل الكتاب (أتباع الرسالتين السابقتين للرسالة الخاتمة) ، فالعبارات : [[**﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ ﴾** ، **﴿ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾** ، **﴿ قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾** ، **﴿ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴾**]] ، تؤكّد أنَّ المخاطبين هم بعض قوم النبيِّ ﷺ .. ويستمرُّ سياق الكلام عن هؤلاء إلى أن يصل إلى العبارة **﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** ، لتبدأ بعد ذلك عبارة قرآنيّة تبيّن حقيقة المعنيّين بالعبارة **﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** ، وهذه العبارة هي **﴿ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾** ... فالكلمتان **﴿ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾** تعنيان : من قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب هم بهذا الكتاب يؤمنون ، وهذا شبيه بعبارة قرآنيّة في الآية التالية لهذه الآية مباشرة **﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴾** ، أي من قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب كانوا مسلمين .. فكيف يكون ذلك ؟ ..

.. لقد بيّنا أنَّ العبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** تعني النخبة الذين آتاهم الله تعالى الكتاب إتياناً يعرفون به حقيقة هذا الكتاب ، وليس مجرّد معرفة عاديّة كغيرهم من الذين يعرفون أنَّه من عند الله تعالى .. فهؤلاء المعنيّون بقوله تعالى **﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** – في النصِّ الأخير – آمنوا بالقرآن الكريم وأسلموا قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب ، فقبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب كانوا من الذين تعنيهم العبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** ، وقد بيّنا أنَّ العبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** تعني أهل الكتاب وتعني المسلمين ، وذلك تبعاً للسياق القرآني المحيط ..

.. والعبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾** نرى فيها أنَّ إتيان الكتاب لا يأتي بصيغة المبني للمجهول **﴿ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ﴾** ، فهو بصيغة المعلوم ويتعلّق بالله سبحانه وتعالى ، ولذلك – كما قلنا – يصف الخصوصيّة الواقفة على معرفة حقيقة الكتاب .. فبعد إيمانهم

بأنَّ هذا الكتاب من عند الله تعالى ، وبعد وقوفهم على حقيقته وقوفاً يتميّزون به عن غيرهم من المؤمنين بإنزاله من عند الله تعالى ، بعد ذلك ، آتاهم الله تعالى المعرفة الحقّ بهذا الكتاب ..

.. بينما في العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ نرى فيها صيغة المبني للمجهول ﴿ أُوتُواْ ﴾ وهي تشمل ساحة واسعة أوسع من الساحة التي تشملها العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .. فالمعنيّون بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لا يقفون وقوفاً كاملاً على حقيقة هذا الكتاب كما يقف المعنيّون بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ..

.. وهذه الحقيقة تتجلّى معنا حينما ننظر في قوله تعالى التالي حيث نرى كيف أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لها دلالاتها التي تميّزها عن دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، ولها دلالاتها التي تميّزها عن صنف ثالث هم من المسلمين المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ..

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥ – ٤٧] ..

فالعبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لا تعني أهل الكتاب ، فهؤلاء المعنيّون بهذه العبارة القرآنيّة يؤمنون بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ

إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ ﴾ .. وهناك صنف آخر من المسلمين يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ **وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ** ﴾ ، وهناك صنف مختلف لا يؤمن بالقرآن الكريم ﴿ **وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ ..

.. إذاً العبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ تصف النخبة والخواص من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ .. وبالتالي فهؤلاء الذين آتاهم الله تعالى الكتاب يعرفون حقيقته معرفة كبيرة ، ولذلك نرى في كتاب الله تعالى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ **يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ** ﴾ ، والتي ترد مرّتين في كتاب الله تعالى ، تتعلّق بالعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ حصراً ، فكون إتيان الكتاب لهم هو من عند الله تعالى يقتضي أنَّهم يعرفون هذا الكتاب كما يعرفون أبناءهم ..

﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٤٦]

﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام : ٢٠]

.. وورود كلمة ﴿ **يَعْرِفُونَهُۥ** ﴾ بصيغة المضارع دليلٌ على أنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ ليسوا فئةً كانت في يوم من الأيام (عصر الجيل الأوَّل) وانتهت .. هذه الصيغة ﴿ **يَعْرِفُونَهُۥ** ﴾ تدلّ على أنّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ هم أناسٌ لهم وجودهم في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. إذاً .. الضمير في كلمة ﴿ **يَعْرِفُونَهُۥ** ﴾ في هاتين الآيتين يعود إلى ذات الكتاب الذي آتاه الله تعالى للمعنيّين في كلِّ آية كريمة ..

..... وهكذا فصفة ﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ التي اكتملت بالمنهج الذي أُنزل على محمّد ﷺ ، حيث حُفظت الشعائر ، كما رأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) ، وصفة ﴿ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ أيضاً ، حيث العقيدة السليمة تُؤخذ من نصٍّ حفظه الله تعالى ، تُكوِّن مع العبارة القرآنيّة ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الحدَّ الأوّل من معادلة حدّها الثاني تصوّره العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .. هذه المعادلة نراها معادلةً رقميّة تبيّن عظمة الإعجاز القرآني ، ودقّة المصطلحات القرآنيّة ..

﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ + ﴿ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ + ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾

= ٢٥ + ١٧ + ٤٣ = **٨٥**

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ = **٨٥**

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ = ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ + ﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ + ﴿ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾

وقد رأينا أنّ انحراف بعض الذين هادوا في مسألة الهود (الرجوع) انحرافاً خرجوا به عن صفة الإيمان خروجاً نهائيّاً ، جعلهم يتّصفون بصفة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ ، ولذلك يصفهم الله تعالى بأنّهم أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا ..

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة : ٨٢]

فلو كان عندهم إيمانٌ لما وصفوا بهذه الصفة .. وهم في هذه النقطة يختلفون عن ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ، الذين تاهوا في مسألة الانتصار لله تعالى كما رأينا ، فالنصارى منهم من عنده قابليّة الإيمان بالله تعالى وقد يؤمن ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢]

.. ولذلك فاليهود والكافرون والمشركون يشكّلون عناصر مسألةٍ كاملة ، تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ + ﴿ ٱلْكَـٰفِرُون ﴾ + ﴿ ٱلْمُشْرِكُون ﴾

= ٣٧ + ٤٢ + ٥٤ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

ويصوّر لنا القرآن الكريم (الّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَـٰبِ) مسألةً كاملةً ، تبيّن خروجهم عن المنهج السليم الذي أراده الله تعالى ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٤] = ٨٩٢

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء : ٤٤] = ٣٨٤

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٥١] = ٥٤٨

٨٩٢ + ٣٨٤ + ٥٤٨ = **١٨٢٤ = ١٩ × ٩٦**

فالذين أُوتوا نصيباً من الكتاب مسألة كاملة توازي من حيث الإعراض عن منهج الله تعالى والإيمان بالجبت والطاغوت المسألة السابقة التي تجمع اليهود مع الكافرين والمشركين ، ولذلك نرى أنّ القيمة العدديّة لهذه المسألة الكاملة تساوي تماماً القيمة العدديّة للمسألة السابقة ..

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. وهكذا نرى أنّ لكلِّ أمّةٍ منهجَها ، ولكلِّ منهجٍ درجتَه من المصداقيّة (في انتمائه إلى الله تعالى) وسقفَه من الخلاص ومن الثواب ، ولكلِّ فردٍ في كلِّ أمّةٍ إيمانه وعمله ضمن

إطار منهج الأمّة التي ينتمي إليها .. ونرى أيضاً أنّه كلما اقترب المنهج من البرهان الحقّ ، وكلّما اقترب علم الإنسان بهذا الحقّ ، كلّما ارتفع الإنسان إلى مرتبةٍ يُضاعف فيها الثواب والعقاب كما رأينا ..

.. ولذلك قد يصل الإنسان بعمله وإخلاصه وإيمانه من خلال منهجٍ أقلّ حقيقة ومصداقيّة ، إلى مرتبةٍ أعلى من تلك التي يصل إليها إنسانٌ آخر ينتمي إلى منهجٍ أكثر حقيقة ومصداقيّة ، وذلك إذا عمل الأوّل بصدقٍ وإخلاصٍ لما يؤمن به دون أن يعلم المنهج الحقّ الذي ينتمي إليه الإنسان الثاني ، وإذا قصّر الإنسان الثاني بعمله وفق المنهج الحقّ الذي يعلمه ..

وقد رأينا كيف أن الرسول ﷺ وزوجاته والحواريّين بعد رؤيتهم للبرهان ، تتضاعف عقوبتهم فيما لو تمّ الوقوع في الخطأ ، وهذا يرجع إلى كونهم أعلم من غيرهم بحقيقة المنهج الذي يعملون به .. فالعلم بالحقيقة يسمو بالإنسان إلى درجةٍ ترفع من مسؤوليّته ومن درجة ثوابه (إن عمل بما يمليه عليه ما يعلم) ، ومن درجة عقابه (إن جحد بما يمليه عليه ما يعلم) .. وحكمة الله تعالى تُحيط بالأمور ، فلو علم الله تعالى خيراً ببعض البشر لوضع الحقيقة بين أيديهم ، ولكنّه جلّ وعلا يعلم بعلمه الكاشف أنّ هؤلاء لو وُضعت الحقيقة بين أيديهم لأعرضوا عنها ..

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٣] = **١٦ × ١٩ = ٣٠٤**

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾ = **٨ × ١٩ = ١٥٢**

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ = **٨ × ١٩ = ١٥٢**

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥١ – ٥٢] = **٢٤ × ١٩ = ٤٥٦**

﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ = **٨ × ١٩ = ١٥٢**

.. ولذلك فمعادلة الخلاص إلى الله تعالى لها حدودٌ كثيرة ، وقد رأينا كيف أنّ العمل والعلم الطرف الأولّ في معادلة طرفها الثاني الإسلام والإيمان ، ورأينا أيضاً أنّ عدم العمل مع العلم يؤدّي إلى الكفر .. ولذلك يبيّن لنا الله تعالى في كتابه الكريم أنّه جلّ وعلا هو يفصل بين البشر يوم القيامة ، لأنّه هو الشاهد على حقيقة إيمانهم وعلمهم وعملهم ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : ١٧] = **٣١ × ١٩ = ٥٨٩**

.. فالمزكّي هو الله تعالى ، فهو جلّ وعلا أعلم بحقيقة تقوى الإنسان ، وحقيقةِ علمه وإيمانه ، وجحوده ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٤٩] = ٣٤٤

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١] = ٤٧٤

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] = ٥١٢

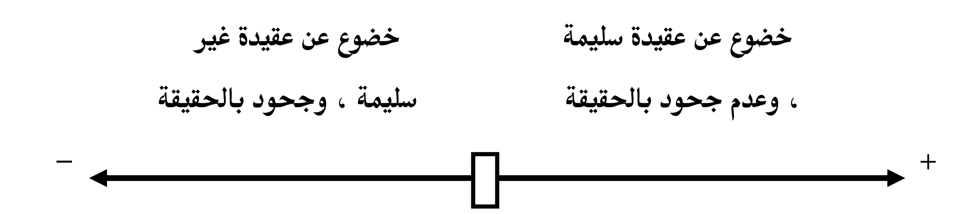
٣٤٤ + ٤٧٤ + ٥١٢ = **٧٠ × ١٩ = ١٣٣٠**

.. وهكذا فنحن أمام المحاور التالية التي تحدّد مكان الإنسان على سلّم الخلاص ، وبالتالي أمام مجموعةٍ من المعايير التي تشير إلى درجة خلاص الإنسان على سلّم الرسالات السماويّة ..

[١] – محور : **﴿ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ ﴾** ، **﴿ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾** ، **﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾** .. فقد رأينا أنّ هذه العناصر تكوّن مسألةً كاملة ..

﴿ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ ﴾ = ١٧ ،، **﴿ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾** = ٢٥ ،، **﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾** = ٣٤

١٧ + ٢٥ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**



[٢] – محور : **﴿ ٱلۡعِلۡمِ ﴾** ، **﴿ ٱلۡعَمَلُ ﴾** ، **﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾** .. وهـــذه العناصـــر تكوّن مسألةً كاملةً ، وذلك في تفاعل الإنسان معها ..

﴿ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ = ٢١ ،، **﴿ ٱلۡعَمَلُ ﴾** = ٢١ ،، **﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾** = ٣٤

٢١ + ٢١ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

إخلاص في العمل بما يوافق العلم — **نفاق ، وعمل بنقيض العلم**

+ –

[٣] – محور : **﴿ ٱلرُّوحُ ﴾** ، **﴿ ٱلشِّرۡكَ ﴾** .. فقد رأينا في النظريّة الثانية (القَدَر) أنّ الروح يكتسبه الإنسان بالعمل الصادق والإيمان والإخلاص ، ويعني الصلة مع الله تعالى والقربى منه جلّ وعلا ، وهذا يتطلّب العمل الخالص من أجل ذات الله تعالى بإيمانٍ صادق ، وذلك على نقيض من الشرك الذي يبعد عن الخلاص لله تعالى .. هذه المسألة الكاملـــة بطرفيها تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ = ٣٤ ،، **﴿ ٱلشِّرۡكَ ﴾** = ٤٢

٣٤ + ٤٢ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

كسب الصلة مع الله تعالى — **خسران الصلة مع الله تعالى**

(امتلاك الروح) — **(فقدان الروح)**

+ –

.. وكلُّ رسالةٍ سماويّة كانت في عصرها تمثّلُ الخلاص بشكلٍ كامل للقوم الذين نزلت إليهم .. لأنّها تحمل منهجاً خاصّاً لذلك العصر ، ولأنّ الشعائر كانت بعيدةً عن يد التحريف قبل موت الرسل الذين أُنزلت من خلالهم هذه الرسالات .. ولذلك فإنّ اتّباع البشر لهذه الرسالات آنذاك كان يمثّل الإسلام الحقّ ، بنسبة ١٠٠ / ١٠٠ ، فالدين عند الله تعالى هو الإسلام بنسبة ١٠٠ / ١٠٠ ..

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران : ١٩] = **١٠٠**

أمّا بعد تحريف الكثير من شعائر الرسالات السابقة ، ومن بعض ثوابت العقيدة ، وبعد نزول الرسالة الخاتمة التي تعهّد الله تعالى بحفظها ، أصبح سقف الخلاص من خلال الرسالات السابقة ، أقل من النسبة المطلوبة وهي ١٠٠ / ١٠٠ ، وذلك لمن لم يعلم الرسالة الخاتمة ، فمن علم حقيقة الرسالة الخاتمة ((أي وقفَ على حقيقتها ، وليس بمجرّد سماعه بها)) وجب عليه اتّباعها ، وإلاّ فهو جاحدٌ (كافرٌ) بالحقيقة ..

وهذا لا يعني أنّ جميع أفراد الرسالة الخاتمة أفضل من غيرهم (الذين لا يعلمون حقيقة الرسالة الخاتمة) ، فربّما لا يتقدّم أحدُ أتباع الرسالة الخاتمة على سلّم خلاصها بسبب جحوده (كفره) بأحكامها ، وبالتالي يستحقّ من العقاب أكثر من أتباع الرسالات الأُخرى .. وربّما يسمو أحد أتباع الرسالات الأُخرى (من الذين لا يعلمون حقيقة الإسلام) على سلّم خلاص رسالته إلى درجة تُدخله الجنّة ، وذلك بإيمانه وعمله وإخلاصه في إطار منهج رسالته ، ولكنّ إيمانه هذا وعمله هذا ذاته يسمو به إلى درجةٍ أعلى فيما لو قام به في إطار الرسالة الخاتمة ..

﴿ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

.. فالعملُ ذاتُه يضع العاملَ به في درجةٍ تختلف عن الدرجة التي يصل إليها غيرُه ، حسب اقتراب الرسالة التي ينتمي إليها مِن حقيقة الإيمان والخضوع لله تعالى ، وحسب درجة العلم التي يعلمها ، وحسب درجة امتلاء نفسه بالروح ، وحسب الإمكانيّة المتاحة

بين يديه .. فالله تعالى ليس غافلاً عن الخصوصيّة الفرديّة لكلِّ إنسان ، ويوفّي كلَّ إنسانٍ عمله دون ظلم ..

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] = ٢٤٣

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٩] = ٢٥١

٢٤٣ + ٢٥١ = **٤٩٤ = ١٩ × ٢٦**

فالعمل الذي يعمله الإنسان ، والذي يُجزى به ذاته (بعيداً عن حسابات جزاء الأجر بالعمل المتعلّقة بالقاسم المشترك ما بين جميع الرسالات) يُجزى به الإنسان حسب حقيقة الأحكام التي يحملها المنهج الذي يعتقد به ، والقاسم المشترك بين الجميع هو العمل ، الذي يُوضع في ميزان كتاب كلِّ أمّة .. فكلٌّ يُحاسَب حسب كتابه ..

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨]

والعبارة القرآنيّة ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ من المسألة الكاملة السابقة ، والتي تُصوِّرُ جوهر هذه المسألة ، تتوازن مع العبارة ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ من هذه الآية الكريمة ..

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ = **١٠٦**

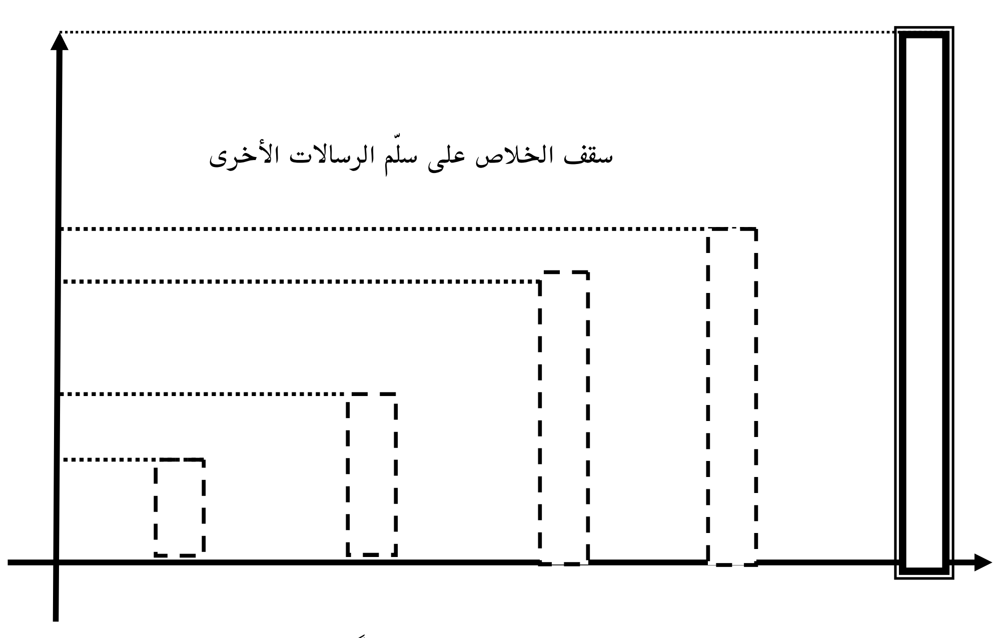
﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ = **١٠٦**

فكلٌّ يُحاسَبُ على كتابه .. ولمّا كانت المناهج المختلفة متفاوتة في الحق وفي اقترابها من مُراد الله تعالى ، فإنّه للعمل ذاته درجات مختلفة ، ما بين منهجٍ وآخر ..

ونرى أيضاً أنّ سقف درجات خلاص الإنسان من خلال الرسالات السابقة أقلّ من سقف درجات الخلاص من خلال الرسالة الخاتمة ، وذلك للأعمال ذاتها ، بسبب سلامة

كتاب الرسالة الخاتمة من التحريف ، سواء كان ذلك في العقيدة ، أم في الشعائر التي يريدها الله تعالى ، وبسبب كون هذه الرسالة للبشريّة جمعاء ..

سقف الخلاص هو للرسالة الخاتمة : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ = **١٠٠**



.. من يعلم حقيقة الرسالة الخاتمة ، لا يرضى عنها بديلاً ، لأنّه لا يريد أن يجحد بالحقيقة التي علمها ، وبالخير الذي ملكه ..

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٠٤] = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠] = ٧٦٢

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] = ١٤٤٢

٧٦٢ + ١٤٤٢ = **٢٢٠٤ = ١٩ × ١١٦**

.. فكرْهُ نزول منهج الرسالة الخاتمة ، اندفاعاً خلف العصبيّات الدينيّة ، والشخصيّة ، هو كفرٌ بالحقيقة التي أرادها الله تعالى من خلال الرسالة الخاتمة ، واختصّ بها من يشاء من عباده ..

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٥] = **٦٦٥ = ١٩ × ٣٥**

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ [المائدة : ٥٩] = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

.. من هنا فإنّ اتّخاذ أصحاب الرسالات الأُخرى أولياء في العقيدة ، بعد علم حقيقة الرسالة الخاتمة واتّباعها ، هو ظلمٌ بالحقيقة التي تحملها هذه الرسالة ، وبالتالي خــروجٌ إلى ساحة تلك الرسالات ..

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ ﴾ [المائــدة : ٥١ – ٥٢] = **٩٨٨ = ١٩ × ٥٢**

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ۚ ﴾ = **١٨ × ١٩ = ٣٤٢**

وكلامُنا هذا لا يعني بخس الآخرين عقيدهم ، وأنّهم ليسوا على شيء ، فالذي يزعم أنّ الآخرين ليسوا على شيء ، يكون قد سار في درب اليهود والنصارى الذين اتّهم كـلٌّ منهما الآخر بأنّه ليس على شيء .. هذه الحقيقة نراها في توازن القيم العدديّة للصور القرآنيّة التالية ..

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىۡءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] = **١٨٣**

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَىۡءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] = **١٨٣**

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ۚ ﴾ [البقرة : ١١٣] = **١٨٣**

فالآخرون – ضمن حدود سقف رسالاهم – منهم الصالح الذي يعده الله تعالى بالجنّة ، ومنهم غير ذلك من الذين يستحقّون جهنّم ..

﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٣ – ١١٤] = ٧٧٠

﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم ۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٌ مُّقۡتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٥ – ٦٦] = ٩٥٩

٧٧٠ + ٩٥٩ = **١٧٢٩ = ١٩ × ٩١**

﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ = **٢٤٨**

﴿ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٥] = **٢٤٨**

.. فالإيمان والدعوة إلى الحقّ لا يكون بالإكراه ، فلو شاء الله تعالى لجعل جميع أهل الأرض مؤمنين ، ولكنّها مسألة امتحان نعيشها في حياتنا الدنيا ..

﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٨ – ٩٩] = **٥٠ × ١٩ = ٩٥٠**

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] = ٣٧٠

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف : ٢٩] = ٢٥٧

٣٧٠ + ٢٥٧ = **٦٢٧ = ١٩ × ٣٣**

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ = ١٩٨

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ = ١٦٣

١٩٨ + ١٦٣ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] = ٢٢٧

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] = ١٧٢

٢٢٧ + ١٧٢ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. فكلُّ إنسان يصل إلى مغفرة الله تعالى ، أو إلى عقابه الأليم ، حسب إيمانه وعمله وعلمه وإخلاصه واتّباعه الحق ، وكلُّ ذلك يعلمه جلّ وعلا علماً كاملاً ..

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [فصلت : ٤٣] = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ = **٧٦ = ١٩ × ٤**



مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

خلاصنا على
سلّم الرسالة الخاتمة

.. رأينا في النظريّة الثانية (القَدَر) كيف أنّ تعاريف : الروح ، والنفس ، والإرادة ، والمشيئة ، والقضاء ، والقدر ، التي تمَّ تأطيرها في تاريخنا الإسلامي ، خرج معظمُها عن حقيقة الدلالات التي يحملها القرآن الكريم لهذه المسائل ..

.. ورأينا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) كيف تمَّ زعم مسألة الناسخ والمنسوخ ، وكيف أنّ القرآن الكريم يستحيل أن يحوي في دلالاته الأوهام التي تمّ تلبيسها لأحكامه من خلال هذه المسألة المزعومة ..

.. ورأينا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) كيف أنّ أحكام العبيد وملك اليمين التي أُطِّرت فقهياً ، تتعارض بشكلٍ صريحٍ مع دلالات القرآن الكريم لهذه المسألة ..

.. ورأينا في كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ، كيف أنَّ مسألة الطلاق في كتاب الله تعالى تختلف عمّا هو مؤطَّر فقهيّاً وتاريخيّاً ، وكذلك الأمر في مسألة الكلالة ، وغير ذلك من المسائل التي توارثناها دون معايرة حقيقيّة على دلالات كتاب الله تعالى ..

.. وتدرَّجنا في هذه النظريّة إلى سلّم الخلاص للرسالة الخاتمة ، ورأينا أنّ علم الإنسان بالحقيقة يرفعه إلى درجة أعلى على سلّم الثواب ، وعلى سلّم العقاب ، ورأينا كيف أنّ الرسالة الخاتمة يريدها الله تعالى للبشريّة جمعاء ، وأنّ النصوص القرآنية فيها تحمل من

الدلالات والمعاني ما يكفي – بتكاملها مع بعضها بعضاً – لحلِّ أيِّ مُشكلةٍ طارئةٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ، إذا تمَّ تدبّرها بشكلٍ سليم ..

.. إنَّ خصوصيّة القرآن الكريم تجعل من الدلالات الكامنة في النصِّ المكتوب فيه ، أكثر بكثير من الدلالات التي نقرؤها في أيِّ زمانٍ و مكان من هذا النصِّ ذاته .. فهناك فارقٌ بين القرآن المكتوب والقرآن المقروء في أيِّ زمانٍ ومكان ، وهو ذاته الفارق بين علم الله تعالى لما كان ويكون وسيكون ، وبين علمنا نحن ..

.. وبالتالي فإنّ محاولة فهم النصوص القرآنيّة – حتى تلك التي تحمل الحدود الواضحة كما سنرى في هذا الفصل إن شاء الله تعالى – على أنّها لا تحمل إلاّ التصوّر التاريخي لدلالاتها ، هي جحودٌ بماهيّة القرآن الكريم الذي نزّله الله تعالى تبياناً لكلِّ شيءٍ من جهة ، وبحقيقة التطوّر الحضاري من جهةٍ أُخرى ، وهي محاولة لتقديم النصِّ القرآنيّ على أنّه نصٌّ تاريخيٌّ تجاوزه الزمن ، وبحاجة إلى ما يُكمله ..

.. فهناك فارقٌ كبيرٌ بين أنّ نبحرَ في دلالات القرآن الكريم ونعايرَ تصوّراتنا على دلالاته المجرّدة من جهة ، وبين أن نحاولَ إجبارَ دلالات القرآن الكريم للمرور في أنفاق تصوّراتنا المسبقة الصنع ، معايرين دلالاته على هذه التصوّرات ، من جهةٍ أُخرى ..

.. ونحن لا نعني بالدلالات المجرّدة أوهاماً نأتي بها من جيوبنا ، كما يتخيّل بعضُ التائهين .. أبداً .. فما نعنيه هو روح الدلالات النابعة من الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه الكلمة التي نحن بصدد دراسة دلالاتها ومعانيها ، وذلك وفق منهجٍ علميٍّ يأخذ بعين الاعتبار جميع الكلمات المتفرّعة عن الجذر اللغوي ، على امتداد نصوص القرآن الكريم ..

.. فما نعنيه هو القاسم المشترك لدلالات جميع الكلمات القرآنيّة المتفرّعة عن جذرٍ لغويٍّ واحد ، وعدمُ جَعْلِ العوالم المختلفة التي ينتمي إليها ما تصفه وتسمّيه هذه الكلمات حجّةً على المعنى المجرّد الذي نعنيه ..

.. وفي بعضِ الحالات ، تبدو – للوهلة الأولى – المسافةُ شاسعةً بين دلالات بعض الكلمات القرآنيّة المنتمية إلى جذر لغوي واحد .. ولكن .. بإمعان النظر في المعنى المجرّد لهذه الكلمات ، يبدو لنا – جليّاً – الإطارُ المحيطُ بدلالات هذه الكلمات ، وهو ذاته إطار المعنى والدلالات للجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه تلك الكلمات ..

.. ولتبيين حقيقة ما نذهبُ إليه ، وكيف أنّ الدلالات المجرّدة التي تحملُها الكلمات القرآنيّة والجمل القرآنيّة ، أكبر بكثير من تلك الدلالات المسجونة بإطار التاريخ والموروث .. لتبيين ذلك سنأخذ – كمثالٍ ونموذج – الجذرَ اللغوي (س ، ح ، ر) ، وسنحاول رسم إطار المعنى والدلالات النابع منه ، والمحيط بجميع مشتقّاته المتفرّعة عنه ..

.. الكلمات المتفرّعة عن هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ، تنقسم – بالنسبة لإدراكنا الظاهري – إلى قسمين :

– قسم يتعلّق بالسِّحر ، وهذا الفرع له صلته بمشتقّات الجذر (ف ، ت ، ن) .. وقد بيّنا في كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ، كيف أنّ عدد مرّات ورود هذا الفرع المتعلّق بالسِّحر يساوي – في كتاب الله تعالى – عدد مرّات ورود مشتقّات الجذر (ف ، ت ، ن) ، حيث يرد كُلٌّ منهما (٦٠) مرّة ..

– قسم يتعلّق بالسَّحَر .. ومشتقّاته – في كتاب الله تعالى – هي :

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧]

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨]

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر : ٣٤]

.. ولنبحث – في عرضنا لهذا النموذج – عن مشترك المعنى والدلالات بين هذين الفرعين العائدين إلى جذر لغوي واحد ؟ !!! ..

.. السِّحر هو تغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦]

فالحبال والعِصيّ ، هي في حقيقتها لم تكن تسعى ، ولكنّ موسى عليه السلام خُيّل إليه – نتيجةَ سحرِهم – أنّها تسعى ..

.. فالسّاحر هو من يقوم بتغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤]

.. وكلمة ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٣ – ٣٥] .. هي ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يُصَوِّرُ لنا آليّةَ نجاةَ آل لوط وأهله ، ونراها تستثني امرأة لوطٍ عليه السلام ، فالحديثُ في سياقِ تلك الآيات هو عن آليّة النجاة التي نجّى اللهُ تعالى – بواسطتها – من نجّاهم من قومِ لوط ..

.. وممّا يُؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه ، هو حرف الباء (باء الواسطة والوسيلة) في كلمة ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ ، وكذلك ورود هذه الكلمة بصيغة النكرة .. فالنجاة كانت بواسطة سَحَر ، وليست مُجرّد نجاة تمّت خلال السَّحَر ..

.. إذاً الحديثُ – في هذا النصِّ القرآني – هو عن آليّة النجاة وواسطتها ، ولذلك لم يتمّ – في هذا النصّ القرآني – استثناء امرأة لوط عليه السلام ، كما هو الحال في النصوص القرآنيّة الأخرى ، التي تصوّر لنا الناجين ، وبالتالي تُستثنى – في هذه النصوص – امرأة لوط ..

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الحجر : ٥٨ – ٦٠]

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [النمل : ٥٦ – ٥٧]

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٢ – ٨٣]

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٠ – ١٧٣]

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٢ – ٣٣]

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٣ – ١٣٦]

.. فهذه النصوص القرآنيّة لا تتحدّث عن واسطةِ النجاة وكيفيّتها ، إنّما تتحدّثُ عن النجاةِ ذاتِها ، لذلك نرى استثناءَ امرأةٍ لوطٍ فيها ، فامرأةُ لوطٍ مستثناة من آل لوطٍ وأهله في مسألةِ النجاة ..

.. وكيفيّةُ النجاة – التي تمّت – تكون بعدم الالتفات إلى ما يحلُّ بقوم لوطٍ حين نزول العذاب فيهم ..

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١]

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر : ٦٥ – ٦٦]

.. فالذي سيلتفت ، وبالتالي لا يستفيدُ من واسطةِ النجاة ، هو امرأةُ لوط عليه السلام .. فالتفاتُها يُخرجُها من ساحة الاستفادة من واسطةِ النجاة ..

.. ولذلك في النصِّ القرآنيّ ..

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٣ – ٣٥]

.. نرى عدمَ استثناء امرأة لوط ، وهذا يُؤكِّدُ صحّةَ ما ذهبنا إليه من أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ تصفُ كيفيّةَ النجاة وواسطتها ، حيث لم تستفد امرأةُ لوطٍ من هذه الواسطة والكيفيّة ، ولا تصفُ هذه العبارةُ القرآنيّةُ مسألةَ النجاةِ ذاتها ..

.. وهكذا .. فالنجاةُ كانت بواسطةِ تغيير الواقع المحيط بآلِ لوط واستثنائه من واقعِ الحاصِبِ الذي أُرسلَ على قومِ لوط ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ .. وهذا عين ما تصفه العبارة القرآنيّة ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ ..

.. فكما أنَّ السِّحْرَ يغيِّرُ الواقعَ في أعينِ المسحورين ، ومن لا يلتفت إلى هذا السحر ويستطيعُ حجبَ رؤيته عنه لا يتأثَّرُ به ، كذلك فإنّ واقعَ التغيير الذي هو الاستثناءُ من الحاصبِ الذي أُرسلَ على قومِ لوطٍ لا يكونُ إلاَّ بعدمِ الالتفات إلى هذا الحاصب ..

.. لذلك نرى أنَّ امرأة لوطٍ أصابها ما أصابَ قوم لوط ، لأنَّها التفتت ونظرت إلى هذا الحاصب .. وبالتالي لمْ تستفدْ من أداة النجاة التي هي حجبُ الواقعِ الحاصل في قوم لوطٍ حين إرسال الحاصب عليهم وعدمُ الالتفاتِ إلى هذا الواقع ..

.. إذاً كلمةُ (سَحَر) تعني : حجبَ الواقع المحيط وعدمَ الالتفات إليه .. ونحن بإظهار هذه الدلالات لكلمة (سَحَر) ، لا نُنكرُ ساحة الزمان التي تمّت فيها تلك النجاة .. أبداً .. فهناك عبارات قرآنيّة تُبيّن أن موعدهم الصبح ، وأنّ لوطاً عليه السلام أُمِرَ بأن يسري بأهلِه بِقِطْعٍ من الليل ..

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١]

.. فما نُبيّنُه هو عُمق الدلالات التي تحملُها هذه الكلمة ، وعمق ارتباطها بالدلالات النابعة من الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

.. وكلمة (الأسحار) في النصّين القرآنيّين ..

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧]

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨]

.. تردُ بصيغة جمع كلمة (سَحَر) ، ومجرورةً بباء الواسطة والوسيلة ، وليس بحرف الجر (في) ، أي بواسطةِ (الْأَسْحَارِ) يتمُّ استغفارهم لله تعالى .. ولم ترد بالصيغة (في السَّحَر) .. وهذا يدفعنا إلى إدراكِ دلالاتها بعمقٍ أبعد من مُجرّدِ حصرها في وصف فترة زمنيّة محدَّدة معروفة من الليل تتكرّرُ كلَّ يوم ..

.. وهكذا .. يكون معنى كلمة [﴿ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ ، ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ ﴾] في هاتين الآيتين الكريمتين هو : بطرقِ التغيير وعدم الالتفات إلى الذنوب والخطايا التي يطلبون من الله تعالى غفرانها ..

.. فطلبهم المغفرةَ من اللهِ تعالى يكونُ من خلالِ جهدِهِم وعزمِهِم في ترك وحجب ما يطلبون من الله تعالى غفرانه ، وفي عدم الالتفات إليه ..

.. أي بالتغيير والإعراض عن الخطايا ، وعدم الالتفات إليها ، يطلبون المغفرةَ من الله تعالى عن هذه الخطايا ، كما أنَّ آلَ لوطٍ نجّاهم الله تعالى من الواقع الذي نزلَ بقومِهم من خلالِ عدمِ الالتفات إلى ذلك الواقع ..

.. وكلُّ ذلك معنىً مجرّدٌ لا يخرج عن إطار المعنى المجرّد الذي تحملُه كلمةُ (سِحر) .. فكلُّ مشتقّات الجذر اللغوي (س ، ح ، ر) — الذي اخترناه كنموذج للدراسة — تشترك بمعنىً مجرّدٍ لا يخرجُ في إطاره العام عن إطار المعنى والدلالات التي يحملُها هذا الجذر اللغوي ..

.. وهكذا نرى كيف أنّ المنهجيّة العلميّة النابعة من كون جميع مشتقّات الجذر اللغوي الواحد في كتاب الله تعالى ، يُحيطُ بها إطارٌ واحدٌ من المعنى والدلالات ، هو ذاته المعنى المُجَرّد الذي يحملُه ذلك الجذر اللغوي ، تقودنا إلى اكتشاف دلالاتٍ ما كان لنا أن نكتشفها لولا اتّباع هذه المنهجيّة ..

.. حينما لا ندخل بحر دلالات القرآن الكريم إلاّ بتصوّرات مسبقة الصنع ، وعلى أنّه لا يخاطب غيرَنا ، فسنغرق في شطآنه ، دون أن نصطاد شيئاً من درره الثمينة .. فعدم فهم دلالات القرآن الكريم إلاّ من خلال التاريخ يُخرِجُ الروحَ القرآنيَّ من قلوبنا ، ويخرِجنا من التاريخ ..

.. إنَّ الفطرة الطاهرة النقيّة المجرّدة عن العصبيّات والأهواء ، لا تختلف أبداً مع أحكام كتاب الله تعالى ، فسواءٌ الروح (الصلة والقربى من الله تعالى) الموجود في القلوب المؤمنة ، أم الروح القرآنيّ الذي تتنزّل دلالاتُهُ على قلب كلِّ متدبّرٍ صادق ، كلاهما من الله تعالى ويؤدّيان إليه جلّ وعلا .. وإن توهّمنا وجودَ تعارضٍ بينهما في مسألةٍ ما ، فنحن أمام احتمالين :

- إمّا أنّنا لم ندرك الدلالات الحقيقيّة لكتاب الله تعالى الخاصّة بهذه المسألة ..
- أو أنّ ما حسبناه فطرةً مجرّدةً هو عصبيّةٌ وهوىً مُسبق الصنع ..

.. فالروح الذي فطر الله تعالى النفوس الطاهرة النقيّة عليه ، لا يختلف أبداً مع الروح الذي نزَّله منهجاً لرسالته الخاتمة التي أرادها للبشريّة جمعاء حتى قيام الساعة ..

.. حينما نُفسِّر – تفسيراً خاطئاً – بعضَ النصوص القرآنيّة الحاملة للأحكام التي يريدها الله تعالى ، فإنّنا – بذلك – ندفع الفطرة النقيّة للاختلاف مع الروح القرآني .. فحينما لا يخرج معيار مصداقيّة الفكر الإسلامي عن إطار التاريخ ، وتصبح العصبيّات المذهبيّة والطائفيّة هدفَ هذا الفكر ، تُصبحُ تصوّراتُ العامّةِ ناظماً لسمت التوجّه الفكري عند الأمّة ، وتبتعد الأمّة عن منهجها الحقّ لتعود إلى الحضيض ، وينعدم فكرها الحقّ الذي يجب عليها إدراكه ..

.. الكثيرُ من مُقدِّمي التاريخ منهجاً بديلاً عن منهجِ اللهِ تعالى ، والذين لا يطيبُ لهم ترك أصنامهم التاريخيّة ، يُريدون إشراكَ صنمِ التاريخ – بما يحملُهُ من رجالات وفقهاء وأقوال – في رسمِ حدودِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى .. فيبحثون عمّا يُوهمون به أنفُسَهم والآخرين من أنَّ ظاهرَ بعضِ النصوصِ القرآنيّة لا يُوافقُ حقيقةَ الأحكامِ التي تحملُها هذه النصوص ، وذلك بغية إيجاد مُبرِّرٍ لجعلِ رجالاتِ التاريخ ضرورةً لا بُدَّ منها لفهمِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى ..

.. وممّا يحتجّونَ به – كنموذج نختاره لإسقاط هذه الأوهام والمزاعم – هو تفسيرهم لقوله تعالى .. ﴿ **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ** ﴾ [المائدة : ٢] .. يقولون : ظاهرُ هذا النصِّ أمرٌ إلهيٌّ ، بأن يصطاد – حسب زعمهم – كلُّ متحلّل ، كي يخرج من إحرامه ، بينما حقيقةُ الخروج من الإحرام لا تشملُ أيَّ أمرٍ إلهي بذلك ، أي فسَّروا هذا النصَّ على أنَّ كلمة ﴿ **فَٱصْطَادُوا۟ۚ** ﴾ فيه ، يعني ظاهرُ دلالاتها حتميةَ الصيد ..

.. فحسبَ ما ذهبوا إليه ، يكونُ معنى ظاهرِ هذا النصِّ : أنَّ كلَّ من يتحلّلُ لا بدَّ له من أن يقومَ بعمليّةِ الصيد ، وهذا غيرُ مُمكنٍ ، ولذلك ذهبوا إلى أنَّ دلالاتِ النصِّ لا تُوافقُ ظاهرَ صياغته .. وبالتالي لا بُدَّ – حسب ما يذهبُ إليه زعمهم ، وما يريدون – من عدم الأخذ بظاهر هذا النصّ ، ولا بُدّ من العودة إلى أصنام التاريخ كمعيارٍ دلالاتٍ لفهم بعض دلالات الجمل القرآنيّة ، والكلمات القرآنيّة ..

.. نحنُ نقولُ : لا يمكنُ لدلالاتِ أيِّ نصٍّ قرآنيٍّ أنْ تخالفَ ظاهرَ صياغته اللغويّة .. وإنْ توهّمنا ذلك ، فالمشكلة تكمنُ في إدراكنا إمّا لصياغة النصِّ ، وإمّا لدلالاتِ بعضِ كلماته ..

.. السرُّ في النصِّ الذي بين أيدينا يكمنُ في حرفِ الطاء ، في كلمةِ ﴿ **فَٱصْطَادُوا۟ۚ** ﴾ .. فدخولُ هذا الحرفِ الغريبِ عن الجذرِ اللغويِّ (ص ، ي ، د) ، إلى مشتقٍّ من مشتقّاتِ هذا الجذرِ اللغويِّ ، له فعلُهُ وتأثيرُهُ في تحديدِ دلالاتِ هذا المشتق ..

.. ومن خلال دراسةٍ منهجيّة قمتُ بها لرصد تأثير دخول حرف (الطاء) على دلالات جذرٍ لغوي ، رأيتُ أنَّ دخولَ هذا الحرف (الطاء) على جذرٍ لغويٍّ ، يعني إدخالَ المسألةِ المعنيّةِ بهذا الجذرِ اللغويِّ في ساحةِ استخدامِ الفاعلِ ، حسبَ إرادته .. أيْ يتمُّ إدخالُ تلك المسألةِ في ساحةِ إمكانيّةِ الاستخدام ، بحيثُ يقتربُ الفاعلُ من حقيقةِ المسألةِ حسبَ الحاجة .. أي تُضيفُ دلالاتُ هذا الحرف (الطاء) دلالةَ الإمكانيّة ، لدلالات الجذر اللغوي ..

.. فعلى سبيلِ المثال .. مشتقّاتُ الجذرِ اللغويِّ (ص ، ل ، ي) تعني الانغماسَ في المسألةِ موضوعِ الصليِّ ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦]

.. فصليُّ النار هو الانغماسُ فيها .. وكلُّ مشتقّاتِ الجذر اللغــويّ (ص ، ل ، ي) في كتابِ اللهِ تعالى ، التي لم يدخلْ عليها حرفُ الطاء ، تدورُ معانيها في هذا الإطــار .. وهناك مشتقٌ واحد من مشتقّاتِ هذا الجذر اللغويِّ دخل عليه حرفُ الطاء ، هو كلمة ﴿ تَصْطَلُونَ ﴾ في قولِ تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧] .. وفي قولِهِ تعالى ..

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩]

.. واضحٌ أنَّ كلمةَ ﴿ تَصْطَلُونَ ﴾ في هاتين الآيتين الكريمتين ، لا تعني الانغمــاسَ بالشهابِ القبسِ وبجذوةِ النارِ .. وإلاّ لأتتْ (تَصلُونَ) .. أيْ بعدمِ دخولِ حرفِ الطــاء على الكلمة ..

.. فالاصطلاءُ هو الاقترابُ مّما تعنيه مشتقّاتُ الجذرِ (ص ، ل ، ي) حــسبَ إرادةِ الفاعلِ وحاجته .. وهكذا .. فحرفُ الطاءِ أدخلَ المسألةَ في ساحةِ إمكانيــةِ اســتخدامِ الفاعلِ وحاجته ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ، هو مشتقّات الجذر اللغوي (ص ، ف ، ي) .. إنّ إصــفاءَ الشيء بشيءٍ آخر ، هو إعطاءُ هذا الشيءِ (الأوّل) ما تمَّ اختيارُهُ (الشيء الثاني) مــن ساحةِ أُخرى لا يُقارنُ فيها الشيءُ الأوّل ..

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا ﴾ [الإسراء : ٤٠]

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٦]

.. فالشيءُ الذي تمَّ إصفاؤه (الشيء الأوّل الذي هو نحن) لَمْ يدخلْ ساحةَ المقارنةِ مع الشيء الثاني (البنين) ، ولا حتى بين هذا الشيءِ الثاني وما يُقارَن به وهو (البنات) .. فما دخلَ ساحةَ المقارنة تلك هو ما تمَّ إعطاؤهُ للشيءِ المُصفى ، أي هو (البنون) ..

.. فالبشرُ المخاطبون في هذين النصّين القرآنيّين ، والذين تمَّ إصفاؤهم ، لم يدخلوا ساحةَ المقارنة .. وما دخلَ تلك الساحة هو البنون الذين يُقارنون مع البنات .. ولذلك فداخلُ ساحةِ هذا الإصفاء يُوجدُ البنون والبنات ..

.. ولذلك حين تصويرِ مسألةِ الإصفاءِ تلك من داخلِ ساحةِ المقارنة بين البنين والبنات ، نرى دخول حرفِ الطاءِ الذي يُشيرُ إلى عملية الدخول تلك ..

﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٣ – ١٥٤]

.. فالاصطفاء هنا هو من داخل ساحة المقارنة بين البنين والبنات ..

.. والمسألةُ ذاتها نراها في الصور القرآنيّة التالية ..

﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧]

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣]

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢]

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف : ١٤٤]

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٥]

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢]

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر : ٤]

.. فحرفُ الطاءِ – إذاً – يُشيرُ إلى دخولِ المُصطفى داخلَ ساحةِ المقارنةِ مع الآخرين .. بينما عدمُ دخولِ هذا الحرف يُشيرُ إلى وجودِ المخاطبِ بمشتقِّ الجذرِ اللغـــويِّ (ص ، ف ، ي) خارجَ تلك الساحة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. مشتقّات الجذر اللغوي (ص ، ر ، خ) تحملُ معنى حيثيّات الصراخ ..

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ [يـــس : ٤٣]

.. والاستصراخُ هو طلب الصراخ ..

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٨]

.. أمّا دخولُ حرفِ الطاءِ على هذا الجذرِ اللغويِّ فيعني دخولَ ساحةِ هذا الصراخ ، أي يعني تصويرَ الصراخِ من داخل ساحته ..

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧]

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. هو مشتقّات الجذر اللغوي (ص ، ب ، ر) .. حين دخولِ حرف الطاء على مشتقّاتِ هذا الجذر اللغويِّ فإنَّ ذلك يعني دخولَ ساحةِ الصبر ، وساحةِ إمكانيّةِ التفاعلِ معه ..

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥]

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [طـه : ١٣٢]

﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ [القمر : ٢٧]

.. ولنأخذ مثالاً آخر ، هو مشتقّات الجذر اللغويِّ (ص ، ن ، ع) .. إنَّ صنعَ الشيءِ يعني وقوعَه تحتَ فعلِ صناعته ..

﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨]

فالصنعةُ هي مهنةُ هذا الفعل ..

﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠]

وقد وضعَ اللهُ تعالى موسى عليه السلام في ساحةِ إمكانيّةِ الصناعة كما يُريدُ اللهُ تعالى ، وليس في ساحةِ الصناعة المباشرةِ التي فاعلُها الوحيدُ هو الله تعالى ، وإلاّ فسيكونُ موسى عليه السلام مُسيَّراً في كلِّ حركةٍ من حياته .. هذه الحقيقةُ نراها جليّةً في ورودِ مُشتقِّ الجذر اللغويّ (ص ، ن ، ع) المتعلّقِ بموسى عليه السلام ، بصيغة المبني للمجهول ..

﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طـه : ٣٩]

ولذلك يقولُ اللهُ تعالى لموسى عليه السلام ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ ﴾ و لمْ يقل له (وصنعتك) .. أي يقولُ له أدخلتك في ساحةِ إمكانيّةِ صناعتك لنفسي كما أُريد ، وتحت إشرافي .. وبعد ذلك فإنَّ معدنك الصالح استمرَّ في هذه الإمكانيّة إلى أن صُنعتَ كما أُريد ..

﴿ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ [طـه : ٤٠ – ٤١]

.. والمسألة ذاتُها في دخول حرف الطاء على مشتقّات الجذر اللغوي (ض ، ر ، ر) ، بمعنى إدخال المعني بالكلمة (التي دخل عليها حرف الطاء) إلى ساحة إمكانية الوقوع في الضرر ..

﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ١٢٦]

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣]

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣]

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥]

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢]

.. وهكذا .. فدخولُ حرفِ الطاءِ على مشتقّات الجذر اللغويِّ ، يعني دخول المعنيِّ بهذا المشتقِّ في ساحةِ إمكانيّةِ حصولِ الفعل ، وتصويرَ المسألةِ من داخلِ هذه الساحة ..

.. المسألةُ ذاتُها نراها في الفعل ﴿ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ ﴾ .. فتقديرُ المعنى هو : فادخلوا في ساحةِ حلِّ الصيد .. ولا يعني ذلك حتميّةَ الصيدِ للمتحلّل .. وممّا يؤكّد ذلك أنّهُ في الآيةِ السابقةِ مباشرةً للآيةِ الحاملة لهذه العبارةِ القرآنيّة ، يقولُ تعالى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١]

فالعبارةُ القرآنيّةُ ﴿ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ ﴾ تعني غيرَ داخلي ساحةِ حلِّ الصيدِ وأنتم حُرُم .. وبالتالي فالعبارةُ القرآنيّةُ ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ ﴾ ، تعني وإذا تحلّلتم فادخلوا ساحةَ إمكانيةِ حلِّ الصيد ..

.. وهكذا نرى أنَّ تصوّرَ بعضهم وزعمَهم بوجودِ تعارضٍ بين ظاهرِ صياغة النصِّ القرآنيِّ وبين حقيقةِ ما يحملُ من معانٍ ودلالات ، هو وهمٌ دخلَ أنفُسَهم نتيجةَ عدمِ إدراك دلالاتِ النصِّ القرآني ، ونتيجةً فرض التصوّرات التاريخيّة على دلالات الكلمات القرآنيّة ، دون البحث السليم الهادف لاستنباط حقيقة هذه الدلالات من كتاب الله تعالى ، ونتيجةَ عدم امتلاك الإرادة القويّة في التخلّي عن الأصنام الفكريّة المغلوطة ..

.. إنّ سَوق الأمّة من عواطفها الهوجاء وغريزتها المذهبيّة والتاريخيّة إلى التاريخ ومشاكله ، يحوِّل أبناء هذه الأمّة إلى قطيع ، يقوده المهرّجون والمتخلّفون فكريّاً وعقليّاً .. فالله تعالى يريد من الإنسان أن يُساق بعقله في مركب البرهان والدليل إلى دلالات كتابه الكريم ، لا أن يُساق بعواطفه الهوجاء إلى التاريخ ومشاكله ..

.. الإبداع الفكري هو الاكتشاف المُبرهَن للحقائق غير المعروفة ، وبالتالي هو توجيه فكر الأُمّة نحو نقطةٍ مستقبليّةٍ على محور الزمن ، وخلق إمكانيّة ارتقاء الأُمّة إلى هذه النقطة ، بينما تحوّل فكر الأمّة إلى اجترار للماضي ، بحيث لا يُسمح بتجاوز السقف الفكريّ لمرحلة تاريخيّة محدّدة ، يُوقف الأمّة على محور الزمن لتتجاوزها الأُمم الأُخرى ..

.. لماذا نحن — الآن — آخر الأُمم على سلّم المدنيّة والحضارة الماديّة (وحتى بعض الجوانب السلوكيّة) ، في الوقت الذي يجب علينا أن نكون فيه أوّل الأُمم ، كوننا مكلّفين بإيصال رسالة الله تعالى إلى البشريّة جمعاء ؟!!.. هذه الحقيقة تدفع المُخلصين من أبناء هذه الأُمّة لإعادة النظر في الكثير من أعمدة منظوماتنا الفكريّة والثقافيّة ، لمعايرتها من جديد على كتاب الله تعالى ، بشكلٍ مجرّدٍ عن التاريخ ، بحيث يكون ناظم هذا المعيار هو القرآن الكريم ذاته ..

.. لو عدنا إلى أسباب تخلّفنا الحضاريّ وعدم نهوضنا بالحيثيّة التي ينبغي أن ننهض بها ، لرأينا أنّ هذه الأسباب تنقسم إلى أسبابٍ خارجيّة وأُخرى داخليّة .. وقوّة الأسباب الخارجيّة التي تتمحور حول تآمر أعداء الأُمّة عليها ، تُبنى من لبنات ضعفنا الداخلي ، ومن هشاشة عزيمتنا وإرادتنا ، ومن تخاذلنا في واجبنا تجاه أمّتنا ، أي تعود في النهاية إلى الأسباب الداخليّة ..

وهذه الأسباب الداخليّة تتوزّع بين قسمين :

[أ] – أسباب تعود إلى سلوكيّة تعامل أفراد الأمّة مع بعضهم ، ومـــع الآخـــرين ، وهذه الأسباب – إذا ما نُظر إليها من منظار التاريخ الطويل الذي عاشته الأمّـــة – هـــي نتيجة طبيعيّة لخلاصة ثقافة الأمّة وفِكرها الذي يسكن نفوس أبنائها منذ قرون طويلـــة .. أي تعود إلى المنظومة الفكريّة التي تحكم تصوّر أبناء الأمّة ..

[ب] – أسباب فكريّة محضة مباشرة تتعلّق بمفاهيم أبناء الأمّة وبثقافتهم ..

.. بالنتيجة .. فكر الأمّة هو أساس القوانين التاريخيّة الفاعلة في نهوضها إن كان سليماً ، وفي انحدارها إن كان هشّاً ومصطنعاً ..

.. لذلك .. سندرس بعض المسائل (في الفكر الموروث) بهدف إلقاء الضوء علـــى الأبعاد الفِكريّة التي تمّ تشويهها ، أو إلغاؤها ، أو إدخالها إلى الفكر الإسلامي تحت مفاهيم لا علاقة لها بمنهج الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد ، بل تناقض هذا المنـــهج بـــشكلٍ صريح ، لنرى بأمِّ أعيننا كيف تمّت عمليّة الانحراف في إدراك بعض المفاهيم التي تحملـــها بعض النصوص القرآنيّة ، بشكلٍ يماثل تحريف أهل الكتاب لبعض النصوص التي أُنزلـــت إليهم ، وكيف تمّ تجميد الكثير من الدلالات التي تحملها النـــصوص القرآنيّـــة للأجيـــال اللاحقة ، وكيف تمّت معايرة دلالات بعض آيات كتاب الله تعالى على مفاهيم تاريخيّـــة حُسبت من المنهج ، والمنهج منها براء ..

.. لقد تمّ الجحود بصفة القرآن الشموليّ الذي يحمل تبياناً لكلِّ شيء ، وتفصيلاً لكلِّ شيء ، والذي يحمل حلاً لكلِّ المسائل الطارئة حتى قيام الساعة ..

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام : ٣٨] = ١٤٢

﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] = ٣٨٨

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] = ٣٢٥

١٤٢ + ٣٨٨ + ٣٢٥ = **٨٥٥ = ١٩ × ٤٥**

﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام : ٣٨] = ١٤٢

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] = ٤٨٤

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] = ٥٧١

١٤٢ + ٤٨٤ + ٥٧١ = **١١٩٧ = ١٩ × ٦٣**

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٩] = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. كلُّ المهرّجين الجاحدين بهذه الحقيقة يصرخون بأعلى صوتهم : إنّ القرآن الكريم صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان ، ولكنّهم – في الوقت ذاته – يُقرّون بمسألة الناسخ والمنسوخ التي تؤدّي إلى إلغاء بعض أحكام كتاب الله تعالى ، وذهب الكثير منهم إلى أنّ الحديث يحمل إمكانيّة نسخ بعض أحكام القرآن الكريم ، ولا يريدون فهم دلالات النصوص القرآنيّة إلاّ من خلال أسباب النزول ، ومن خلال الموروث التاريخي في تفسير هذه النصوص .. وهذا يؤدّي – سواء علموا بذلك أم لم يعلموا – إلى الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه ، وإلى تجزئة دلالاته ..

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾ [البقرة : ٨٥] = ٧٠٩

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩١ – ٩٣] = ٣٣٦

٧٠٩ + ٣٣٦ = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٨٥] = ٢٣٩

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر : ٩١] = ١٤١

٢٣٩ + ١٤١ = **٣٨٠ = ١٩ × ٢٠**

إنّ الإيمان الحقيقيّ بكون القرآن الكريم تبياناً لكلِّ شيءٍ ، وتفصيلاً لكلِّ شيء ، يقتضي عدم إخضاع دلالاته للمفاهيم الخارجة على ظاهر ما تحمله نصوصه الكريمة ، فكيف تُلغي (تنسخ) رواية تاريخيّة منسوبة إلى الرسول ﷺ بعض أحكام كتاب الله تعالى كما يزعمون ؟!! .. إنّ رسول الله ﷺ لا يملك أيّ صلاحيّة لتبديل أيِّ حكمٍ من أحكام القرآن الكريم ، فكيف إذاً تُلغي رواية لا يعلم مصداقيّتها إلاّ الله تعالى حكماً قرآنيّاً صريحاً تحت ظلال مسألة الناسخ والمنسوخ ؟!!! ..

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٥ – ١٦] = ١٣٣٨

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٤ – ٥١] = ٩٦١

١٣٣٨ + ٩٦١ = **٢٢٩٩ = ١٩ × ١٢١**

.. وفي داخلِ هذهِ المسألةِ ، مسألةٌ كاملةٌ تختزلُ جوهرَ الموضوع ..

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾ [يونس : ١٥] = ١٧٠

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ – ٤٦] = ٣٦٢

٢٨ × ١٩ = ٥٣٢ = ٣٦٢ + ١٧٠

.. فكلُّ فِكرٍ جريءٍ مُبرهَنٍ من كتاب الله تعالى ، يهدف إلى إدراك المزيد من دلالات النصّ القرآني خارج إطار المألوف التاريخي ، يكون سبباً لأن تقوم الدنيا على رأس منتجه ولا تقعد ، وعلى الفور يُوضَع في صفِّ الخارجين على دلالات كتاب الله تعالى ، وكأنّ الأمّة فقدت معاييرها للتمييز بين الفِكر الجديد المُبرهَن من كتاب الله تعالى ، وبين التيه الهادف إلى الخروج على جوهر المنهج .. وكلٌّ ذلك سببه تحييد العقل والمنطق والبرهان في عرض الفكر وتقييمه ..

.. بكلّ بساطة يقف أحدهم ليقول لنا هذه رواية – في كتب الصحاح – منسوبة إلى الرسول ﷺ ، أو هذا نصٌّ تاريخيٌّ يبيّن أنّ الأوائل فعلوا كذا وكذا بناءً على إدراكهم لدلالات المسألة التي هي موضوع عملهم ، وبالتالي علينا أن نطلّق عقلنا ولا ننظر أبداً إلى حقيقة الأحكام التي أتتنا من خلال التاريخ ، هل هي موافقة لدلالات النصّ القرآني ، أم لا ، أي علينا أن نفرضها على دلالات القرآن الكريم ، وإن كان نقضها لدلالات القرآن الكريم واضحاً وضوح الشمس وسط النهار ، ويستحيل التلبيس لإنكار هذا التناقض ، فالجواب عندهم أنّ هذه الرواية تنسخ القرآن الكريم ، أو تكمله ، أو تخصّص مطلقه ، أو تطلق مخصّصه ..

.. وإذا قلنا له تعال لنفعل عكس ما تطلب منّا ، أي تعال لنعاير دلالات هذه الرواية على دلالات كتاب الله تعالى ، لنعرف هل هي صحيحة أم لا ، قبل أن نطلّق عقولنا ، وقبل أن نلوي دلالات كتاب الله تعالى لتمرَّ من أنفاق هذه الرواية ، فالجواب جاهزٌ ، وهو أنّنا نحارب سنّة الرسول ﷺ ، ونريد هدمها لنرضي أعداء الأمّة .. وقد بيّنت في

كتاب (محطّات في سبيل الحكمة) مئات الأمثلة على صحة ما أقول ، وكيف تُلوى دلالات الروايات بشكلٍ فاضحٍ بهدف عدم الاعتراف بعدم صحّة هذه الروايات ..

.. إنّ المشكلة تتجسّد في تقديم موروث الآباء الفِكري معياراً لإدراك دلالات كتاب الله تعالى .. فسواءٌ ما تمّ نسبه إلى الرسول ﷺ وتصحيحه في عصرٍ محدّدٍ ، وما فُسِّر من كتاب الله تعالى من قِبَل السابقين ، وما تمّ استنباطه حلاً لمسائل في العصور السابقة .. كلّ ذلك يتمّ تقديم الكثير منه نصوصاً مقدّسة تحجبنا عن رؤية الدلالات الحقّ في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] = ٤٧١

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] = ٥١٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١] = ٥٢٩

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ۝٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ – ٢٣] = ٧٤٣

٤٧١ + ٥١٨ + ٥٢٩ + ٧٤٣ = **٢٢٦١ = ١٩ × ١١٩**

.. فبدلاً من تفعيل العقل (المجرّد عن الأهواء والعصبيّات المذهبيّة والطائفيّة) في إدراك دلالات القرآن الكريم ، لفهمه ، ولغربلة ما بين أيدينا من روايات تاريخيّة ، لمعرفة الحقّ من الباطل فيها ، تمّ تقديم جميع الروايات التاريخيّة التي صُحِّحت في عصرٍ ما من العصور ، على أنّها تفصيلٌ لكلِّ شيءٍ ، وحلٌّ للمسائل الطارئة إلى قيام الساعة .. وبالتالي تمّ مدُّ التاريخ بقالب أُعطي صفةً منهجيّة تنوب – في الكثير من الأحكام – عن منهج الله تعالى ..

وعابدو أصنام التاريخ يفترون على كلّ باحثٍ عن الحقيقة يريد وضع روايات التاريخ في ميزان كتاب الله تعالى ، لتحرّي السنّة الحقّ ، خدمةً للسنّة الشريفة .. يفترون عليه بأنّه مُنكرٌ للسنّة الشريفة ، وكأنّه يقول : هذه الرواية هي بالفعل للرسول ﷺ ، ولا نريدها .. وكأنّه يقول : نحن لا نريد السنّة الشريفة ..... بهذا الافتراء يتوجّهون إلى الناس ، بهدف إبعادهم عن البراهين الجليّة التي تُثبت أنّه تمّ تلفيق الكثير من الروايات على الرسول ﷺ ، فيما يُسمّى بالصحاح وغير الصحاح ، عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء .. بهذا الافتراء يتوجّهون إلى الناس ، بهدف إبعادهم عن حقيقة ما يحمل كتاب الله تعالى من أحكامٍ تنقض بعض الروايات نقضاً تامّاً .. وقد بيّنت في كتبي الكثير من المسائل التي تمّ إدخالها إلى الفقه الإسلامي ، وكتاب الله تعالى منها براء ، وبيّنت الكثير من المسائل التي تمّ تغييبها ، مع أنّها واضحة في كتاب الله تعالى ..

.. وهكذا تمّ تلوّن الكثير من جوانب الفكر الذي حُسب إسلاميّاً بألوان تاريخيّة ، تدفع قلوب الكثيرين للاشمئزاز من العودة إلى القرآن الكريم وحده معياراً فكريّاً ، وللاستبشار بالعودة إلى ما هو دون ذلك ..

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥ – ٤٦] = **٣ × ١٩ × ١٩ = ١٠٨٣**

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٢ – ١٤] = **٥٢ × ١٩ = ٩٨٨**

.. لقد بيّنت – على سبيل المثال – في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) وفي كتاب المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، كيف تمّ تشويه أحكام العبيد وملك اليمين في

موروثاتنا الفقهيّة ، لتوافق أهواءً وعصبيّاتٍ ليست بريئة ، وكيف حُسب ذلك على الإسلام مع أنّ دلالات كتاب الله تعالى تبيّن نقيض ذلك ..

وبيّنت في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) وفي كتاب المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، كيف أنّ مسألة الناسخ والمنسوخ وهمٌ تمّ اختلاقه نتيجة عدم إدراك دلالات بعض النصوص القرآنيّة ، وأنّه يؤدّي – في النهاية – إلى الكفر ببعض ما يحمله القرآن الكريم من أحكام ..

.. هذا الحال في الإعراض عن بعض الأحكام التي يحملها القرآن الكريم ، تحت مفاهيم مختلفة ، أفرز سلوكاً ومنهجاً في العمل ، يلتزم بالقرآن الكريم عاطفةً وكلاماً ، ويبتعد عن بعض أحكامه تطبيقاً ، وقد بيّن الله تعالى ذلك بشكلٍ جليٍّ لكلِّ من يملك ذرّةً من عقلٍ أو منطق ..

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ [الرعد : ٣٦ – ٣٧] = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

.. لقد بيّنا في الفصل الثالث كيف أنّ العبارة القرآنيّة **﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾** تشمل أهل الكتاب والمسلمين ، وذلك حسب سياق النصّ القرآني المحيط .. وفي هذه المسألة الكاملة نرى أنّ المعني بالعبارة القرآنيّة **﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾** هم المسلمون قبل غيرهم ، فأهل الكتاب لا يفرحون بما أُنزِلَ على محمّد ﷺ ، وينكرون القرآن بمجمله وليس بعضه ، وقوله تعالى (في هذه المسألة الكاملة) .. **﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾** يبيّن لنا بشكلٍ جليٍّ أنّ المسألة تعني خلاص العبادة لله تعالى من خلال اعتبار القرآن الكريم معياراً لكلّ ما

بين أيدينا من موروثات ، ومن خلال الابتعاد عن الأهواء ، وبالتالي من خلال اتّباع العلم الذي يحمله كتابُ الله تعالى ..

.. وقولُه تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ يبيّن لنا أن بعض المذاهب ذهبت إلى الجحود ببعض دلالات كتاب الله تعالى ، من خلال الأسباب التي ذكرناها ، من معايرة دلالات كتاب الله تعالى على معيار الروايات التاريخيّة .. ولذلك نرى أنّ القيمة العدديّة لحروف هذه العبارة القرآنيّة تتوازن مع حروف عبارة قرآنيّة – داخل هذه المسألة الكاملة – تبيّن أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم حُكماً كاملاً تامّاً خالياً من أيِّ عيبٍ أو نقص (عَرَبِيّاً) ، وبالتالي فكلُّ معايرةٍ لدلالاته على أيِّ معيارٍ آخر ، هو إنكارٌ لبعض أحكامه ..

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ = **١٥٣**

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ ﴾ = **١٥٣**

.. والمسائل الكاملة التاليه تؤكّد حقيقة ما نذهب إليه ..

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ [الأنعام : ٦٦] = ٢٥٢

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] = ٤٧٢

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان : ٣٠] = ٢٦٤

٢٥٢ + ٤٧٢ + ٢٦٤ = **٩٨٨ = ١٩ × ٥٢**

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ = ١٤٤

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] = ١٧٩

١٤٤ + ١٧٩ = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [الأنعام : ٦٦] = ١٤٢

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ [الزخرف : ٤٤] = ١٠٥

١٤٢ + ١٠٥ = **٢٤٧ = ١٩ × ١٣**

فالله تعالى يقول ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ** ﴾ ولم يقل (وكذّبه قومُك) أو (وكذّبه بعضُ قومك) ، فالتكذيب ليس بكليّة القرآن الكريم ، وإنّما ببعضه ، والذين كذّبوا ببعض هذه الأحكام هم كلُّ القوم وليس بعضهم .. هذا ما يُدركُهُ كلُّ عاقلٍ يريد فهم الحقيقة من قوله تعالى ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ** ﴾ ، ومن قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا** ﴾ .. أمّا القول بأنّ هذه الآيات الكريمة تعني بعض أفراد الجيل الأوّل ، فتردّه صياغة هذه الآيات ردّاً كاملاً ..

.. وفي الآيات الكريمة التالية مسألةٌ كاملةٌ في خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ ، يبيّن الله تعالى فيه أنّ طاعة أكثر من في الأرض تؤدّي إلى الإضلال عن سبيل الله تعالى ، وأنّ أكثر أهل الأرض يتّبعون الظن ..

﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾ [الأنعام : ١١٤ – ١١٧] = **١٣٦٨ = ١٩ × ٧٢**

.. فبراهينُ الله تعالى ودلالاتُه لا يجحد بها إلاّ الكافرون ..

﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٧] = **٤٩٤**

= ١٩ × ٢٦

وهذا الانحراف في الإعراض عن تطبيق بعض دلالات منهج الله تعالى ، على الرغم من وجود المنهج بين أيدي المعرضين ، وتظاهر المُعرِضين بأنّهم يطبّقون منهج الله تعالى على أتمّ وجه .. هذا الانحراف في تطبيق بعضهم لمنهج الرسالة الخاتمة ، تصفه في القرآن الكريم كلمةُ ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ ..

.. لقد رأينا في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) أنّ مشتقّات الجذر (ع ، ر ، ب) تعني الكمال والتمام والخلوّ من العيب والنقص ، وأنّ تفرّعات هذا الجذر ترد في القرآن الكريم لتصف كتابَ الله تعالى (القرآن الكريم) ، والحكمَ الذي يحمله ، وأسلوبَ البيان (اللسان) فيه ، والأزواج في الآخرة ، ولم ترد (لو مرّة واحدة) لتصف البشر ..

ورأينا أنّ كلمة ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ تعود إلى الفعل المتعدّي (أعرب) ، حيث تنقل همزة التعدي بيان صفة الموصوفين بهذه الصفة إلى النقيض ، كما أنّ همزة التعدّي في الفعل (أقسط) الذي اُشتقّت منه كلمة (المقسطين) ، نقلت المسألة إلى النقيض حينما دخلت على الفعل (قسط) الذي اُشتقّت منه كلمة (القاسطين) .. فالقاسطون الذين جعلهم الله تعالى لجهنّم حطباً ﴿ **وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا** ﴾ [الجن : ١٥] هم نقيض المقسطين ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ** ﴾ [المائدة : ٤٢]

وكنّا قد بيّنا أنّ كلمة الأعراب في القرآن الكريم لا يمكن أن تعني سكّان البادية ، كما ذهبت معظم قواميسنا اللغويّة وتفاسيرنا ، فالله تعالى لا يمكن أن يصف بشراً بأنّهم أشدُّ كفراً ونفاقاً لمجرّد انتمائهم الإقليمي أو القومي ، فهذه صفةٌ في العقيدة والسلوك ..

ولو كانت كلمةُ الأعرابِ لا تعني إلاّ البدوَ ، لاستُبدِلَتْ في كتابِ اللهِ تعالى بكلمة البدو ، فكلمةُ البدوِ كلمةٌ قرآنيَّةٌ .. يقولُ تعالى واصفاً قولَ يوسفَ عليه السلام ﴿ **وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ** ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، ففي القرآنِ الكريم لا تُوجَدُ كلمةٌ قرآنيّةٌ مرادفةٌ لأخرى بالمعنى الذي يتصوَّرَهُ بعضُ البشر ..

لذلك يصف الله تعالى الأعراب بأنّهم أشدُّ كفراً ونفاقاً ، لأنّهم مطّلعون على منهج الرسالة الخاتمة ، أكثر من غيرهم من البشر ، وبالتالي فالعلم بحقيقة الأمر مع الإعراض عنه ، والتحايل على أحكامه ، يجعل من الذين يفعلون ذلك أشدّ كفراً ونفاقاً ..

فالأعرابُ أشدُّ كفراً ونفاقاً لأنّهم يتعاملون مع ظاهر الأحكام دون الإيمان الحقيقيّ بها ، ودون أن يقفوا على حقيقة ما أنزل الله تعالى ، ويتحايلون على أحكام منهجه ..

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] = ٤٥٧

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤] = ٦٦٤

٥٩ × ١٩ = ١١٢١ = ٦٦٤ + ٤٥٧

﴿ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

فالأعرابُ يتخلّفون عن واجبهم تجاه منهج الله تعالى ..

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٠] = ٥٣١

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] = ٤٥٧

٥٢ × ١٩ = ٩٨٨ = ٤٥٧ + ٥٣١

.. وكما رأينا أنّ النصارى أفضلُ حالاً من اليهود ، فإنّنا نرى أنّ الأعرابَ أفضلُ حالاً (كعقيدة) من النصارى ، وبالتأكيد من اليهود ، ولكنّ ذلك لا ينفي عنهم صفة التحايل على دلالات كتاب الله تعالى .. فكون بعض الأعراب يؤمن بالله تعالى ورسوله ﷺ ، ويتّخذ ما يُنفق قرباتٍ عند الله تعالى ، وصلواتِ الرسول ﷺ ، وذلك انصياعاً لبعض

جوانب المنهج ، لا ينفي الصفة العامّة التي يتّصف بها عموم الأعراب ، وهو أنّ الإيمان لّما يدخل في قلوبهم ، على الرغم من خضوعهم الظاهري ..

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٨ – ٩٩] = ١٢١٧

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤] = ٦٦٤

١٢١٧ + ٦٦٤ = **١٨٨١ = ١٩ × ٩٩**

.. وهكذا فالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ التي تصف عموم ما تعنيه كلمة الأعراب ، تحوي على ثلاثة عناصر متلازمة ، هي : ﴿ ٱلْأَعْرَاب ﴾ ، ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ ، ﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ .. وكما رأينا في الفصل الثالث أنّ الكفر يساوي النفاق ، نرى أنّ الأعراب مسألة تتساوى مع كلٍّ من هاتين المسألتين ..

﴿ ٱلْأَعْرَاب ﴾ = **٣٤** ،، ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ = **٣٤** ،، ﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾ = **٣٤**

﴿ ٱلْأَعْرَاب ﴾ = ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ = ﴿ ٱلنِّفَاقِ ﴾

.. فكما أنّ رسالة ﴿ مُوسَىٰ ﴾ عليه السلام تمّ التحريف فيها قمّته فيما تصفه كلمة ﴿ ٱلْيَهُودُ ﴾ ، ورسالة ﴿ عِيسَى ﴾ عليه السلام تمّ التحريف فيها قمّته فيما تصفه كلمة ﴿

ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ ، كما رأينا في الفصل الثالث ، حيث الأسماء : ﴿ **مُوسَىٰٓ** ﴾ ، ﴿ **ٱلۡيَهُودُ** ﴾ ، ﴿ **عِيسَى** ﴾ ، ﴿ **ٱلنَّصَـٰرَىٰ** ﴾ ، مسألة كاملة ...

في رسالة ﴿ **مُوسَىٰٓ** ﴾ أدى التحريف إلى ⟵ صفة ﴿ **ٱلۡيَهُودُ** ﴾

في رسالة ﴿ **عِيسَى** ﴾ أدّى التحريف إلى ⟵ صفة ﴿ **ٱلنَّصَـٰرَىٰ** ﴾

﴿ **مُوسَىٰٓ** ﴾ + ﴿ **ٱلۡيَهُودُ** ﴾ + ﴿ **عِيسَى** ﴾ + ﴿ **ٱلنَّصَـٰرَىٰ** ﴾ = ٢٥ + ٣٧ + ٣٤ + ٣٧ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

... كذلك فإنّ التحايل على الأحكام في الرسالة الخاتمة التي أنزِلت على الرســول ﴿ **مُّحَمَّدٌ** ﴾ ﷺ ، أدّى للوصول إلى ما تصفه كلمة ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ ..

في رسالة ﴿ **مُّحَمَّدٌ** ﴾ أدى التحايل فيها إلى ⟵ صفة ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾

﴿ **مُّحَمَّدٌ** ﴾ + ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ = ٤٢ + ٣٤ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. ولو أضفنا القيمة العدديّة لكلمة ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ إلى مجموع القيم العدديّة لسورة (الكافرون) لحصلنا على قيمة عدديّة تساوي تسعة عشر ضعفاً القيمة العدديّة لكلمــة ﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ ..

﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ = ٣٤

﴿ **قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون : ١ – ٦] = ٦١٢

٣٤ + ٦١٢ = **٦٤٦ = ١٩ × ٣٤**

﴿ **ٱلۡأَعۡرَاب** ﴾ = ٣٤

.. وهكذا نرى أنّ ما تعنيه كلمة ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ بإطارها العام في الرسالة الخاتمة ، يوازي ما تعنيه كلمة ﴿ ٱلۡيَهُودُ ﴾ في رسالة موسى عليه السلام ، وما تعنيه كلمة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ في رسالة عيسى عليه السلام .. ولكنّ الفارق أنّه في الرسالات السابقة تمّ التحريف في النصوص ، بينما في الرسالة الخاتمة تمّ التحايل على دلالات بعض النصوص القرآنيّة ، وتمّ إدخال التاريخ ، والكثير من الروايات كنصوصٍ توازي النصّ القرآني ، فتحريف النصِّ أمرٌ غيرُ ممكنٍ في الرسالة الخاتمة لأنّ الله تعالى تكفّل بحفظ هذا النص ..

.. كلامنا هذا يُنكره الكثيرون من المسلمين ، لأنّهم لم يتجرّدوا حينما يقرؤون بعض الروايات التي تمّ تلفيقها ونسبها إلى الرسول ﷺ ، والتي توازي تماماً ما لفّقه أهل الكتاب على رسلهم ، ولأنّهم يقرؤون القرآن الكريم من منظار التاريخ ورواياته ..

.. لقد رأينا في الفصل السابق أنّ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ مسألة كاملة ، تبيّن لنا الذين يفترون على الله تعالى فيعرضون عنه حينما يُدعَون إليه ليحكم بينهم ، وبالتالي يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويستحقّون لعنة الله تعالى عليهم ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٤] = ٨٩٢

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء : ٤٤] = ٣٨٤

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٥١] = ٥٤٨

٨٩٢ + ٣٨٤ + ٥٤٨ = **١٨٢٤ = ١٩ × ٩٦**

.. هؤلاء .. من جملة ما افتروه على الله تعالى أنّهم قالوا لن تمسّنا النار إلاّ أيّاماً معدودات ، أي أنّهم سيخرجون من النار بعد أن يدخلوا إليها ، وهذا ما دفعهم لكي يُعرضوا عن منهج الله تعالى إذا دُعوا إليه ليحكم بينهم .. هذا ما نراه في مسألة الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب ، في المسألة الكاملة السابقة .. وهذا ما نراه في المسألة الكاملة التالية ..

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ – ٨٢] = ١٢٩١

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٥] = **٩٥١**

١١٨ × ١٩ = ٢٢٤٢ = ٩٥١+١٢٩١

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ = **١٧ × ١٩ = ٣٢٣**

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ = ١٣١

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ = ١٣٥

١٤ × ١٩ = ٢٦٦ = ١٣٥ + ١٣١

.. فالزعم بأنّ بعض الداخلين إلى النار سيخرجون منها ، هو خروجٌ – كما يؤكّد الله تعالى في كتابه الكريم – على أحكام الله تعالى التي أنزلها للبشر ، وهذا الزعم يخلق في نفوس المؤمنين به تواكلاً واستخفافاً بأحكام كتاب الله تعالى ، يجعلهم يُعرضون عنه إذا ما

دُعوا إليه ليحكم بينهم .. **﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾** [آل عمران : ٢٣ – ٢٥] ..

.. وقد بيّنتُ هذه المسألة بشكلٍ مفصّل في كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ، ومررت بجميع الآيات الكريمة المتعلّقة بهذه المسألة ، ولا مجال – هنا – لتكرار ما تمّ بحثه في ذلك الكتاب .. ولكن .. لننظر إلى تساوي القيم العدديّة بين العبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾** [الحجر : ٤٨] ، التي يصف الله تعالى فيها عدم خروج أهل الجنّة من الجنّة ، وبين العبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾** [الانفطار : ١٦] التي يصف الله تعالى فيها عدمَ غيابِ أهل النار عنها ....

﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] = **١٠٥**

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٦] = **١٠٥**

ولنسأل أنفسنا السؤال التالي : كم رواية عندنا – في كتب الصحاح – ننسبها إلى الرسول ﷺ بأنّنا لن تمسّنا النار إلاّ أياماً معدودة ، فقط لأنّنا موحّدون ونقول : (لا إله إلاّ الله) وخصوصاً عند موتنا ؟!!!! .. فمتّبع منهج الرسول محمد ﷺ لا يخلد في النار (حسب ما يُفترى على لسان الرسول ﷺ) مهما عمل ، وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر على رغم أنف أبي ذر !!!!!... وكأنّ المسألة مجرّد قولٍ لا قيمة للعمل فيه ..

فقد ورد في صحيح البخاري الحديث التالي رقم : (٥٣٧٩) حسب ترقيم العالميّة :

[[حَدَّثَنَا ..... أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ .....]]

إنّه القول ذاته الذي قاله محرّفو الرسالات السابقة ، وكلّ ذلك تحت شعار (السنّة الشريفة) ، فإذا تكلّم أحدٌ وقال : أيها الناس إن ما تنسبونه إلى الرسول ﷺ في رواياتكم هذه لا يمكن أن ينطق به الرسول ﷺ ، لأنّه ﷺ لا يخالف صريح القرآن الكريم ، ولأنّ ما تقولونه هو عين ما قاله الذين حرّفوا الرسالات السابقة .. حين ذلك يُتّهم القائل بمخالفة السنّة الشريفة ، وبالكفر والزندقة والخروج على منهج الله تعالى ..

وقد بيّنت في كتاب (قصّة الوجود) كيف أنّ الداخلين إلى النار – من أيِّ دينٍ كانوا – لن يخرجوا منها ، وذلك من خلال برهانٍ يشمل كليّة ما يحمله القرآن الكريم من معانٍ ودلالات .. وبيّنت أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ **إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ في قولهِ تعالى .. ﴿ **قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام : ١٢٨] ، والعبارة القرآنيّة ﴿ **إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ** ﴾ في قوله تعالى ، ﴿ **خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ** ﴾ ، (في الآيتين : ١٠٧ – ١٠٨ من سورة هود) ، لا تعنيان استثناءً من زمن الخلود في النار ، أو استثناءً لبعض الداخلين إلى النار ، إنّما تعنيان خلوداً لا يكون إلاّ بمشيئة الله تعالى ، وذلك تطابقاً مع ما يحمله كتابُ الله تعالى من دلالاتٍ ومعانٍ متكاملة يفسّر بعضُها بعضاً ..

.. هذه الحقيقة نراها في المسألة الكاملة التالية ..

﴿ **قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام : ١٢٨] = ٢٩٧

﴿ **ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى**

مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود : ١٠٣ – ١٠٩] = ٢٣٠٦

٢٩٧+٢٣٠٦ = **٢٦٠٣ = ١٩ × ١٣٧**

﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

فلو كانت العبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ بالنسبة للداخلين إلى النـــار تعـــني استثناءً من زمن الخلود فيها ، لاقتضى ذلك أن تكون هذه العبارة ذاتها (حيث ترد كمـــا نرى بالنسبة للداخلين إلى الجنّة) ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ ﴾ تعني استثناءً من زمن الخلـــود في الجنّة ، وهذا مستحيل .. فما تعنيه بالنسبة للخالدين في النار ، يتكامل مع ما تعنيه بالنسبة للخالدين في الجنّة ، ولذلك نرى أنّ معجزة إحدى الكُبَر تصدّق هذا التكامل ..

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] = ٣٥٠

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] = ٣٩١

٣٥٠ + ٣٩١ = **٧٤١ = ١٩ × ٣٩**

والعبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ في سورة الأنعام تتكامل أيضاً مع العبارتين **[** ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ ﴾ **]** في سورة هود ، في مسألة واحدة تبيّن أنّ هؤلاء يسيرون على منهج آبائهم لا على منهج الله تعالى ..

﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] = ٢٠٤

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [هود : ١٠٧] = ٢٤٨

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ ﴾ [هود : ١٠٨] = ٢٤٨

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ ﴾ [هود : ١٠٩] = ٣٢٦

٥٤ × ١٩ = ١٠٢٦ = ٣٢٦ + ٢٤٨ + ٢٤٨ + ٢٠٤

.. ولننظر إلى المسائل التالية – التي شرحنا تكاملها وغيرها الكثير في كتاب المعجـــزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) – كيف أنّها تُؤكّدُ حقيقةَ ما نذهب إليه ..

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] = ٣٥٠

﴿ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩] = **١٧ × ١٩ = ٣٢٣**

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧٢] = ٣٣٠

﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر : ٧٦] = ٣٠٨

٦٩ × ١٩ = ١٣١١ = ٣٠٨ + ٣٣٠ + ٣٢٣ + ٣٥٠

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [هود : ١٠٧] = ٢٤٨

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] = ٣١٥

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢] = ٣٦٨

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠] = **٢٤ × ١٩ = ٤٥٦**

٢٤٨ + ٣١٥ + ٣٦٨ + ٤٥٦ = **١٣٨٧ = ١٩ × ٧٣**

﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر : ١٩] = ١١٥

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] = ٣١٥

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢] = ٣٦٨

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠] = **٤٥٦**

١١٥ + ٣١٥ + ٣٦٨ + **٤٥٦ = ١٢٥٤= ١٩ × ٦٦**

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢] = ٣٦٨

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠] = **٤٥٦**

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾ [النبأ : ٢٣] = ١١٦

﴿ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٦] = ١٠٥

٣٦٨ + ٤٥٦ + ١١٦ + ١٠٥ = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

.. وهكذا نرى كيف تمّت مشابهة ما قاله أهل الكتاب في مسألة الخروج من النار ، ركضاً وراء العصبيّات التي لا تكون إلاّ على حساب الحقّ الذي يريده الله تعالى ، ونرى سبباً هامّاً من أسباب تخلفنا سلوكيّاً في العمل ، ومن أسباب تواكلنا ، فالله تعالى الذي يقول ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٤] ..

هو جلّ وعلا أصدق ممّا لُفّق ونسب – افتراءً – إلى الرسول ﷺ ، وأصدق من عصبيّاتنا وأكاذيبنا ، وإنّ الخروج على دلالات هذه النصوص القرآنيّة لموافقة رواية أو قول أو مذهب هو عين ما تعنيه كلمة الكفر ، أو النفاق ، وبالتالي هو الدخول في ما تصفه كلمة **﴿ ٱلْأَعْرَابِ ﴾** ..

بعد عرض هذه المسالة ، ربّما نُدرك أكثر من قبل معنى دعاء الرسول ﷺ ..

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ = ٢٠٩ = ١٩ × ١١

.. ولنأخذ مسألةً أُخرى ، لنرى كيف أنّ الرواية التاريخيّة – أحياناً – تُوجِّه فهمنا للنصِّ القرآني ، باتّجاهٍ مختلفٍ ، وربما مناقضٍ لحقيقة المعنى والدلالات التي يحملها النصُّ القرآني ..

.. رُوي أنّ النبيَّ ﷺ أتى بالأسرى ، فاستشار أبا بكرٍ فيهم فقال : قومك وأهُلك ، استبقهم لعلّ الله تعالى يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوّي بها أصحابك ، فقام عمر وقال : كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم ، فإنّ هؤلاء أئمة الكفر وإنّ الله تعالى أغناك عن الفداء .... فلمّا أخذوا الفداء نزل قول الله تعالى **﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** [الأنفال : ٦٧] ، فدخل عمر على الرسول ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد تباكيت ، فقال : أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، ولو نزل عذابٌ من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ ..

.. بناء على هذه الرواية ذهب مفسّروا القرآن الكريم إلى أنّ كلمة **﴿ حَتَّىٰ ﴾** في العبارة **﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾** في هذه الآية الكريمة ، هي لانتهاء الغاية .. أي فسّروا العبارة القرآنيّة **﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾** أنّ الرسول ﷺ لا يحقّ له أخذ الأسرى إلاّ بعد أن يُثخن في الأرض ، أي بعد أن يُبالغ في

قتل أعدائه وقهرهم والإغلاظ عليهم .. هكذا ذهب المفسّرون — بالنسبة لهذه الآية الكريمة — نتيجة هذه الرواية التاريخيّة ..

.. حتى نقف على حقيقة ما تعنيه كلمة حتى في الصورة القرآنيّة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ، هل هي لانتهاء الغاية كما قالوا ، أي لا يحقّ لنبيٍّ أن يأخذ الأسرى إلاّ بعد الإمعان في القتل والقهر والمبالغة في ذلك .. أم هي بمعنى (كي) ، أي لا يحقّ لنبيٍّ أخذ الأسرى كي يثخن في الأرض ، أي من أجل التمكن في الأرض واشتداد القوّة فيها .. حتى نقف على الحقيقة بين هذين الاحتمالين ، لا بدّ من العودة إلى القرآن الكريم ، الذي أنزله الله تعالى تبياناً لكلِّ شيء ، والذي يحوي تفصيل كلّ شيء ، فمن الطبيعي أن تكون هذه المسألة من جملة الأشياء المعنيّة ..

الآية الكريمة التالية صريحة وواضحة في تبيان هذه المسألة ، وتبيّن لنا مسألة كاملة ، تعدّ أساساً ومنظاراً لكلِّ الأحكام المتعلّقة بهذه المسألة ..

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٤]

= **٦٥ × ١٩ = ١٢٣٥**

.. في هذه المسألة الكاملة يبيّن الله تعالى لنا أنّ التعامل مع الأسير له طريقان لا ثالث لهما :

(أ) – **﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ ﴾** ..

(ب) – **﴿ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾** ..

وعظمة الصياغة القرآنيّة تبيّن لنا في هذه الآية الكريمة التي تصوّر مسألةً كاملة ، ثلاث مسائل كاملة ، كلٌّ منها يُلقي الضوء على جانبٍ من جوانب هذه المسألة :

(**١**) – المسألة الكاملة الأُولى هي في تبيان المعركة حتى مرحلة ما بعد مسك الأسير

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ =

٤٥٦ = ١٩ × ٢٤

(**٢**) **–** المسألة الكاملة الثانية هي في تبيان مرحلة التعامل مع الأسير ، وهي ذاتها المرحلة التي تحملها الآية الكريمة التي ندرسها ..

﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ = **٥٧٠ = ١٩ × ٣٠**

(**٣**) **–** المسألة الكاملة الثالثة هي في تبيان حقيقة الذين قُتلوا في سبيل الله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

.. ولو أخذنا من المسألة الكاملة الثانية العبارة القرآنيّة **﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾** لرأيناها تعني أنّ الله تعالى لو شاء لأهلك الكافرين (أسرى وغير أسرى) ، ولكنّها مسألة ابتلاء من الله تعالى للمؤمنين والكافرين على حدٍّ سواء .. ويكون ابتلاء المؤمنين من خلال تطبيق منهج الله تعالى .. ومنهج الله تعالى في هذه المسألة ، وفي هذه الآية هو : **﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾** ، فهذه العبارة القرآنيّة تبيّن الجانب الآخر المكمّل للمسألة التي نحن بصدد دراستها ..

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧ – ٦٩] = ١١٧٩

﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ = ٣٠٣

١١٧٩ + ٣٠٣ = **١٤٨٢ = ١٩ × ٧٨**

والآيتان التاليتان مباشرة للآيات الداخلة (من سورة الأنفال) في المسألة الكاملة السابقة ، هما مسألة كاملة تبيّن لنا توجيه الله تعالى لنبيّه ﷺ في تفاعله مع الأسرى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٠ – ٧١] =

٥١ × ١٩ = ٩٦٩

فلو كان المُراد من الآية التي ندرسها ، ما تقول به الرواية لتناقضت مع مجمل القرآن الكريم .. ففي هذه المسألة الأخيرة ، ما الفائدة من مخاطبة الأسرى إن كان قتلهم حُكماً قرآنيّاً ؟!!!! .. وكيف تتمُّ تجزئة دلالات الآيات الكريمة المصوّرة لمسألة واحدة في كتاب الله تعالى ، لتحميل كلّ آية معاني تُناقض ما تحمله الآيات الأُخرى .. كلُّ ذلك من أجل موافقة بعض الروايات التي بين أيدينا ..

.. ومسألة الاعتداء على العدو بالمثل بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم ، مبيّناً لنا أنّ القصاص بالمثل مسألة فرديّة وليست جماعيّة ، فليس من المعقول أنّه إذا قتل أحدٌ أخ أحدنا أن نقتل أخاه ، وليس من المعقول أنّه إذا زنى أحدٌ بعرض الآخر أن يقوم الآخر بعملية الزنا في عرض الفاعل ، وقد بيّنا في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) هذه الحقيقة ..

.. لذلك نرى في الصورة القرآنيّة التالية كيف أنّ الله تعالى يخاطبنا بصيغة الجماعة كمقتصّين من المعتدي ، ويصف المعتدي بصيغة المفرد ، ليبيّن لنا هذه الحقيقة ، ونرى أنّ هذه الصورة القرآنيّة تتكامل مع الآية التي ندرسها ، في مسألة تصدّق تكاملَها معجزةُ إحدى الكُبَر ..

﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] = ٤٥٣

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال : ٦٧] = ٥٧٣

٥٤ × ١٩ = ١٠٢٦ = ٥٧٣ + ٤٥٣

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ في الآية التي ندرسها بيانٌ أنّ المشكلة ليست في أخذ الأسرى ، وليست في عدمِ قتلِهِم ، إنّما المشكلة في كون أخذ هؤلاء الأسرى من أجل الإثخان في الأرض .. فهل إرادة الله تعالى في الآخرة ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ تتحقّق بقتل الأسرى وخروجهم من الدنيا كافرين ، أم في هدايتهم ودعوتهم ، كما رأينا في المسألة الكاملة المكوَّنة من الآيتين (٧٠ – ٧١) من سورة الأنفال ؟!!! ..

وفي العبارة القرآنيّة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، نرى أنّ الله تعالى يقول ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فساحة الإثخان هي الأرض ، ولم يقل حتى يثخن في القتل ، أو في الكافرين ، أو أيّ صياغة أُخرى .. ولذلك نرى أنّ ما ذهبوا إليه – موافقةً للرواية التاريخيّة – في تفسير هذه الآية الكريمة ، لا يحمله القرآن الكريم لا من قريب ولا من بعيد ، لا بكليّته ، ولا بعباراته الجزئيّة الخاصّة بهذه المسألة ..

ولنأخذ مسألةً أُخرى ، لنرى كيف أثّرت الروايات التاريخيّة في تهميش إدراكنا لدلالات الكثير من النصوص القرآنيّة ، حتى أصبحت جداراً يحول بين عقول أبناء الأُمّة في تدبّرها لكتاب الله تعالى ، وبين رؤية الأحكام التي يحملها كتابُ الله تعالى ..

.. لقد تمّ التفاعل مع تطبيق حدود الزنا في كتاب الله تعالى ، من خلال ضبابيّة اشتركت في خلقها مجموعةٌ من المفاهيم المغلوطة ، كمسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة ، وكمسألة تقديم بعض الروايات تفسيراً أخيراً لبعض آيات كتاب الله تعالى ..

.. زعموا أنّ الآية الكريمة التالية منسوخة ، بعد أن وضعوا دلالاتها في إطار الزنا حصراً ..

﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٥]

قالوا هذه الآية كانت تحمل حدّ الزنا ، ثمّ نسخها اللهُ تعالى بالآية التي تليها مباشرة ، ثمّ نسخ اللهُ تعالى الآية التي تليها بالجلد لغير المحصن ، وبالرجم للمحصن .. باختصارٍ

شديد هذه الآية – حسب ما يؤدّي إليه زعمُهم – فاقدة الصلاحيّة ، ولا فائدة منها الآن إلاّ للتلاوة والتبريك وللتفنّن بتطبيق أحكام التجويد عليها ..

وقد بيّنت في النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) أنّ هذه الآية ليست منسوخةً كما زعموا ، وأنّ الفاحشة فيها تعني ما دون الزنا ، وأنّها لا تحمل حكماً لحدّ الفاحشة ، إنّما تحمل توجيهاً من الله تعالى للمؤمنين بحدّ حركة اللاتي يأتين الفاحشة في المجتمع حتى لا تشيعَ الفاحشة ، وبالتالي تحمل مسألة كاملة في هذا الخصوص ، ورأينا في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، وفي كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) كيف يكوِّن مجموع القيم العدديّة لحروفها مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٥] = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

ورأينا أنّ الآية الكريمة التي تليها مباشرة ، والتي زعموا نسخها ، ليست منسوخة ، إنّما تحمل حكم الإتيان بهذه الفاحشة (التي هي دون الزنا) .. ورأينا أنّه في القرآن الكريم تُوجد عبارة أُخرى تتكامل مع هذه الآية الكريمة في حمل حكم إتيان هذه الفاحشة (التي هي دون الزنا) .. وعظمة الإعجاز الإلهي تبيّن لنا أن مجموع القيم العدديّة لهاتين الصورتين القرآنيّتين يساوي تماماً مجموع القيم العدديّة للآية الكريمة التي تحمل حكم حدّ حركة اللاتي يأتين الفاحشة في المجتمع ..

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٦] = ٤٠٥

﴿ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾ [النساء : ٢٥] = ٣١٧

٤٠٥ + ٣١٧ = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

وفي الصورة القرآنيّة ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ دليلٌ على صحّة ما نذهب إليه .. فلو كانت الفاحشة المعنيّة هنا الزنا كما ذهبوا ، ولو كان حدُّ الزنا للمحصن والمحصنة هو الرجم حتى الموت كما لُبِّس في روايات موضوعة نُسبت ظلماً إلى الرسول ﷺ ، لو كان ذلك ، لكان عقوبة المعنيّات في هذه الصورة القرآنيّة :

(أ) – إمّا نصف (الرجم حتى الموت) ، فالمعنيّات بهذه العقوبة محصنات (إحصان زواج) .. ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النساء : ٢٥] ، وهذا لا يقبله عقلٌ ولا منطق ، لأنّ الموتَ لا يُنصّف ..

(ب) – أو نصف الجلد ، أي خمسين جلدة ، وفي هذه الحالة يكون حكم الله تعالى في هذه المسألة قد جُزِّئ بين أصحاب الدين الواحد ، وهذا ما لا نعهده في أحكام كتاب الله تعالى ، ولتنافى ذلك مع قوله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] ، الذي يحمل حكماً عامّاً لأيّ زانٍ أو زانية دون استثناء ..

وقد بيّنا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) ، وفي كتاب المعجزة الكبرى ، كيف أنّ هذا الحكم يخصّ الكتابيّات المؤمنات اللاتي يرتبطن بعقد نكاحٍ مع المسلمين ، حيث العقوبة في هذه الحالة (التي هي دون الزنا كما بيّنا) نصف عقوبة المسلمات ..

وممّا يؤكّد أنّ عقوبة الفاحشة المعنيّة هنا (التي هي دون الزنا) هي نصف عقوبة المسلمات ، هو أنّ الله تعالى خاطبنا في كتابه الكريم في الآية (١٥) والآية (١٦) من سورة النساء ، بتخصيص نسائنا نحن المتّبعين لمنهجه (المسلمين) .. ﴿ وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ .. بينما في العبارة الخاصّة بالكتابيّات المرتبطات بعقد نكاحٍ شرعيٍّ مع المسلمين (كما برهنا في النظريّة الرابعة) لا نجد هذا التخصيص ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ، فالتعريف أتى لكلمة ﴿ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ﴾ ، وهنّ هنا المسلمات اللاتي يأتين هذه الفاحشة ..

.. وهكذا نرى كيف أنّ فرض بعض الموروثات الفكريّة على دلالات كتاب الله تعالى ، يُبعد الأمّة عن حقيقة أحكام كتاب الله تعالى .. فتحت ظلال مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة ، تمّ إلغاء الأحكام التي تحملها هذه الآيات الكريمة ، بالنسبة للفاحشة (التي هي دون الزنا) ..

.. وبيّن القرآن الكريم حدّ الزانية والزاني ، وهي مرحلة من المعصية تُعدّ أكثر إثماً ومعصيةً من المرحلة السابقة (الفاحشة التي هي دون الزنا) ، وهذه المرحلة عقوبتها الجلد ، حيث يبيّن الله تعالى ذلك من خلال مسألةٍ كاملةٍ في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١ – ٥] = **٢٥٤٦ = ١٩ × ١٣٤**

.. والآيات الكريمة التالية مباشرة لهذه المسألة الكاملة ، تبيّن لنا مسألةً كاملة في رمي الأزواج لبعضهم بعضاً ، ومسألة الإفك ، وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ

لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٦ – ٢٠] = **٢٩٢ × ١٩ = ٥٥٤٨**

وما نراه في هذه المسألة أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ **وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ ، فكلمة ﴿ **ٱلْعَذَابَ** ﴾ بهذه الصياغة تنفي مسألة الرجم حتى الموت من أساسها ، فالمرأة المعنيّة في هذه الصورة القرآنيّة هي امرأة متزوّجة بمعنى أنّها محصنة ، والله تعالى لم يقل ويدرأ عنها الموت أو الرجم ، أو حتى الجزاء ككلمة مفتوحة تشمل كلَّ الحالات ، إنّما يقول جلَّ وعلا : ﴿ **وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ** ﴾ ، فالجزاء المترتّب عليها – في حال ثبوت ما تُرمى به – هو العذاب ، وليس الموت أو الرجم حتى الموت ..

.. ونرى في البيان الإلهي لعقوبة هذه المرحلة من الزنا : ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ أنّ الجلد لا يحتاج للشهداء الأربعة ، كما هو الحال في إثبات إتيان الفاحشة (التي هي دون الزنا) كما رأينا في المرحلة الأُولى ، ولإثبات رمي الزوج لزوجته ، ولإثبات مسألة الإفك ..... فالآية الكريمة التي زعموا نسخها ﴿ **وَٱلَّٰتِى**

يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ [النساء : ١٥] ، جعلوها دليلاً للإتيان بالشهود الأربعة في مسألة الزنا الذي عقوبته الجلد !!! ..

.. ومسألة الرجم حدَثَ فيها خلطٌ كبير نتيجة أخذ الروايات دون التدقيق بصحّتِها ، وبتحديدِ فترةِ تطبيقِ حكمِ الرسولِ ﷺ للرجم بالنسبة لنزول الآيات التي رأيناها في سورة النور .. لننظر إلى الحديثين التاليين في صحيحي بخاري ومسلم كيف يؤكّدان عدم التدقيق بالنسبة لكون الرجم قبل نزول حكم الجلد أم بعده ..

صحيح البخاري : حديث رقم (٦٣٣٥) حسب ترقيم العالميّة ..

[حَدَّثَنَا .... سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى عَنْ الرَّجْمِ فَقَالَ رَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَقَبْلَ النُّورِ أَمْ بَعْدَهُ قَالَ لَا أَدْرِي ....]

صحيح مسلم : حديث رقم (٣٢١٤) حسب ترقيم العالميّة ..

[و حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ قَالَ قُلْتُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا قَالَ لَا أَدْرِي]

.. إنّ السؤال في هذين الحديثين .. **[فَقُلْتُ أَقَبْلَ النُّورِ أَمْ بَعْدَهُ قَالَ لَا أَدْرِي]** .. **[قَالَ قُلْتُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا قَالَ لَا أَدْرِي]** ، هو من أجل معرفة شرعيّة حكم الرجم ، هل فعله ﷺ ليفصِّل كليّات النصّ القرآني ، أم مجاراةً لأحكامٍ كانت سائدة ، وذلك انتظاراً لنزول النصّ القرآني ؟ ..

لقد بيّنت في كتاب (محطّات في سبيل الحكمة) وفي كتاب (الحقّ الذي لا يريدون) ، ببرهانٍ من كتاب الله تعالى ، ومن الروايات ذاتها ، أنّ الرسول ﷺ كان يقوم ببعض الأعمال ليس بوحيٍ من السماء ، وذلك ريثما ينزل النصّ القرآني المناسب لهذه الأعمال ..

صحيح البخاري : حديث رقم (٥٤٦٢) حسب ترقيم العالميّة ..

[حَدَّثَنَا .... قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ ....]

صحيح مسلم : حديث رقم (٤٣٠٧) حسب ترقيم العالميّة ..

[حَدَّثَنَا .... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ ....]

.. إذاً علينا أن ندرس حكم الرجم من كتاب الله تعالى الذي هو تبيانٌ لكلِّ شيءٍ ، ويحمل تفصيلاً لكلِّ شيءٍ كما يؤكّد مُنزّله جلّ وعلا ..

.. يبيّن لنا القرآن الكريم أنّ الله تعالى كتب على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير سببين اثنين هما : أن تُقتل النفس لأنّها قتلت نفساً أُخرى ، أو لأنّها تنشر الفساد في الأرض .. فكأنّما قتل الناس جميعاً ..

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢]

ولذلك نرى أنّ كلمة **﴿ فَسَادٍ ﴾** في العبارة القرآنيّة **﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾** ، تأتي مجرورة .. فتقدير المعنى هو : من قتل نفساً بغير نفسٍ أو بغير فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً ، وبالتالي فقتل النفس لأنّها تُفسد في الأرض مسألة كتبها الله تعالى على بني إسرائيل ..

ولذلك بعد هذه الآية مباشرةً نرى آيةً تبيّن لنا عقوبة القتل والصلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض ، لمن يحارب الله تعالى ورسوله ويسعى في الأرض فساداً .. ولو أخذنا هذه الآية الكريمة مع الآية التي ينهانا الله تعالى فيها عن الاقتراب من الزنا ، حيث الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى التي ترد فيها كلمة الزنا بهذه الصيغة **﴿ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾** ، لرأينا مسألةً كاملةً تبيّن حدّ الزنا حينما يكون سعياً للفساد في الأرض ..

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] = ١٠٠٩

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] = ٢٢٦

١٠٠٩ + ٢٢٦ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ ﴾ = **٣٨٠ = ١٩ × ٢٠**

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

.. في هذه الحالة حيث الزنا يكون محاربة لله تعالى ورسوله ﷺ ، وسعياً لإظهار الفساد في الأرض ، يدخل ضمن إطار من يستحقّون ما تصفهم الآية الأولى في المسألة الكاملة السابقة .. ولذلك نرى أنّ الآية الكريمة الوحيدة التي تحوي كلمة ﴿ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ ﴾ بهذه الصيغة ، تدخل مع الآيات التالية في مسألةٍ كاملة يُباح فيها القتل ..

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣ – ٣٤] = ١٣٣٤

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] = ٢٢٦

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] = ٥١٤

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠ – ٦٢] = ١٠٨٠

١٣٣٤ + ٢٢٦ + ٥١٤ + ١٠٨٠ = **٣١٥٤ = ١٩ × ١٦٦**

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾ = **٢٨٥ = ١٥ × ١٩**

.. وهكذا نرى أنّ في كتاب الله تعالى ثلاث مراحل من عقوبة الفاحشة والزنا :

[١] – مرحلة ما دون الزنا ، والعقوبة فيها تركها الله تعالى مفتوحةً لكلِّ زمان ومكان .. ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٦] ..

[٢] – ممارسة فعل الزنا ، وعقوبته مائة جلدة .. ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [النور : ٢] ..

ورمي المحصنات وعقوبته ثمانون جلدة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ [النور : ٤] ..

[٣] – الزنا محاربةً لله تعالى ولمنهجه ، وسعياً لنشر الفساد في الأرض ، بحيث يصبح أداةً لنشر الفساد .. وعقوبته ما بين القتل والصلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض .. ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣]

.. هذا ما نستنبطه من كتاب الله تعالى الذي لا يحتاج لأن تُكمله الروايات ، لأنّه ليس ناقصاً ، ولا يحتاج لأن نفرض على دلالاته بعض الأحداث التي جرت في الجيل الأوّل ، لأنّه حتى في الروايات التي بين أيدينا ، لا نعلم – علماً كاملاً – مدى توقيت هذه الأحداث ، هل هي قبل نزول النصّ القرآني المناسب أم بعده ، ولأنّ القرآن الكريم يحمل من الدلالات والمعاني ما هو أكثر بكثير ممّا تمّ فعله في الجيل الأوّل ..

.. ولنأخذ مسألةً أُخرى لنرى كيف أنّ فرض بعض الأفعال التي تمّت في الجيل الأوّل على دلالات النصوص القرآنيّة ، هو تجميد هذه الدلالات في أُطرٍ ضيّقة ، تنافي كون النصوص القرآنيّة تحمل من الدلالات والمعاني ، ما لا يحيط به مخلوق ..

.. إنّها مسألة قطع يد السارق ، الواردة في الآية الكريمة **﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** [المائدة : ٣٨] حيث ذهب جمهور العلماء إلى وضع شروط القطع ، فقالوا **[عن تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب ، تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة]** : القطع لا يجب إلاّ عند شرطين : قدر النصاب ، وأن تكون السرقة من الحرز .. وقال آخرون (مثل ابن عبّاس وابن الزبير والحسن البصري) : القدر غير معتبر ، فالقطع واجب في سرقة القليل والكثير ، والحرز أيضاً غير معتبر ، وتمسّكوا بعموم هذه الآية الكريمة ..

.. والذين قالوا بوجوب شرط قدر النصاب ، اختلفوا في قدر هذا النصاب ، فقال الشافعي : يجب القطع في ربع دينار ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز القطع إلاّ في عشرة دراهم مضروبة ، وقال مالك وأحمد وإسحق : إنهّ مقدّر بثلاثة دراهم ، أو ربع دينار ، وقال ابن أبي ليلى : إنّه مقدّر بخمسة دراهم ، وكلّ واحدٍ من هؤلاء المجتهدين يطعن في الخبر الذي يرويه الآخر ..

واختلفوا أيضاً ، هل يُجمع بين القطع والغرم ، قال الشافعي : أُغرم السارق ما سرق ، وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد وإسحق : لا يجمع بين القطع والغرم ، فإن غرم فلا قطع ، وإن قطع فلا غرم ، وقال مالك : يقطع بكلّ حال ، وأمّا الغرم فيلزمه إن كان غنيّاً ، ولا يلزمه إن كان فقيراً ..

وأباح بعضهم إيقاف هذا الحكم في ظروفٍ محدّدة .. كما فعل عمر بن الخطّاب ..... وكلّ ذلك دون أنّ تُفعِّل الأمّةُ عقلَها لتدبّر كلمات الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى ، التي تحمل حكم قطع أيدي السارق ..... يُفعّل العقل خارج دلالات النصّ القرآني ، فكلّ ما رأيناه من خلاف كان نتيجة تفعيل العقل في بعض الروايات ، ونتيجة اجتهادات شخصيّة خارج دلالات الآية الكريمة ..

.. لو نظرنا في هذه الآية الكريمة لرأينا الملاحظات التالية :

[١] – هذه الآية الكريمة مجملة ، لأنّ القدر المسروق الذي يبدأ عنده القطع غير مذكور .. ولأنّه لا يُذكر فيها أيّ اليدين تُقطع ، هل اليمنى أم اليسرى .. ولأنّه لم يُحدّد

فيها مقدار ما يُقطع من اليد ، هل إلى الأصابع ، أم إلى الكف ، أم إلى الساعدين ، أم إلى المرفقين ، أم إلى المنكبين ..

[٢] – إذا أخذنا العبارة القرآنيّة ﴿ **فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا** ﴾ على ظاهرها بحيث لا تعني إلاّ القطع الحسّي لليد الحسّيّة ، فسيؤدّي ذلك إلى القطع من المنكبين .. لأنّ الله تعالى في قوله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ** ﴾ [المائدة : ٦] ، يؤكّد أنّه يريد منّا أن نغسل أيدينا إلى المرافق ، أي أن نغسل جزءاً من أيدينا ، الذي هو إلى المرافق .. والله تعالى في المسألة التي ندرسها لم يقل (فاقطعوا أيديهما إلى كذا) .. وبالتالي لا بدّ من تدبّر ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ **فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا** ﴾ تدبّراً سليماً داخل إطار دلالات كتاب الله تعالى ..

[٣] – قوله تعالى ﴿ **فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا** ﴾ في هذه الآية الكريمة نراه بصيغة مُثنى الجمع ، فلم يقل الله تعالى (فاقطعوا يديهما) ، أو (فاقطعوا أيديهم) .. وفي هذا دليلٌ آخر على ضرورة تدبّر ما تحمله هذه العبارة من دلالات ..

[٤] – قوله تعالى ﴿ **جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا** ﴾ ضمن إطار العبارة القرآنيّة ﴿ **فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا** ﴾ يفيد تحديد درجة عقوبة القطع ، فالقطع يجب أن يكون جزاءً موافقاً للسرقة ، أي يجب أن نميّز في عقوبة القطع بين سرقة وسرقة ، فليس من المعقول أنّ من سرق الحدّ الأدنى من القدر الموجب للقطع تتساوى عقوبته مع من سرق المبالغ الطائلة .. ويفيد قوله تعالى ﴿ **جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا** ﴾ أن نأخذ بعين الاعتبار الطريقة التي تمّت من خلالها السرقة ، بحيث تكون درجة العقوبة متكافئة مع طريقة السرقة ..

.. إنّ علينا أن نقف عند كلّ كلمة من كلمات الصورة القرآنيّة ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا** ﴾ ، وأن نقاطعَ دلالاتِ كلماتِها مع الكلمات الأُخرى المتفرّعة عن الجذور اللغويّة ذاتها ، حين ذلك نكون قد قمنا بواجبنا تجاه تدبّر هذه الصورة القرآنيّة ..

إنّ ورود الكلمتين ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ بالصيغة الاسميّة المعرّفة بأل التعريف ، له دلالاته في كتاب الله تعالى .. فالذي يجب إقامة الحدّ عليه هو من لبسته هذه الصفة ، ولا يُوجد أدنى شكٍّ ببراءته منها ، حتى لا يقع الظلم ..

ودلالات كلمة ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة ، إذا نُظر إليها من منظار مشتقّات الجذر اللغوي (ق ، ط ، ع) في القرآن الكريم ، لا يمكن حصرها بمجرّد القطع الحسّي ، فهناك القطع الحسّي المادّي .. ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٣٣] ، وفي ساحة الحسّ هذه هناك القطع بمعنى الجرح ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٣١] ، وهناك القطع بمعنى التجزئة والفصل للمسألة التي يُراد تقطيعها ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] ..

.. ودلالات كلمة ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ في الصورة القرآنيّة ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ ، إذا نُظر إليها من منظار مشتقّات الجذر اللغوي (ي ، د ، ي) في القرآن الكريم ، لا يمكن حصر دلالاتها بمجرّد اليد الحسّيّة المعروفة ، فهناك اليد الحسّيّة ، كما في العبارة القرآنيّة ﴿ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ ، وهناك اليد التي تعني وسائل القوّة والسيطرة .. وهذا المعنى لليد في القرآن الكريم ورد في العديد من الآيات ، وفي المسألة الكاملة التالية أكبر دليلٍ عليه ..

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ – ٤٧] = **٣٦ × ١٩ = ٦٨٤**

.. وفي ورود كلمة ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ بصيغة الجمع في العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ ، دليلٌ لهذه المعاني المتعدّدة لليد ، فالمطلوب قطع أيدي السارق ، وأيدي السارقة ، وما يُحدّد ماهيّة القطع ودرجته هو أن يكون جزاءً موافقاً للسرقة الحاصلة ، ولماهيّة حدوثها ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ ، حيث يتحدّد ذلك بالتدبّر العقلي لكليّةِ النصِّ القرآني في كلِّ زمانٍ ومكان ، وبالواقع الذي تعيشه الأُمّة ..

.. فقدر المبلغ المسروق ، وطريقة السرقة ، وعلاقة السارق بالمسروق ، وكلُّ الظروف المحيطة بهذه المسألة ، تُحدِّد ماهيّة العقوبة ، هل ترقى إلى القطع الحسّي ، وإن كانت ترقى إلى ذلك من أيّ نقطة يتمّ القطع ، أم أنّ الجزاء يكون بكفِّ يد السارق وتجريده من وسائل سيطرته (أيديه) على الأُمور ، أم أنّها تشمل الحالتين ، أم .... كلُّ ذلك يتحدّد من خلال دراسة حالة السرقة في الزمان والمكان والظروف التي حصلت فيها ، ومن خلال تفعيل العقل في استنباط أحكام هذه المسألة من الدلالات التي يحملها كتابُ الله تعالى بكليّته ..

.. ولو عدنا إلى الآية الكريمة التي تحمل حكم قطع أيدي السارق ، وأيدي السارقة ، لرأيناها تتكامل مع درجات القطع كافّة ، من القطع المادّي ، إلى الجرح ، إلى الفصل والكفّ عن وسائط القوّة والسيطرة ، وتتكامل من معنى اليد الحسّي إلى معنى وسائط القوّة والسيطرة .. كلُّ ذلك من خلال مسائل كاملة ، نذكر بعضها ..

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٣٣] = ٧٠٤

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] = ٣٤١

٧٠٤ + ٣٤١ = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

نرى في هذه الحالة (حالة القطع الحسّي) حيث القساوة والألم الجسدي في ذروته ، أنّ مشاركة الآية الكريمة في المعادلة الكاملة تنتهي عند العبارة القرآنيّة ﴿ نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ ، بينما في الحالات الأُخرى تدخل الآية كاملة ..

❁ ❁ ❁

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة : ٣٨] = ٤٦٢

﴿ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٣١] = ٩٩

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴾ [يوسف : ٥٠] = ٣٧٠

٤٦٢ + ٩٩ + ٣٧٠ = **٩٣١ = ١٩ × ٤٩**

❁ ❁ ❁

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة : ٣٨] = ٤٦٢

﴿ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ ﴾ [الفتح : ٢٠] = ١٠٨

٤٦٢ + ١٠٨ = **٥٧٠ = ١٩ × ٣٠**

❁ ❁ ❁

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة : ٣٨] = ٤٦٢

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] = ٣٣٦

٤٦٢ + ٣٣٦ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

❁ ❁ ❁

.. وهكذا نرى – من خلال دراسة هذه المسألة – كيف أنّ الفقه الإسلاميّ الحــقّ ، الذي يتضمّنه كتابُ الله تعالى ، والذي لا تختلف فيه الأُمّة ، يكون من خلال تفعيل العقل – في كلّ زمانٍ ومكان – مع دلالات آيات كتاب الله تعالى ، ونرى أنّ إدراك الروايــات التاريخيّة لا بدّ أن يكون أيضاً من منظار كتاب الله تعالى ، فإيقاف عمر بن الخطّاب حكم قطع يد السارق ، ليس لأنّه يحقّ للقاضي أو العالم أو الحاكم أن يُوقف حدّاً من حدود الله تعالى ، فرسول الله ﷺ لا يحقّ له أن يُوقف حكماً قرآنيّاً أو يبدّله كما رأينا ..... لمــاذا لا يكون عمر بن الخطّاب قد أدرك من الآية الكريمة المعاني الأُخرى (غير الحــسيّة) لليــد وللقطع ؟ ..

.. أمّا أن تكون أخبارُ الآحاد ، واجتهاداتُ فلان وفلان ، وقول فلان وفلان ، حجّةً على دلالات كتاب الله تعالى ، فهذا يعني أنّنا هاجرون لكتاب الله تعالى ، وأنّنا المعنيّــون بالدعاء التالي للرسول ﷺ ..

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ = ٢٠٩ = ١٩ × ١١

.. وسنتعرّض لمسألةٍ أُخرى ، لنرى الفارق بين ما يحمله كتاب الله تعــالى لهــا مــن دلالات من جهةٍ ، وبين عرضنا التاريخي لهذه الدلالات وسلوكيّاتنا وتفاعلنا مع حيثيّــات هذه المسألة من جهةٍ أُخرى .. إنّها مسألة تعدّد الزوجات ، وحقــوق المــرأة وقيمتــها الحقيقيّة في مجتمعاتنا ..

.. لقد بيّنت في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) وفي كتاب : المعجــزة الكــبرى ، كيف أنّ حكم إباحة تعدّد الزوجات الذي تحمله آية وحيدة في كتاب الله تعــالى ، هــو جواب شرط ، وليس حكماً مفتوحاً دون أيِّ شرط ، وأنّ هناك شرطاً آخر هو العدل .. فحكم تعدّد الزوجات لا يكون شرعيّاً كما أراد الله تعالى إلاّ بتحقّق هذين الشرطين ..

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء : ٣]

وكنّا قد بيّنا أنّ كلمة ﴿ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، تحمل معنىً عامّاً ومعنىً خاصّاً :

[١] – المعنى العام ، ويكون فيه اليتيم بمعنى المنفرد (عدم المخالطة) الذي ليس له مأوىً أو نظيرٌ بالنسبة لمسألة ما .. ووفق هذا المعنى يكون ربط الشرط بجزائه في الآية التي تحمل حكم إباحة التعدّد على الشكل : وإن خفتم ألاّ تجوروا في النساء المنفردات الفائضات (حيث نسبة الإناث أكثر من الذكور في كلّ المجتمعات) اللاتي لا يجدن أزاوجاً ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ ، فإنّ من مقتضيات عدم الجور في حقوقهنّ ، هو الزواج منهنّ ، ولو كانت إحداهنّ زوجةً ثانية أو ثالثة أو رابعة ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ .. فالله تعالى يقول لنا من خلال الشرط الأوّل في حكم إباحة تعدّد الزوجات : إن أنتم لم تتزوّجوا الفائضات المنفردات (انفراد زوجيّة) اللاتي لا يجدن أزواجاً (اليتيمات وفق هذا المنظار من اليتم) ، فإنّ ذلك جور في حقّهن عليكم ، فالمرأة لها – في منهج الله تعالى – من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات ، ولولا ذلك لما شرعت تعدّد الزوجات ..

.. والنساء الفائضات (اللاتي لا يجدن أزواجاً) ، وصفهنّ الله تعالى بعبارة ﴿ يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، أي المنفردات من جنس النساء اللاتي لا يجدن نظيراً (زوجاً) وذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء : ١٢٧] .. فاللهُ تعالى يقول ﴿ يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ ولم يقل (النساء اليتامى) ، وفي هذا إشارة إلى معنى الانفراد (عدم وجود نظير) الذي تحمله كلمة اليتيم ..

.. ويتم عدم الخالطة هذا ، نراه – أيضاً – في الصورة القرآنيّة .. ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .. فقولُه تعالى ﴿ تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ ﴾ يُشير إلى معنى

الانفراد الذي تحمله كلمة ﴿ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ ، فعدم المخالطة هو نتيجة الانفراد ، والانفراد هو نتيجة عدم المخالطة .. ولذلك يدعونا الله تعالى إلى الإصلاح في مخالطتهم ..

.. هذا الوجه لليتم ، والذي تحملُهُ آيةُ إباحة تعدّد الزوجات ، نراه جليّاً في المسألة الكاملة التالية ..

﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء : ٢ — ٣] = ١٢٠٣

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] = ٤٨٢

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء : ١٢٧] = ٦٥٢

١٢٠٣ + ٤٨٢ + ٦٥٢ = **٢٣٣٧ = ١٩ × ١٢٣**

[٢] — المعنى الخاصّ لليتم ، ويكون فيه اليتيم بمعنى فاقد الأب الذي لم يبلغ النكاح ، ومن منظار هذا الوجه لليتم ، فإنّ كلمة ﴿ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ في الآية التي ندرسها ، تعني الأطفال الواقعين تحت ولاية وليّ أمرهم الذي يخاطبه الله تعالى في الآية السابقة مباشرةً .. حيث يُوجَد أطفال مات والدهم وتركهم مع أُمّهم عند ولي ..

.. وممّا يتعلّق بهذا الوجه من معنى اليتم ، وذلك في ربط عبارتي الشرط والجزاء ، من عدم الجور ، هو عدم الخوف من كثرة العيال ، فالذي يُريدُ ضمّ الأيتام وأمّهم إليه ، عليه ألاّ يخشى كثرة العيال ..

.. ووفق هذا المعنى من اليتم يكون ربط الشرط بجزائه على الشكل : إن أنتم خفتم من أن تظلموا هؤلاء الأطفال ، فلا تفرّقوهم عن أُمّهم (لأنّه من حقّها أن تتزوّج) ، ولا

تظلموا أُمّهم بأن تُمنع من أنْ تعيشَ حياتها الفطريّة ، ولا تخشوا كثـــرة العيـــال ... وإنّ الزواج من أمّ الأطفال بهدف تربيتهم ورعايتهم وأمُّهم معهم ، هو من مقتـــضيات عـــدم الجور والظلم ، حتى وإن كانت أمّ اليتامى زوجةً ثانية أو ثالثة أو رابعـــة .. وفي المـــسألة الكاملة التالية أكبر برهانٍ على ذلك ..

﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء : ٢ – ٣] = ١٢٠٣

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٨] = ٣٥٥

١٢٠٣ + ٣٥٥ = **١٥٥٨ = ١٩ × ٨٢**

.. وفق هذين المعنيين لكلمة **﴿ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾** نستطيع أن نربط فعل الـــشرط بجوابـــه ، وذلك لإدراك معنى الشرط الأوّل في حكم إباحة تعدّد الزوجات في كتاب الله تعالى .. أمّا أن يتمّ تجاهل هذا الشرط كما حدث في تفاسيرنا وموروثاتنا الفكريّة والفقهيّة ، مجـــاراةً لبعض الروايات التاريخيّة التي فُرضت على دلالات هذه الآية الكريمة ، فإنّ ذلك عينُ الهجر للقرآن الكريم ..

.. وقد حذّر القرآن الكريم من إكراه المرأة على ما لا تريد ، ما دام ما تريده ضـــمن إطار شرعِ الله تعالى ، وأنّ ذلك بغيٌ وتجاوزٌ للحدود .. فإن هي أرادت إحصان الـــزواج واختارته لا تمنع عنه ، وإن هي أرادت إحصان العفّة والطهارة ، أيضاً لا تمنع عنه ، فكـــلُّ منعٍ لها – في هذين الجانبين – هو بغيٌ وتجاوزٌ للحدود ..

.. وفي الصورة القرآنيّة **﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [النور : ٣٣] ، في هذه المسألة قالوا : المعني بكلمة **﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾** هو الزنا حصراً ، بحيث يكون تقدير

هذه الصورة القرآنيّة – حسب ما ذهبوا – على الشكل : ولا تكرهوا المملوكات لديكم ملك يمين على الزنا ، إن أردن تعفّفاً ، لتبتغوا من كسب هذا الزنا عرض الحياة الدنيا ..

.. نقول : لقد علّق الله تعالى المنع من الإكراه في مسألة البغاء هذه ، على وجود إرادة التحصّن عند المرأة المعنيّة ، وذلك بكلمة ﴿ إِنْ ﴾ في العبـــارة : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ .. وبناءً على تفسيرهم – غير السليم – لزم عدم منعهنّ من الزنا في حال عدم وجـــود إرادة التحصّن عندهنّ ، وهذا ينافي ما أتى به القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً ، ولذلك لا بدّ مـــن إدراك معنى هذه الصورة القرآنيّة من كتاب الله تعالى ذاته ، بعيداً عن الروايات ، والأقوال التي تناقض صريح القرآن الكريم ..

فقوله تعالى ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ينفي مسألة الزنا من أساسها ، فالمرأة المؤمنة الشريفة عليها أن تقاوم فعل الزنا وإن أُكرهت عليه ..

.. إن البغي كما يرد في كتاب الله تعالى يعني تجاوز الحدّ بإلغاء حـــدود الآخـــرين ، والسيطرة على حقوقهم ، والإحصان في القرآن الكريم يكون إمّا إحصان عفّة وطهارة بأن تمنع المرأة نفسها عن الفاحشة عفّةً وطهارة ، وإمّا إحصان زواج بأن تمنع الفاحـــشة عـــن نفسها من خلال الحلال مع زوجها ، وإمّا إحصان الإسلام بأن تلتزم بمنهج الله تعالى التي يعصمها عن الخطأ ، وقد رأينا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) هذه الأنـــواع مـــن الإحصان بشكلٍ مفصّل ..

وفي الصورة القرآنيّة التي ندرسها ، يقول تعالى لنا : لا تكرهوا النساء الـــلاتي تحـــت ولايتكم على تجاوز حقوقهنّ المشروعة ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ إن أردن أيّ وجهٍ من أوجه الإحصان ، فالتي لا تريد الزواج وتختار العفّة والطهارة ، يكون إكراههـــا على الزواج دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع الذي تريده ، والتي تريد الـــزواج يكـــون منعها عنه دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع ، والتي تريد التفرّغ للقيام بشعائر الله تعـــالى وعبادته يكون منعها عن ذلك دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع الذي تريده ، فدفعها نحو ﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾ بإحلال ابتغائنا لعرض الحياة الدنيا ﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ مكان ما

تبتغيه من الحلال المشروع ، ينهانا الله تعالى عنه .. هذا ما نُدركه من دلالات هذه الصورة القرآنيّة بعيداً عن فرض الروايات التاريخيّة عليها ..

.. وكلمة ﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾ وردت مرّةً واحدة في كتاب الله تعالى ، في هـذه الصورة القرآنيّة ، وكلمة ﴿ ٱلْبَغْىُ ﴾ وردت ثلاث مرّات ، فلو أخذنا العبارات القرآنيّة المـصوِّرة لجوهر [﴿ ٱلْبَغْىُ ﴾ ، ﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾] لرأينا أنّنا أمام مسألةٍ واحدة ، تؤكّد لنا إطاراً واحداً من الدلالات ، لا يخرج عن إطار المعنى والدلالات الذي ندركه من الجذر اللغوي (ب ، غ ، ي) في القرآن الكريم ..

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٣٣] = ٤٢٢

﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ﴾ [النحل : ٩٠] = ١٧٧

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ [النور : ٣٣] = ٤٢٥

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٩] = ٢١١

٤٢٢ + ١٧٧ + ٤٢٥ + ٢١١ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

.. إنّ أحكام الله تعالى في كتابه الكريم واضحة جليّة لكلِّ من يريـدها ، ولا مجـال لتحريف النصّ القرآني لأنّ الله تعالى تعهّد بحفظه ، لكن ما حدث – سواء علـى صـعيد الفكر أم السلوك الحياتي – هو التحايل على دلالات بعض الأحكام .. فالشرط الأوّل في حكم إباحة تعدّد الزوجات ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ غُيّب من فقهنا وتفاسيرنا لكتاب الله تعالى .. ومن النادر ما يتمّ الاقتراب من الشرط الثاني ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ .. وعدم العمل بأحكام عدم إكراه المرأة على البغاء (إجبارهـا على عدم الإحصان بأوجهه) ، كلُّ ذلك – وغيره – خلق مع الزمن موروثاتٍ اجتماعيّةً

جاهليّة ، تأصّلت من خلال التاريخ ، لتكوِّنَ أعرافاً جعلت وجوه الكثيرين مسودّة حينما يُبشَّرون بالأنثى ..

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل : ٥٧ — ٦٢] = ٢٣٨٢

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف : ١٥ — ١٧] = ٨٦٧

٢٣٨٢ + ٨٦٧ = **٣٢٤٩ = ١٩ × ١٩ × ٩**

﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ = **٣٢٤**

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾ = **٣٢٤**

.. جَعْلُ البنات لله تعالى الذي نراه في هذه المسألة الكاملة ، ليس مجرّد قولٍ في العقيدة ، وفي مراحل تاريخيّة محدّدة ، إنّه سلوك حياتيّ يترجم إرادة هؤلاء الذين يسودّ وجه

أحدهم وهو كظيم نتيجة تبشيره بالأنثى ، فالتعامل مع الأنثى في أيِّ مجتمع على أنّها أقــلّ حقوقاً وواجباتٍ من الرجل ، وعلى أنهاّ مجرّدُ وعاءٍ يُفرغ فيه الرجل شــهوته ، هــو ردٌّ لعطاء الله تعالى الذي خلق البنات ، وهو ممّا تعنيه الآيتان التاليتان مــن المــسألة الكاملــة السابقة ، كونها تبيّن لنا أنّ جعل البنات لله تعالى من خلال إرادة ردّ خلق الله تعالى عليه ، هو كفرٌ مبين ..

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل : ٥٧] = ٢١٧

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف : ١٥] = ٢٣٩

٢١٧ + ٢٣٩ = **٤٥٦ = ١٩ × ٢٤**

.. وفي الآيــة الكريمــة **﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** ، نرى أنّ الله تعالى يصف من يسودّ وجهه وهو كظيم حين يُبشَّر بالأنثى ، يصفه بصيغة المفرد **﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾** .. بعد ذلك يــصف هــذا الحكم بصيغة الجمع **﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** ..

إنَّ الانتقال بهذا الوصف إلى صيغة الجمع هو لحكمة إلهيّة تتعلّق بتحميــل المــسؤوليّة للمجتمع ككلٍّ ، وليس للفرد وحده **﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** ، فحينما تهبط المنظومــة الثقافيّة للمجتمع ككل ، وحينما يكون المناخ العام في المجتمع عقيماً ، فإنّ الفرد فيه لا يجد للقيم أرضاً صالحةً ليزرع أيّ مبدأ من الخير ، ففي هكذا مجتمع يُدْفَع الفردُ فيــه (حــتى بعض الذين يملكون قيماً) لأن يسودّ وجهه حينما يُبَشَّر بالأنثى .. فهذه الأُنثى ســتكون جزءاً من هذا المجتمع حينما تكبر ، وستتعرّض – في هكذا مجتمع – إلى ما يتعرّض غيرُها من النساء من أشكال الوأد الفكري والحياتي ، وعلى أنّها مجرّدُ وعاءٍ يُفرِغُ فيــه الرجــلُ شهوتَه .. هذا ما نستشفّه من تحوّل الصياغة القرآنيّة من المفرد إلى الجمع في العبارة القرآنيّة **﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** ..

.. وبعد دراستنا للمسائل السابقة ، نرى كيف تمّ الالتفاف على بعض أحكام كتاب الله تعالى ، فتُغَيَّرُ دلالاتُ النصِّ القرآني لتصل إلى النقيض في بعض المسائل .. ومـــا فعلـــه أصحاب الديانات السابقة في تحريف نصوص كتبهم ، ماثلنا بعضه بطريقةٍ أُخـــرى مـــن خلال التحايل على دلالات بعض النصوص القرآنيّة ، لتوافق بعض الأهواء والعـــصبيّات المسبقة الصنع .. هذا حكمٌ منسوخ ، وذاك حكمٌ تقيّده رواية ، وحكـــمٌ آخـــر تحـــيط بدلالاته رواية منسوبة (ظلماً وافتراء) للرسول ﷺ ، وحكمٌ آخر لا يخرج عمّـــا فـــسّره السابقون وَ .... وبذلك تمّ تهميش الكثير من أحكام القرآن الكريم ، لتحـــلّ مكانهـــا أحكامٌ من روايات التاريخ ، ومن أقوال السابقين ، وبات تدبّر القرآن الكريم – خـــارج إطار الموروثات التاريخيّة – واستنباط بعض الأدلّة الكامنة في نصوصه ، بدعةً يخرج مـــن الملّة من يحاول التعرّض لها ..

.. هذا الواقع تصوّره المسألة الكاملة التالية (التي عرضناها في هذا الفصل) ..

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٦ – ٣٧] = **٥٥ × ١٩ = ١٠٤٥**

فالله تعالى صرّف للناس في كتابه الكريم من كلِّ مثلٍ ، ولكنّ أكثر النـــاس أبـــوا إلاّ الجحود بدلالات كتاب الله تعالى التي لا تنتهي ، وفرض أوهامهم وأصـــنامهم الفكريّـــة والتاريخيّة عليها ..

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٩] = **١٩ × ١٩ = ٣٦١**

.. الله تعالى يؤكّد لنا أنّ دلالات القرآن الكريم ومعانيه في الآفاق والأنفس ، يُدركها البشر بشكلٍ تصاعديٍّ مع الزمن ، حتى يتبيّن للبشريّة أنّ القرآن الكريم حقٌّ من عنـــد الله تعالى ..

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

وطريق الإدراك التصاعدي لدلالات كتاب الله تعالى ، هو تدبّر القرآن الكريم في كلِّ عصر ، تدبّراً مجرّداً عن التاريخ ومشاكله ، أي أن نسعى في كلِّ عصرٍ لاستنباط الدلالات الجديدة التي يحملها القرآن الكريم لذلك العصر ..

.. فما بين رؤية آيات الآفاق والأنفس التي يحملها القرآن الكريم لكلِّ عصر والتي ندركها بشكلٍ تصاعديٍّ من جهة ، وبين تدبّر كتاب الله تعالى تدبّراً حقيقيّاً مجرّداً عن الأهواء والعصبيّات المذهبيّة من جهةٍ أُخرى ، تكاملٌ نراه في المسألة الكاملة التالية التي تجمع الآية الكريمة التي تبيّن الإدراك المتصاعد لدلالات كتاب الله تعالى في الآفاق والأنفس ، مع العبارات القرآنيّة التي تُلقي الضوء على طلب الله تعالى منّا بأن نتدبّر القرآن الكريم ..

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] = ٤٩٩

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء : ٨٢] = ١٠٤

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] = ٨٩

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩] = ١٩٢

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد : ٢٤] = ١٠٤

٤٩٩ + ١٠٤ + ٨٩ + ١٩٢ + ١٠٤ = **٩٨٨ = ١٩ × ٥٢**

إنّ تدبّر القرآن الكريم لاستنباط دلالاته الكامنة فيه ، هو تفاعلٌ مع الروح القرآني ، فالروح القرآني ندخل إلى أعماقه من خلال التدبّر السليم لكتاب الله تعالى .. لذلك نرى أنّ القيمة العدديّة للمسألة الكاملة السابقة ، تساوي تماماً القيمة العدديّة للحروف القرآنيّة التي تبيّن ماهيّة القرآن الكريم كونه روحاً من الله تعالى ..

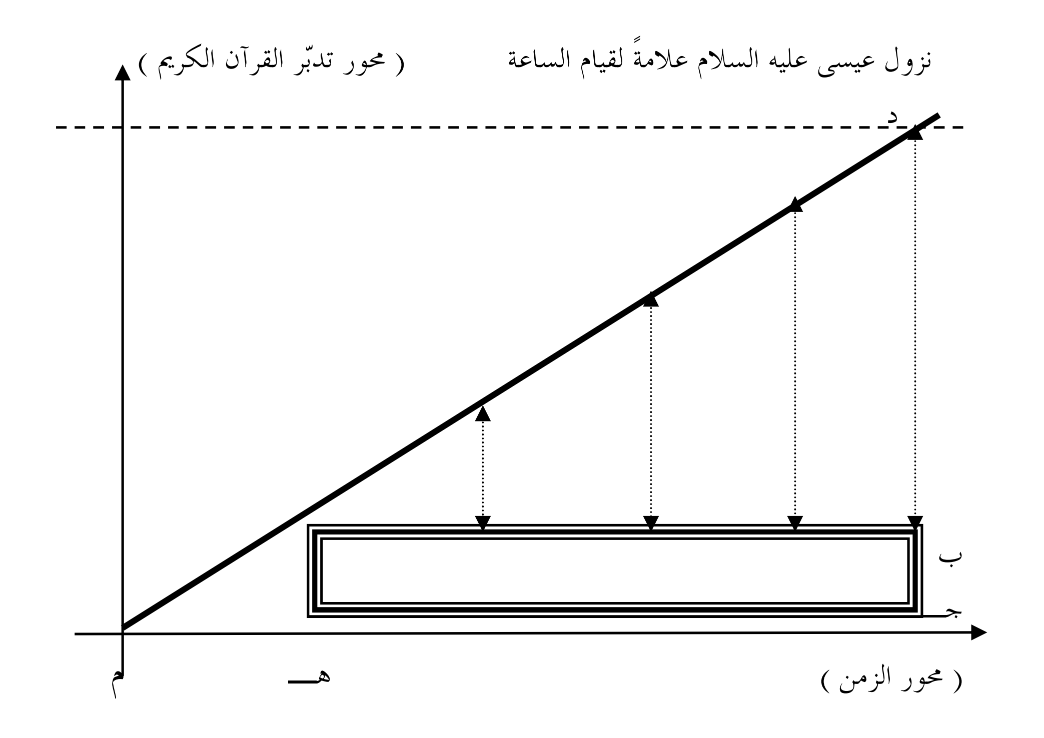
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢ – ٥٣] = **٥٢ × ١٩ = ٩٨٨**

.. وهكذا .. في كلِّ عصرٍ يكون التقصيرُ في التدبّر العقلي المجرّد لكتاب الله تعالى ، ابتعاداً عن حقيقة ما يحمله القرآن الكريم من دلالاتٍ وبراهين وفكر لهذا العصر ، وبالتالي فهذا التقصير هو ذاته درجة تخلّف الأمّة الفكري تجاه إدراك الفِكر الحقّ الذي يحمله القرآن الكريم لهذا العصر ، وهو ذاته القوّة الدافعة لفِكر الأمّة باتّجاه فِكر الماضي ، لتبقى تـراوح مكانها ، وتجترّ ماضيها ، وتعيش دلالات كتاب الله تعالى للعصور السابقة لا لعصرها الذي تعيش ..

فالذي يرى آياتِ الله تعالى ويجحد بها ، وتستيقن نفسه هذا الجحود ظلماً وعلوّاً ، يتماثل مع فرعون وقومِهِ في الدخول إلى ساحة الإفساد والخروج من ساحة الالتزام بمنهج الله تعالى ..

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] = **٢٤ × ١٩ = ٤٥٦**



.. في هذا المخطط : النقطة (م) تمثّل مبدأ محور الزمن منذ نزول الرسالة الخاتمة ، ومبدأ محور تدبّر القرآن الكريم ، والنقطة (هـ) تمثّل زمن جمع الروايات والجزم بصحّة بعضها وتأطير الفقه الإسلامي والفكر الإسلامي على معيارها ..

.. البعد (ب ج) يمثّل عمق فكر الموروث التاريخي الذي نَقَلَ لنا (في عصر جمع الحديث وتأطير الفقه الإسلامي) ما نُسب إلى الرسول ﷺ من أقوال وأفعال منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير صحيح .. والصحيح منها ، منه ما فعله الرسول ﷺ سنّةً شريفةً تفصّل كليّات النصّ القرآني ، ومنه ما فعله ﷺ اجتهاداً بشريّاً دون وحي السماء بانتظار نزول أمر السماء المناسب لهذا الفعل ..

المستقيم المائل (م د) تمثّل نقاطُه السويّة الفكريّة (بالنسبة لمحور تدبّر القرآن الكريم) الواجب استنباطها مع الزمن من كتاب الله تعالى ، وبالتالي فهو خطٌّ متصاعدٌ مع الزمن ، ويتّجه جهة قمّة محور تدبّر القرآن الكريم ..

البعد (ب د) يمثّل مقدار ابتعادِنا عن الفِكر الحقيقي الذي يحمله القرآن الكريم حين وصول تفسير القرآن الكريم إلى ذروته ، ونلاحظ أنّنا مع الزمن تزداد المسافة بين موروثاتنا الفكريّة وبين حقيقة ما يحمل القرآن الكريم لنا من دلالات ، ففي حين تكون (هذه المسافة) صفراً عند النقطة (هـ) ، تصل إلى ذروتها قبيل نزول عيسى عليه السلام ، وبالتالي فهذه المسافة تمثّل في كلِّ عصرٍ مقدار تخلّفنا الفكري عن الفكر الذي يجب أن نكون عليه في ذلك العصر ..

.. وهكذا نرى أنّ الزعم بأنّ دلالات القرآن الكريم لا تخرج عن الموروث التاريخي ، وعمّا أُطّر من فِكرٍ في الماضي ، هو – في الحقيقة – دعوة لهجر القرآن الكريم ، وتحويله إلى نصٍّ تاريخيٍّ لا يحمل من الدلالات والمعاني أكثر ممّا استنبطه السابقون ، وبالتالي هو محاولة لبناء ثقافة الأمّة – إسلاميّاً – على أساسٍ تاريخيٍّ لا على أساسٍ فكريٍّ منهجي ..

.. إنّ ما نعنيه من التدبّر المستمرّ لكتاب الله تعالى في كلّ العصور ، لا يعني تغيير الثوابت الحقّ كهيآت الشعائر ، ولا يعني إنكار الحقّ الذي استنبطه السابقون ، فالحقّ لا يتغيّر ولا يُناقض بعضُه بعضاً ، ولا يعني كلَّ جديدٍ يُناقض صريح القرآن الكريم ، فمعظم التائهين يتخيّلون أنّهم يسيرون في الطريق الحقّ .. إنّ ما نعنيه هو البراهين والأدلّة التي

يحملها القرآن الكريم ، من خلال برهانٍ قرآنيٍّ معيار صدقه واقترابه من الحقّ هو القرآنُ الكريُم ذاتُه ، بعيداً عن فرض الروايات التاريخيّة على دلالاته ..

.. فمسؤوليّة هذه الأمّة كبيرة بما يتناسب مع المنهج الحقّ الذي كُلِّفت بحمله وإيصاله إلى الناس .. وعدم وصول رسالة الحقّ إلى الناس هو ذاته تقصير هذه الأمّة بحمل الأمانة التي كُلِّفت بحملها ، فالله تعالى جعلنا أُمّةً وسطاً ليتّخذ منّا شهداء ، ولنكون شهداء على الناس بمنهج الحقّ الذي يحمله القرآن الكريم ، وليكون الرسول ﷺ شهيداً علينا وعلى أعمالنا ، وعلى التزامنا بالمنهج الذي يصنع منّا خير أُمّةٍ أُخرجت للناس ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] = ٤٢٠

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] = ١٥٦

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] = ٣٣٠

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج : ٧٨] = ٦٩٠

٤٢٠ + ١٥٦ + ٣٣٠ + ٦٩٠ = **١٥٩٦ = ١٩ × ٨٤**



الخاتمة

.. لقد رأينا من خلال برهان هذه النظريّة ، كيف أنّ درجات الخلاص تختلف من رسالة إلى رسالة ، وكيف أنّ الجنّة والنار ليستا وقفاً على أُمّةٍ دون غيرها ، وأنّ احتكار الخلاص مسألةٌ لا وجود لها في منهج الله تعالى .. وكيف أنّ منهج الرسالة الخاتمة يضع متّبعيه في مستوٍ تتضاعف فيه درجات الثواب والعقاب للعملِ ذاته مقارنةً مع متّبعي الرسالات الأُخرى ..

.. ما يجب أن نعلمه أنّنا لا ننصر دين الله تعالى حينما نحوّله إلى أحكام طوارئ نفرضها على الآخرين ، ولا حينما نجعل رجالات التاريخ وروايات السابقين أصناماً مقدّسة ... فالآخرون نأتي بهم إلى منهج الله تعالى بمركب البراهين والأدلّة من خلال العقل والفكر ، لا بالسيف والقهر ..

لذلك فإنّ التمييز السليم بين المنهج الحقّ الذي يحمله القرآن الكريم من جهة ، وبين التاريخ ومشاكله من جهةٍ أُخرى ، يجعلنا ندرك – إدراكاً سليماً – المنهج والتاريخ على حدٍّ سواء ، ونرتقي أكثر في خلاصنا لله تعالى ..

.. ونحن المسلمين تقع على عاتقنا مسؤوليّة كبيرة ، توازي عظمة المنهج الذي أنزله الله تعالى إلينا ، وتتمثّل هذه المسؤوليّة بإيصال رسالة الله تعالى إلى البشريّة جمعاء ، فالقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى عزّةً ورفعة لنا ، وأراد إيصاله إلى البشريّة جمعاء ، سيسألنا الله تعالى عن أيّ تقصيرٍ في إيصاله إلى هؤلاء البشر ..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤]

فكيف نستطيع إيصال منهج الله تعالى إلى الآخرين ، ونحن مختلفون في الكثير من القضايا الفكريّة ، ركضاً وراء الروايات التاريخيّة التي نجعل الكثير منها معيـــاراً لإدراك دلالات بعض النصوص القرآنيّة ؟!!! ..

إنّ سبب مضاعفة ثوابنا ، وعقابنا ، هو علمنا بالحقيقة أكثر من غيرنـــا ، وأنّـــه يفترض بنا أن نكون أسوةً لغيرنا ، وبالتالي فصلاحنا يأتي بالآخرين إلى منهج الله تعالى ، وفسادنا يبعدهم عن منهج الله تعالى ..... هنا يكمنُ أهمّ أسباب مضاعفة ثوابنـــا وعقابنا ..

.. فمن قدرنا أن نكون شهداء على الناس ، وذلك باتّباع الوسطيّة التي صبغ الله تعالى بها منهجه الذي أراده للبشريّة جمعاء ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣]

ولنسأل أنفسنا السؤال التالي : هل نقوم بواجبنا لإيصال رســـالة الله تعـــالى إلى الناس ، بالحجج والبراهين التي من المفترض أن نستنبطها في كلِّ عصرٍ من كتـــاب الله تعالى ، أم أنّنا ما زلنا نتخبّط في مستنقعات التاريخ ، ونختلف على أتفـــه الأمـــور ، ونحارب كلَّ متدبّرٍ لكتاب الله تعالى بحجّة عدم تكلّم السابقين بما يُنتَج من الفِكر ؟ ..

هل نحن شهداء على هؤلاء الناس ، بوجودنا بينهم علماً وحـــضارةً وفلـــسفةً ، وننتج الفِكر فنصدّره للآخرين ، أم أنّ الآخرين لا يسمعون بنا ، لأنّنـــا نـــستهلك فِكرهم وحضارتهم دون أن نشارك في إنتاجها ؟ ..

هل نتّبع كتاب الله تعالى ، أم أنّنا قلّدنا ما قاله الآخرون الذين حذّرنا الله تعـــالى من أقوالهم في كتابه الكريم ، كما رأينا في هذه النظريّة ؟ ..

.. إنّني بهذه النظريّة أتوجّه إلى كلِّ باحثٍ عن الحقيقة مهما كان دينه ومذهبـــه ، أن يتجرّد في منظاره إلى ذاته وفكره ، وإلى الآخرين ، وأن يتحرّى الحقيقة من خلال البراهين والأدلّة في كتاب الله تعالى ، لا من خلال الأهواء والعصبيّات الـــتي نزلـــت الأديان السماويّة لإلغائها ..

.. إنّني أتوجّه إلى كلِّ مسلمٍ أن يكون أهلاً لإدراك منهج الله تعالى ، من كتـــاب الله تعالى ، وأن يجعله حجّة على غيره ، لا أن يجعل التاريخ حجّة عليه ..

وأتوجّه – بشكلٍ خاصٍّ – إلى علماء هذه الأمّة بأن يدعو إلى كتاب الله تعالى ، لا إلى أنفسهم ومذاهبهم وطوائفهم ، وذلك بأن يكون الله تعالى – عندهم – أعظـــم من أنفسهم وعصبيّاهم ، حتى يخلصوا إلى الله تعالى ، وحتى لا يكونوا مـــن المعنـــيين بدعاء الرسول ﷺ ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

والله تعالى وليّ التوفيق

تمّ بعونه تعالى في :

١٤ من ذي القعدة عام ١٤٢٣ هجري

الموافق : ١٦ / ١ / ٢٠٠٣ ميلادي

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net